الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
-البويرة-
كلية الآداب واللغات

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -
Faculté des Lettres et des Langues

جامعة البويرة

القســـــم: اللّغة والأدب العربي.
التّخصص: بلاغة ونقد أدبـــي.

مكوّنات السرد والحجاج في كتاب " ملتقط الحكايات " لابن الجوزي

مذكرة مُقدّمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة والأدب العربي

إعداد الطــالبة:
مهدية صياد

إشراف الدّكتور:
أحمد حيدوش

لجنة المناقشـــــــــــة:	**مكان العمــل**	الصـــــــفة.
1. أ/ د: سالم سعدون	جامعة البويرة	رئيـــــساً.
2. أ/ د: أحمد حيدوش	جامعة البويرة	مشرفاً ومقرراً.
3. أ/ د: علي حمدوش	جامعة تيزي وزو	عضواً مـمتحناً.
4. أ/ د: فيروز رشام	جامعة البويرة	عضوا مـمتحناً.
5. أ/ د: مصطفى ولد يوسف	جامعة البويرة	عضواً مـمتحناً.

السنة الجامعية: 2015/2014

إهداء

إلى روح ابن الجوزي إجلالاً وإكباراً ...هناك.

وإلى المعلّم والناصح أحمد حيدوش هنا.

إلى عائلتي وعائلة زوجي الكريمتين.

وإليكم جميعاً.

أهدي هذا العمل.

مها.

مقدمة:

كان مما استرعى انتباهي، ولفت نظري لهذا الموضوع ميلي لفنون السرد العربي القديم المتنوعة سواء من حيث شكلها أو مضمونها، وأخصّ بالذكر الحكاية، إذ تعتبر بالنسبة لي أمتعها وأنفعها وأثراها، وصادف ذلك أن توفّر لنا كتاب < ملتقط الحكايات > للمؤلِف ابن الجوزي، والذي ضم قدر ست وخمسين حكاية احتوت تراثاً عربياً هاماً من خلال الأخبار التي أوردتها عن بعض الرجال الصالحين من العرب كالزهاد والوعاظ، وكذا تراثاً دينياً يظهر من خلال موضوعاتها ومبادئها الدينية التي نادت إليها، إضافة إلى ما تحتويه الحكايات من قيمة لغوية تظهر من خلال الألفاظ والمفردات والعبارات البسيطة والهادفة والمعبّرة عن انشغالات الشخصية، وقد اعتبر ابن الجوزي أفعال هذه الأخيرة وفلسفتها في الحياة أفكاراً وعظية وظّفها لغرض إرشاد الخلق بما يصلح دينهم ودنياهم، وكذا تذكيرهم بأفعال الخير والصلاح وبسبل تحقيق مرضاة الله من أجل تقوية إيمانهم ودعوتهم للاتصاف ببعض الصفات الجليلة، ومن هنا تتحول موضوعات الحكايات إلى وسيلة حجاجية كونها تمثل أداة إقناعية تأثيرية عن طريق الوسيلة الخطابية التي تمثلت في جنس الحكاية، حيث تدفع هذه الأخيرة المتلقي إلى التمعّن في الكنز الوعظي الذي تتوافر عليه، فتدعوه لاكتشافه والاستفادة منه في تحسين سلوكه وأخذ أخلاقيات الحكاية ومبادئها بعين الاعتبار، ومن هنا تصير الحكاية خطوة ماهرة لممارسة الحجة، وذلك لثرائها بالمواد الحجاجية التي تتخفى في تضاعيف السرد، والتي تتجسّد بواسطة الشخصيات وأفعالها، بحيث تعتبر شاهداً سردياً فعّالاً في إيصال الأثر الإيماني وتقوية الوازع الديني وكذا تذكير الفرد بما له وما عليه تجاه خالقه.

يظهر التوجّه العام للبحث، في كونه يبحث عن الأوجه السردية والحجاجية التي تضمنتها الحكايات الوعظية، وذلك بالتعريج على عدّة عناصر سردية تضمنتها الحكايات بالإضافة إلى عناصر كوّنت الحجاج في الحكايات وبنت صورته العامة، وقد قمنا بفصل

مادتي السرد والحجاج في فصلين، وفي الوقت نفسه قمنا بدمج المادتين بالوعظ الديني الذي يعتبر المحور الموحّد لكل عناصر الدراسة.

مهّدنا لهذه الدراسة بمدخل كان بمثابة المهاد النظري للبحث، وقد حدّدنا فيه المفاهيم الأساسية للبحث منها مفهوم المكوّن وكذا مفهوم السرد والحجاج بالإضافة إلى مفهوم الحكاية والخبر وتبيان وجه العلاقة بينهما، كما عرضنا فيه لبعض المفاهيم التي لها علاقة بالبحث مثل مفهوم الزمن السردي والمكان السردي، وكذا مفهوم الوعظ الديني وإبراز البدايات الأولى لظهور الحكاية الوعظية والغرض منها، كما قمنا فيه بوصف المدونة وصفاً خارجياً وكذا وصفاً داخلياً للتعرّف عليها، كونها العمود الأساس التي تقوم عليه الدراسة.

كان الفصل الأول من البحث عن " مكوّنات السرد "، ففصّلنا القول فيه عن العناصر الأساسية التي كوّنت السرد في الحكايات، وقد ابتدأنا بالفواتح النصية أي الصيغ التي ابتدأت بها الحكايات والتي لها علاقة بالوعظ الديني، إذ من الواجب الإشارة إلى مفهومها وأنواعها وكذا أهميتها في الحكاية، كما أن لها علاقة بموقع الراوي الذي أشير إليه من حيث مشاركته أو عدم مشاركته في أحداث الحكاية، كما تطرّق الفصل إلى كلام كل من السارد والشخصيات في الحكاية لما لهما من أهمية في بناء الحكاية وتطورها، إضافة إلى الإشارة إلى نمط السرد أي الطريقة التي سردت بها الأحداث، وكذا الرؤية السردية التي تعبّر عن الطريقة التي يدرك بها السارد الحكاية.

كما تطرقنا في هذا الفصل إلى الزمن السردي وكذا المكان السردي، تمحور الأوّل حول بعض القضايا الزمنية التي امتازت بها الحكايات منها التسلسل الزمني، والمفارقات التي برزت في الحكاية، إضافة إلى المدة وما ينجرّ عنها من مفاهيم وصيغ أساسية متمثّلة في الحذف والمشهد والوقفة والخلاصة، كما تمحور العنصر الثاني والمتمثّل في

المكان السردي حول بعض الأمكنة التي تمركزت في الحكايات، والتي لها دور كبير في سير العملية الحجاجية، إذ تمحورت حول أماكن التقرب من الله وأماكن السفر وكسب الرزق، وكذا أماكن الحديث والسمر، أي أننا قمنا في هذا الفصل بتسليط الضوء على سردية الحكاية بتوجيه زاوية البحث نحو العناصر التي بنت السرد الخاص بالحكايات.

وجاء الفصل الثاني الموسوم ب" مكوّنات الحجاج في الحكايات " ليربط بين كل عناصر البحث، إذ يُظْهِرُ في بدايته الموضوعات التي دارت حولها الحكايات، وهي تدور حول الوحدة الرئيسية أو الموضوع الرئيسي، كما خدم الوحدة الرئيسية وحدات ثانوية أو موضوعات ثانوية تعبر عن فكرة الوعظ الديني، وتجسّد من ناحية أخرى الحجاج بمضموناتها، وقد حاول الفصل مجتهداً إصابة العلاقة القائمة بين الوعظ الديني والحجاج في الحكايات، أي أن يسلّط الضوء على حجاجية الحكاية التي ترتبط إلى حد كبير بسردية الحكاية، وذلك أن الحجاج في الحكايات قد تجسّد عن طريق مجموعة من العناصر منها: السرد في حدّ ذاته، التصوير، الأمثلة، القياس المضمر، الشعر، والتكرير، إضافة إلى هذا حاول الفصل إظهار بعض العلاقات الحجاجية التي اتسمت بها الحكايات منها السببية وعلاقة الاقتضاء، كما قمنا باستخراج السلالم الحجاجية من الحكايات والتي لها دور كبير في تعريف القارئ ببعض الصفات الإيمانية التي يمكنه التحلي بها، وتعريفه بالثواب الذي ينجرّ عنها، كما اهتم الفصل في الأخير بعلاقة الحجاج بترتيب الحكايات التي يظهر منها سيرها على منطق خاص له علاقة بعنصر الحجاج بالدرجة الأولى.

وبالتالي قمنا من خلال الفصلين بالكشف عن المكوّنات السردية وكذا المكوّنات الحجاجية التي برزت في الحكايات، وبينّا كيف اتّحدت للكشف عن بنية الحكايات والغرض الذي جاءت من أجله.

ولتحقيق ذلك اعتمدنا في الدراسة على المنهجَ البنيوي كمنهج يسير عليه البحث، وهذا لارتباطه الوثيق بطبيعة المدونة التي تتمثل في مجموعة حكايات شعبية تحمل أخباراً عن مجموعة من الأشخاص الذين قد عرفوا بصلاحهم وتقواهم، وقد أنتجت هذه الحكايات أكثر من سارد عن طريق اللغة التي تعتبر وسيلة من بين وسائل تحويل الأحداث الواقعية التي حدثت في زمان معين ومكان معين والتي تخصّ أشخاصاً معينين إلى السرد الشفاهي أو الكتابي، حيث يتلاءم المنهج البنيوي مع ما تحتويه الحكايات من عناصر ووحدات مشتركة تنادي للوعظ الديني، وهي تتمثل في مجموعة موضوعات دينية تحوي مبادئ وأخلاقيات على المتلقي التحلي بها، حيث ترتبط هذه الوحدات الصغرى بعضها ببعض رغم اختلاف موضوعاتها وأبنية شخصياتها وأبنية الزمان والمكان لتكوين الوحدة الكلية الكبرى وهي الوعظ الديني، إذ تلتحم موضوعات الحكايات لتقوية شدة التمسك بالمبادئ التي نادت بها هذه الموضوعات، كما يتلاءم المنهج مع ما تسعى إليه هذه الدراسة وهو البحث عن مكوّنات السرد وكذا مكوّنات الحجاج التي تضمنتها المادة التعبيرية للحكايات.

وفي النهاية نشكر الأستاذ الدكتور أحمد حيدوش الذي لم يأل جهداً في قراءة هذه الدراسة وتتبعها عبر مراحلها المتعددة، وكذا جهده في تنقيح صفحاتها الواحدة تلو الأخرى،

مدخل: المهاد النظري للبحث.

تـــوطئة.

1. تحديد مفاهيم البحث الرئيسيـــة.

2. تحديد مفاهيم لها علاقة بالبحث.

3. وصف المدوّنـــــــــــــــة.

1. تحديد مفاهيم البحث الرئيسية:

1. 1. مفهوم المكوّن composent :

ورد في القاموس المحيط أن الكونَ هو: " الحدث كالكينونة والكائنة: الحادثة، وكوّنه: أحدثه، وأحدث الله الأشياء: أوجدها "[1]، كما ورد تحت مادة < ك و ن >: " كوّن يكوّن تكويناً: كوّن الله الشيء: أخرجه من العدم إلى الوجود، كوّن الشيء: ركّبه بالتأليف بين أجزائه أو أحدثه، تكوّنَ يتكوّنُ تكوّناً: تكوّن الشيء: حدث وتألّفَ "[2]، ما يعني أنّ المكوّنات هي مجموعة العناصر المركّبة التي تشترك وتنتظم لخلق صورة معينة لشيء معين، حيث نقصد بمكونات النص السردي بنياته وتجلياته المتنوعة المولدة له أي تمظهرات السرد التي تبرز في النص (أشكال التمظهر السردي)، ونفس الأمر بالنسبة للحجاج بحيث تتفكك البنية الحجاجية العامة إلى عناصر تظهر في النص تدريجياً، أي في الحكايات، والتي تعتبر هي كذلك تمظهرات للحجاج، إذ سوف نقوم في هذا البحث باستخراج مجموعة المكوّنات السردية وكذا المكوّنات الحجاجية التي يحتويها كل من السرد والحجاج والمتضمنة في المدوّنة التي قمنا باختيارها، بحيث سنقوم بالتعريف بهذه المكوّنات واستخراجها من الحكايات وتحليلها تحليلاً أكاديمياً مبسّطاً.

تعدّ الصورة العامة للسرد وكذا الحجاج بمثابة لوحة متكاملة تضم صوراً جزئية بداخلها، كل منها تضيف إلى الأخرى إسهاماً في رسالة النص وركيزة تتبني عليها دلالة النص العامة، لكنها فيما بينها تكوّن لبنات هذه اللوحة الكبيرة، لأنها تمثّل نظاماً متلاحماً يكوّن صورة السرد والحجاج.

---

[1]- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي: القاموس المحيط، دار الكتاب الحديث، ط1، لبنان، 2004، ص1237.

[2]. أحمد العايد وآخرون: المعجم العربي الأساسي لاروس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، (د.ب)، (د. ت)، ص1061.

1. 2. مفهوم السرد:

يعتبر السرد من مهام السرديات التي تبحث في الكيفية التي يوصل بها القاص مضمون الحكاية، حيث يحدث أن الحكاية الواحدة يمكن أن تسرد بأشكال مختلفة، وقد عُبِّرَ عن هذه الطريقة في القص بأكثر من لفظ منها: < السرد >، < الخطاب >، < الحكاية>.

ورد السرد لغةً في لسان العرب على أنه: " تقدمة شيء إلى شيء تأتي به متسقا بعضه في أَثَر بعض متتابعا، سرد الحديث ونحوه يسرده سردا إذا تابعه، وفي صفة كلامه ﷺ: لم يكن يسرُد الحديث سردا أي يتابعه ويستعجل فيه، والسَردُ: الخرزُ في الأديم، وقيل سردُها نسجها وهو تداخل الحَلَق بعضها في بعض "[1].

يظهر من خلال هذا التعريف أن السرد يشير إلى الصفة التي يمتاز بها القول وهي التتابع بين أجزاء الكلام، أما اصطلاحاً ف: " هو المصطلح العام الذي يشتمل على قص حدث أو أحداث أو خبر أو أخبار سواء أكان ذلك من صميم الحقيقة أم من ابتكار الخيال "[2]، وورد في قاموس السرديات: " السرد (الحكي)Narrative: السرد (كمنتج وسيرورة، موضوع وفعل، بنية وبنينة) المتعلق بحدث حقيقي أو خيالي، أو أكثر، يقوم بتوصيله واحد أو اثنين أو عدد من الرواة لواحد أو اثنين أو عدد من المروى لهم "[3]، وينحو السرد عند < بول ريكور > منحًى فلسفيا إذ يمثل عنده الوجود والواقع يقول: "

---

[1]. ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، ط1، لبنان، ص165.

[2]. مجدي وهبه: معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، 1994، ص341.

[3]. جيرالد برنس: قاموس السرديات، تر: السيّد إمام، ميريت للنشر والمعلومات، ط1، القاهرة، 2003، ص122.

تاريخ الأحداث لا يمكن إلا أن يكون تاريخاً سردياً، وهكذا يُؤخَذُ التاريخ السياسي، وتاريخ الأحداث، والتاريخ السردي كتعبيرات مترادفة "[1].

نخلص من استعراض كل هذه التعاريف، إلى أن السرد يعبّر عن فعل النقل من الغياب إلى الحضور، إنه: " نقل الفعل القابل للحكي من الغياب إلى الحضور وجعله قابلا للتداول سواء كان هذا الفعل واقعيا أو تخييلياً، وسواء تم التداول شفاهياً أو كتابةً "[2].

1. 3. مفهوم الحجاج:

يعني الحجاج عند العرب الاحتجاج والجدل والجدال والمجادلة، فهو عند ابن منظور: " الحجة البرهان وقيل: الحجة ما دوفع به الخصم، وقال الأزهري: الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، وهو رجل محجاج أي جدل، والتحاج: التخاصم، وجمع الحجة: حُجَجٌ وحجاجٌ "[3].

ووردت الحجة في معجم مصطلحات الأدب كالتالي: " الحجة ما يراد به لإثبات أمر أو نقضُه "، وعرفه ابن وهب قائلا: " وأما الجدل والمجادلة فهما قول يقصد به إقامة الحجة فيما اختلف فيه اعتقاد المجادلين، ويستعمل في المذاهب والديانات، وفي الحقوق والخصومات "[4].

وقد ورد الحجاج عند < كريستيان بلانتين Ch. Plantin > على أنه : " العملية التي من خلالها يسعى المتكلم إلى تغيير نظام المعتقدات والتصورات لدى مخاطَبه

[1]. بول ريكور: الزمان والسرد الحبكة والسرد التاريخي، تر: سعيد الغانمي وفلاح رحيم، ج1، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، إفرنجي، 2006، ص163.

[2]. سعيد يقطين: السرد العربي مفاهيم وتجليات، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2006، ص72.

[3]. ابن منظور: لسان العرب، ص38.

[4]. حافظ إسماعيلي علوي: الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ج4، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2010. ص7.

بواسطة الوسائل اللغوية "[1]، أي أن يحاول هذا المتكلم بواسطة مجموعة عناصر متضمنة في اللغة ـ كونها وسيلة تعبيرية ناجعة ـ إلى التأثير في المتلقي عن طريق تغيير وجهة نظره حول المسألة المطروحة وبالتالي يدفعه إلى تغيير معتقداته واستبداله بمعتقدات جديدة، كما أن الحجاج : " جنس خاص من الخطاب يبنى على قضية أو فرضية خلافية، يعرض فيها المتكلم دعواه مدعومة بالتبريرات عبر سلسلة من الأقوال المترابطة ترابطا منطقيا قاصداً إقناع الآخر بصدق دعواه والتأثير في موقفه أو سلوكه تجاه تلك القضية "[2]، وهنا يتخذ الحجاج منحىً قضائياً حيث يتجادل طرفا الخصام حول قضية معينة فيطرح كل منهما مبرراته للتأثير على الطرف الآخر.

1. 3. 1ـ جذور الحجاج في البلاغة القديمة:

إن لقضية الحجاج جذوراً قديمةً في البلاغة الغربية، وقد خصّص < صلاح فضل> جزءً من كتابه " بلاغة الخطاب وعلم النص " لإظهار بعضٍ من هذه الجذور، حيث عُنِيَ بالحجاج قديماً باعتباره تقنية خاصة بمجال القضاء، الذي ينظر في كلام المدعي عليه حين استعراضه للموضوع، وهو ما يسمى بالاستهلال أو السرد، وفيه يعرض المتكلم الأحداث القابلة للبرهنة تجاه القضية التي أثير الجدل حولها، ويكون هذا الكلام على شكل حكاية يعرضها المتهم لإثبات براءته ، فهي إذن: " حكاية لا تقتصر وظيفتها على مجرد تعداد الوقائع والأفعال "[3]، إنما على عرض الأدلة والحجج من خلال هذه الوقائع، أي البرهنة في قالب حكائي، ويقول صلاح فضل حين عرضه لرأي < رولان بارث R barthes > حول القصة إنها: " ليست حكاية وإنما هي خطوة برهانية "[4].

---

[1]. حافظ إسماعيلي علوي: الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ص78.

[2]. لكحل سعدية: استراتيجية الحجاج في محاورة ابراهيم عليه السلام لأبيه في القرآن الكريم، مجلة الممارسات اللغوية، العدد15، مخبر الممارسات اللغوية، الجزائر، 2012، ص179. 180.

[3]. صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، مؤسسة مختار للنشر وتوزيع الكتاب، مصر، 1996، ص276.

[4]. المرجع نفسه والصفحة نفسها.

ويحدّد البلاغي اللاتيني < كينتيليانو Quintiliano > في بعض أقواله غاية السرد، كونه لا يهدف فقط إلى عرض الوقائع إنما كذلك إلى إقناع الآخر بصدق ما يذهب إليه: " لأن السرد لا ينظر إلى إخبار القاضي فحسب وإنما ينظر إلى أكثر من ذلك، وهو أن يشعر بما نريد منه أن يشعر به حتى ولو لم يكن من الضروري أن نخبره إلا بهدف تحريك تعاطفه الشديد، فنحكي له الأشياء كي نعده لذلك " [1].

وقد امتدّ مصطلح الحجاج إلى المجالات الأدبية، كون الحجج لا تقتصر على العرض الشفوي فحسب وإنما يتّسع ظهورها بطبيعة الحال إلى النصوص المكتوبة كون مآل كل شفوي إلى الكتابة.

يمكن القول إن معظم تعريفات الحجاج تدور حول فكرتين رئيسيتين، أن يدعوَ إلى القيام بأمر ما مثل (التصدق) أو أن يدعوَ إلى اعتقاد قضية معينة مثل (التوحيد)، هذا ما يظهر من قول حافظ إسماعيلي علوي في عرضه لرأي < بلانتين> حول هذا الموضوع، حيث يرى أن: " مدار الأمر إذن على شعور بواجب الاعتقاد Devoir croire، أو شعور بواجب القيام بالفعلDevoir faire (...) فالتنازع ههنا يكون على فكرة يحاول المتكلم حمل المخاطب على اعتناقها أو على فعل يجتهد في دفعه إلى إتيانه، متوسلا في ذلك جملة من الحجج حتى يضفي قدرا من المصداقية على ما جاء يحتج له ويدافع عنه "[2].

والحجج أقسامٌ مختلفةٌ: " أعلاها مرتبةً: الحجة البرهانية، ثم الحجة الجدلية، فالحجة الخطابية، وأدناها الحجة الشعرية "[3]، وينتمي مجال بحثنا إلى النوع الثالث، إلى الحجة الخطابية كون مؤَلَف < ابن الجوزي > المتمثل في كتاب < ملتقط الحكايات > بمثابة الخطاب الذي يتوسط بين المؤلف والقارئ، وهو خطاب مكتوب ذو قصد، ومبدأ القصدية

[1]. صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص277.

[2]. حافظ اسماعيلي علوي: الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ص78.

[3]. نبيل حداد ومحمود درابسة: تداخل الأنواع الأدبية، مجلّد1، جدارا للكتاب العالمي، ط1، الأردن، 2009، ص1028.

هو أن: " لا كلام إلا مع وجود القصد (لأن) الأصل في الكلام القصد "[1]، يعني هذا المبدأ أن المخاطِب يقصد من وراء كلامه إيصال فكرةٍ للمخاطَب، وأن غياب القصد هو غياب للفكرة، فالقصد يمثّل: " استراتيجية ضرورية للتواصل الحجاجي "[2]، وهذا ما يتوافر في الخطوة التي خطاها < ابن الجوزي >[3] في حكاياته، إذ يتواصل من خلالها مع قارئيها وهو يمثل تواصلا عن طريق الكتابة، وقد قصد من خلالها إثبات أفكار ونفي أفكار أخرى بأسلوب حجاجي خفي.

1. 3. 2. الحجاج في الحكايات:

عُرِفَ عن ابن الجوزي أنه كان خطيباً، وقد أشرنا سابقاً في عنصر جذور الحجاج في البلاغة القديمة أن الحجاج كان يعني بالإلقاء الشفوي، والخطابة هي النموذج الأفضل لهذا الإلقاء، ولأجل هذا يمكننا القول إن ابن الجوزي قد استغلّ بعض التقنيات الحجاجية الموجودة في الحكايات التي التقطها، أو أنه، إن صحّ القول، أورد في كتابه بعضاً من الحكايات التي تحتوي على تقنيات حجاجية، كونه قد رسم قبل كل شيء المسار الذي سوف يسير عليه أو الغرض من إخراج كتابه، وعلى العموم فإن هذه الحكايات تتناسب وبشكل واضح مع موضوع وعظه الديني، حيث استعمل الحكاية وسيلة أساسية لإيصال

---

[1]. ينظر: حافظ اسماعيلي علوي: الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ص274.

[2]. حافظ اسماعيلي علوي: الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ص274.

[3]- " هو الإمام الحافظ ، المحدّث، الفقيه الواعظ ، المؤرخ، المفسّر اللغوي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن، علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حمّادى بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق رضي الله عنه، القرشي التيمي البكري البغدادي، ولد في بغداد في سنة 505هـ وقيل سنة 509هـ، والأرجح أنه ولد بعد السنة العاشرة من بداية القرن السادس الهجري في عهد الخلافة العباسية أيام ضعفها وتفككها " " ويقول عنه الحافظ الذهبي: " ما علمت أن أحداً من العلماء صنّف ما صنّف هذا الرجل " ويقول ابن كثير في البداية والنهاية: " مجموع المصنّفات الكبار والصغار له نحو ثلاثمائة مصنّف، وكتب بيده نحواً من مائتي مجلّد ".

. (ينظر: ا بن الجوزي: عجائب علوم القرآن، تح: عبد الفتاح عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د. ت)، ص20. 26.).

هذا الوعظ، وهو ما يتناسب تماماً مع نظرة < رولان بارث > للحكاية كونها خطوة برهانية [1]

فحكايات ابن الجوزي لها بعد وظيفي بالدرجة الأولى، حيث كشفت عن أخبار الصالحين من الخلق من جهة، كما أنها اشتملت من جهة أخرى على تقنيات حجاجية تضمنتها المادة الحكائية للحكايات، هذا ما سوف نحاول الكشف عنه بالتفصيل في الجزء التطبيقي في شقّه الخاص بالحجاج.

1. 4. مفهوم الحكاية والخبر والعلاقة بينهما:

عرفت العرب أجناساً نثريةً كثيرة لكنها لم تلق الاهتمام اللازم من قبل الدارسين، من هذه الأجناس جنس الحكاية الذي كان يلقى مشافهة على أسماع الحاضرين، والذي اشتغلت به العرب قديما في مجالسها سواء العوام منهم أو الأمراء، فقد اتخذوا الحكاية وسيلة للإخبار عن السابقين، وأداة للترفيه والمؤانسة، كما اعتبرت أداةً تستقى من خلالها العبر والمواعظ.

وقد وصل إلينا أن نبينا الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم كان يمارس فعل الحكاية على أسماع أبي هريرة وهو ما جاء به علي بن تميم إذ يقول: "...كان الرسول ﷺ يحكي بعض الشخصيات أو الأحداث، قال الإمام أحمد: حدثنا وهب بن جرير حدثني أبي سمعت محمد بن سيرين يحدث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى بن مريم، قال: وكان في بني إسرائيل رجل عابد يقال له جريج، فابتنى صومعة وتعبد فيها، قال: فذكر بنو إسرائيل عبادة جريج فقالت بغي منهم : لئن شئت لأفتننه، فقالوا: قد شئنا ذاك قال: فأتته فتعرضت له فلم يلتفت إليها فأمكنت نفسها من راع (...) فحملت فولدت غلاما فقالوا ممن؟ قالت: من جريج، فأتوه فشتموه فقال: ما

[1]- ينظر: صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص276.

شأنكم؟ قالوا: إنك زنيت بهذه البغي فولدت غلاما فقال: وأين هو؟ قالوا هو هذا. قال فقام فصلى ودعا ثم انصرف إلى الغلام فطعنه بإصبعه فقال: بالله يا غلام من أبوك؟ فقال أنا ابن الراعي (...)، قال: وبينما امرأة في حجرها ابن لها ترضعه إذ مر بها راكب ذو شارة فقالت: اللهم اجعل ابني مثل هذا قال: فترك ثديها وأقبل على الراكب فقال: اللهم لا تجعلني مثله قال: ثم عاد إلى ثديها..."[1] رواه الإمام أحمد.

يتبين لنا من خلال هذا القول أمران اثنان: الأول هو أن الحكاية كانت مشاعة في أوساط العرب أما الأمر الثاني فيخص تحديد مفهوم الحكاية، إذ تظهر هنا على أنها أداة نقل لأحداث ووقائع حقيقية، جرت سلفاً وأعاد الراوي استحضارها، كما تكون هذه الأحداث والوقائع عبارة عن أخبار كونها تصدر عن شخصيات معينة، من هنا يظهر وجه العلاقة الذي يربط كلاً من الحكاية والخبر، إلا أننا سوف نقوم بتعريف كل من هذين الجنسين قبل التطرق إلى ما يجمعهما من عناصر.

وردت في لسان العرب كالتالي: " الحكاية كقولك حكيت فلانا وحاكيته فعلت مثل فعله أو قلت مثل قوله سواءً لم أجاوزه، وحكيت عنه الحديث حكاية، وفي الحديث: ما سرني أني حَكَيتُ إنسانا وأن لي كذا وكذا أي فعلت مثل فعله " [2]، وأصلها كما يقول سعيدي محمد: " مِن حاكى يحاكي، ومنها المحاكاة والتقليد ومجاراة الواقع والنسج على منواله فضاءً خيالياً يقتنع البعض بوقوعه وحدوثه (...) (و)هي محاولة استرجاع أحداث بطريقة خاصة، ممزوجا بعناصر كالخيال والخوارق والعجائب ذات طابع جمالي تأثيري نفسياً اجتماعياً وثقافياً "[3] .

---

[1]. علي بن تميم: السرد والظاهرة الدرامية دراسة في التجليات الدرامية للسرد العربي القديم، المركز الثقافي العربي، ط1، المغرب، 2003، ص32.

[2]. ابن منظور: لسان العرب، ص188.

[3]. سعيدي محمد: الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998، ص55.

فهي: " حدث تاريخي خاص، يمكن أن يلقي سرده ضوءً على خفايا الأمور أو على نفسية البشر "[1]، وما يؤكد هذا القول أيضا ما نجده في كتاب < تداخل الأنواع الأدبية > لنبيل حداد وآخرين، إذ يرى بأن ما يميز الحكايات العربية: " الطابع التاريخي فكانت تروس بالأسانيد ويعتنى في مطلعها بسرد أسماء الرجال "[2].

تتفق كل هذه المفاهيم على أن الحكاية هي عملية يقوم بها السارد لنقل بعض الأحداث الحقيقية التاريخية، أو الخيالية واستحضارها عن طريق محاكاتها، أما عبارة " النسج على منواله فضاء خيالياً "، وكذا عبارة " ممزوجا بعناصر كالخيال والخوارق والعجائب " فتدل على أن الحكاية تنحو منحىً خيالياً غير واقعي الأحداث.

أما فيما يخصّ الخبر فقد جعلت العرب قديما من بين انشغالاتها، تتبع أخبار من سبقها من الأمم، وذلك لتغذية مجالسها بمادة للسمر والمؤانسة، ولم تتوقف الأخبار عند هذا الحد بل إن منهم من صنّف مؤلفات لهذا الغرض، فيجمع فيها كل ما بدا له من أخبار سواء ما تخص العرب أو غير العرب، يعرّف ابن منظور الخبر على الشكل التالي: " الخبر بالتحريك: واحد الأخبار، والخبر: ما أتاك من نبأٍ عمن تستخبر. ابن سيده: الخبر النبأ والجمع أخبار، وأخابير جمع الجمع، وخبره بكذا وأخبره: نبأه "[3]، ويقول مصطفى صادق الرافعي في شأن أول من اهتم بالأخبار: " وأول من عُرفَ من ملوك الإسلام بالرغبة في السمر والتعلق بأهل الأخبار ـ وإن كان ذلك لمعنى سياسي ـ معاوية بن أبي سفيان...فكان يتطلب الأخبار يستعين بها على استيضاح الشبهات ويرجع منها إلى القدوة في المعضلات "[4], ويعني هذا أن العرب اعتبرت الأخبار بمثابة الأنباء التي تحيطهم بمعلومات عن الأمم السالفة أو المعاصرة لها، وهي نفسها ما نتلقاه حاليا من

[1]. مجدي وهبه: معجم مصطلحات الأدب، ص17.

[2]. نبيل حداد ومحمود درابسة: تداخل الأنواع الأدبية، ص208.

[3]. ابن منظور: لسان العرب، ص10.

[4]. مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، المكتبة العصرية، لبنان، 2005، ص317.

وسائل الإعلام سواء ملقاة على أسماعنا أو مكتوبة عن طريق الصحف والجرائد، ومن مميزات هذا الخبر أنه: " نوع يتسم بالواقعية، وبقربه من المنشأ التاريخي (...) إضافة إلى اعتماده غالبا على السند أو صيغة الرواية التي تشتمل على أسماء الرواة "[1]، وتكون هذه الأخبار: " مرتبطة بشخصيات محددة عبر ذكر اسم الشخصية، أو محالة إلى أنماط إنسانية من غير تسمية (رجل، امرأة) "[2]، كما عرف عنه أنه: " فن قصصي قصير يغلب عليه قول الحقيقة، ويشير إلى سرد شيء من التاريخ "[3]، ويكمن الفرق بين الخبر والحكاية في كون: " الخبر أصغر وحدة حكائية، ونميزه عن الحكاية بكون مركز التوجيه فيه يتمحور حول الفعل {الحدث} "[4]، أي أن ما يسترعي انتباهنا حين سماع الخبر هو الحدث أو الفعل وسيرورته أو حركته، فهو: " الحدث أو الفعل مصوّغٌ صياغة لغوية "[5]، كون اللغة هي الوسيلة التي يعبّرُ بها أو هي التي تنقل هذه الأفعال أو الحركات، ولا يولي الخبر اهتماما بالشخص إلا كونه فاعلا، كذلك ف: " الحكاية أوسع من الخبر ويمكنها أن تضم أكثر من وحدتين خبريتين، لكن مركز توجيهها لا ينصب على الحدث أو الفعل ولكن على الفاعل لأنه هو الذي تجتمع حوله وتتأطر بصدده الوحدات الخبرية التي تضمها الحكاية "[6].

فالحكاية إذن تتضمن مجموعة أخبار هي التي تشكّل ماهيتها، وأن الخبر الواحد منها يتركّز على الفعل أو الحدث بمعنى أن كل الشخصيات التي كوّنت هذا الخبر يدور حديثها حول الحدث وتسعى تحرّكاتها إليه، ما يعني أن أساس الخبر هو الحدث، وبما أن

---

[1]. أماني سليمان داود: الأمثال العربية القديمة دراسة أسلوبية سردية حضارية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، لبنان، 2009، ص197.

[2]. المرجع نفسه والصفحة نفسها.

[3]. عز الدين المناصرة: الأجناس الأدبية في ضوء الشعريات المقارنة، دار الراية، ط1، الأردن، 2010، ص226.

[4]. سعيد يقطين: السرد العربي مفاهيم وتجليات، ص177.

[5]- ينظر: عبد الرحيم الكردي: البنية السردية للقصة القصيرة، مكتبة الآداب، ط3، مصر، 2005، ص93.

[6]. سعيد يقطين: السرد العربي مفاهيم وتجليات، ص178.

الحكاية تتكوّن من اجتماع مجموعة من الأخبار فهذا يعني أن الحكاية هي اجتماع مجموعة من الأحداث أيضا، كون أساس الخبر هو الحدث أو الفعل.

2. تحديد مفاهيم لها علاقة بالبحث:

2. 1. مفهوم الزمن السردي:

يعتبر الزمن من العناصر السردية المهمّة التي تُكوِنُ الخطاب الحكائي، حتى إن < جيرار جينيت > Gerard Genette - أحد أبرز أعلام البنيوية - اعتبر غيابه في الخطاب مستحيلاً، يقول: " يمكنني جيدا أن أروي قصة دون أن أعيّن المكان الذي تحدث فيه (...) في حين يستحيل علي تقريبا ألا أُمَوْقِعَهَا في الزمن بالقياس إلى فعل السرد "[1]، وقد اهتم بالزمن قبل البنيويين، الشكلانيون الروس إذ: " كانوا من الأوائل الذين أدرجوا مبحث الزمن في نظرية الأدب ومارسوا بعضا من تحديداته على الأعمال السردية المختلفة، وقد تمّ لهم ذلك حين جعلوا ارتكازهم ليس على طبيعة الأحداث في ذاتها وإنما على العلاقات التي تجمع بين تلك الأحداث وتربط أجزاءها "[2]، والمقصود بالعلاقات هنا " العلاقة السببية " التي تتحكم في سير الأحداث في الحكاية على وفق منطق خاص بها، ويذكر الباحث أحمد حمد النعيمي أن البنيويين يرون في تواثق العلاقة بين كل من الزمنية والسببية لدرجة الخلط بينهما، ويوضّح ذلك بقوله: " افترض أن الاثنتين متوفرتان في كل رواية، وأن السببية تكون الحبكة، أما الزمنية فتكون القصة، فعبارة: " مات الملك ثم ماتت الملكة " (قصة)، أما عبارة " مات الملك ثم ماتت الملكة حزنا عليه ف(حبكة)"[3].

[1]. جيرار جينيت: خطاب الحكاية بحث في المنهج، تر: محمد معتصم، المجلس الأعلى للثقافة، ط2، (د. ب)، 1997، ص 229. 230.

[2]. أحمد حمد النعيمي: إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، 2004، ص43.

[3]. المرجع نفسه، ص50.

2. 1. 1- زمن القصة وزمن الخطاب:

ينقسم الزمن إلى قسمين، زمن حقيقي أو منطقي بالنسبة للأحداث، وزمن الخطاب الحكائي غير الحقيقي أو المزيف لأنها تصيبه أو تطرأ عليه تغييرات عديدة، إذ يمكن للقاص أن يبتدئ سرد قصته من الوسط، وقد يبدأ بسردها من آخر حدث فيها، كما يمكن أن يبدأ بسردها من ثاني حدث أو ثالث حدث ليعود إلى الحدث الأول، وغير ذلك من التقنيات التي يستعملها قاص الحكاية، وقد عرض صلاح فضل رأيا للبلاغي اللاتيني < كينتيليانو Quintiliano > حول الترتيب الزمني حيث يقول: " إنني لا أتفق في الرأي مع من يرون أنه بنفس الترتيب والنظام الذي تحدث به الأشياء لا بد وأن تروى ولكنها ينبغي أن تروى بأفضل الطرق المواتية "[1]، إذ يفضّل هذا البلاغي اللاتيني التحرر من الترتيب الزمني ويحفّز على تغيير التنظيم الطبيعي لسير الأحداث، مما يعتبر سابقة هامة لبلاغة القص التي أطلق عليها في العصور الوسطى: " Ordo artificialis " أي الوسائل المصطنعة "[2] .

يفصّل < جيرار جينيت > في عنصر الزمن من خلال دراسته للخطاب السردي في رواية < بحثا عن الزمن الضائع > لمارسيل بروست، حيث يرى أن: " الحكاية مقطوعة زمنية مرتين، فهناك زمن الشيء المروي، وزمن الحكاية (زمن المدلول وزمن الدال) (...) بل الأهم أنها تدعونا إلى ملاحظة أن إحدى وظائف الحكاية هي إدغام زمن في زمن آخر "[3].

وقد سمى < جينيت > هذا الزمن أيضا " زمن القراءة "، ووصفه ب: " الزمن الكاذب " أو" الزمن الزائف "، أما < تزيفيطان تودوروف Tzvetan Todorov > في كتابه <

---

[1]. صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص277.

[2]. ينظر: المرجع نفسه والصفحة نفسها.

[3]. جيرار جينيت: خطاب الحكاية بحث في المنهج، ص45.

مفاهيم سردية > فقد وصفه بأنه " أقل صفاءً "، ويعدّ الزمن العنصر الوحيد الذي يضفي صفة السحر والجودة على الحكاية، فنحن إذا ما قرأنا قصة يمكن أن نقول عن ترتيبها الزمني أنه منطقي فإنها لا تجذبنا بالقدر الذي تفعله تلك القصة المتحررة من هذا الترتيب، وهذا بغض النظر عن الهدف الذي رسمه القارئ من قراءته، حيث تبدو القصة الأولى على أنها يوميات بسيطة تخص أشخاصاً معينين، بينما يظهر في الثانية تلاعب صاحبها بالزمن مثلما يحلو له، ولهذا: " يعدّ الزمن من بين الإنتظامات الأساسية التي تميز بين الحكاية والخطاب (...) لأن المستوى الأول للحكاية يخضع لنظام توالي الأحداث كما وقعت بالفعل، أما في مستوى الخطاب فإن ذكر الأحداث يتم التحكم فيه من قبل السارد(...) وهذا الوضع الجديد هو الذي يميز أهمية القصة ".[1]

2. 1. 2. المفارقات الزمنية:

إضافةً إلى هذا، فإنه عندما لا يتطابق الزمن المنطقي أي زمن القصة، وزمن الحكاية أو زمن القراءة، فإنها تحدث حينها مفارقات زمنية، وهي تتمثل في كل أشكال التنافر بين زمن القصة وزمن الحكاية.

وللحكي" مقتضياته الخاصة التي ليست مقتضيات التوقع (حقيقية) "[2]، إذ يحدث أن يحصل فيه ـ أي في الحكي ـ تقديم أحداث وتأخير أخرى، وهو ما يتمثل عن طريق التقنيتين الزمنيتين اللتين تتمثلان في كل من الاستباق والاسترجاع، ولا شك أن حدوث عنصر المفارقات يحصل: " عندما يخالف زمن السرد ترتيب أحداث القصة سواء بتقديم حدث على آخر، أو استرجاع حدث، أو استباق حدث قبل وقوعه "[3]، والاستباق، يعني ذكر حدث قبل وقوعه أي يسبق < الذكر> < الوقوع>، وهو يتمثل بتعبير أوضح في: "

[1]. ينظر: عمر عيلان: في مناهج تحليل الخطاب السردي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، سوريا، 2008، ص90. 91.

[2]. ينظر: تزيفيطان تودوروف: مفاهيم سردية، تر: عبد الرحمان مزيان، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2005، ص111.

[3]. محمد بوعزة: الدليل إلى تحليل النص السردي تقنيات ومناهج، دار الحرف للنشر والتوزيع، ط1، المغرب، 2007، ص70.

إيراد حدث آت أو الإشارة إليه مسبقا قبل حدوثه "[1]، سماه جيرار جينيت الاستشراف ومن مظاهره: " البداية من الوسط(عندما لا تكون من الأخير إن صح التعبير) "[2]، حيث تستوجب هذه البداية من الوسط أو من الأخير ذكراً لأحداثٍ قبل وقوعها، ويمكن توضيح هذه العملية بسلم من الأحداث المتسلسلة منطقيا على النحو التالي:

حدث1 ـ حدث2 ـ حدث3، السارد مثلا في عملية الاستباق يذكر الحدث الأول ثم يذكر الحدث الثالث قبل وقوعه، كون الوصول إليه يستوجب المرور مسبقاً بالحدث الثاني، وهذه العملية التي قام بها السارد في ذكر الحدث الثالث قبل الثاني هي التي تعد " استباقا "، أما الاسترجاع فيمثل نقيض العملية الأولى، إذ هو الذكر الحالي للحدث الذي وقع سابقاً، أي يقوم السارد فيه بتأخير ذكر الحدث المتقدم لفترة متأخرة من السرد، وهو: " خاصية حكائية في المقام الأول، وقد اهتم به النقد الحديث، وهو ظاهرة أسلوبية نشأت مع الملاحم القديمة وأنماط الحكي الكلاسيكي "[3]، ويسميه بعض النقاد السرد الاستذكاري كونه يعتمد بالدرجة الأولى على ذاكرة السارد في الرجوع إلى الوراء في سرده للأحداث، ويمكن أن نوضّح هذه العملية أيضا بسلم من الأحداث المتسلسلة منطقيا والتي تكون كالتالي:

حدث1 ـ حدث2 ـ حدث3 ، السارد في عملية الاسترجاع يذكر مثلا الحدث الأول ثم يذكر الحدث الثالث، بعدها يعود إلى الحدث الثاني، وهذه العودة إلى الوراء هي التي تعدّ < استرجاعا >، وفي تفسير جينيت لهذه العملية يقول: " يشكل كل استرجاع بالقياس إلى

[1]. نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب دراسة في النقد العربي الحديث، ج2، دار هومه، الجزائر، 2010، ص189.

[2]. جيرار جينيت: خطاب الحكاية بحث في المنهج، ص76.

[3]. نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب دراسة في النقد العربي الحديث، ص190. 191.

الحكاية التي يندرج فيها، حكاية ثانية زمنيا تابعة للأولى "[1]، كونه يعود إلى الوراء ليقوم بعملية سرد جديدة.

ويرى تودوروف أن هذا اللعب بالزمن والمتمثل في المفارقات، يقوم به السارد بغرض منح قصته عنصر التشويق: " ستعمل هذه القطائع في التوازي الزمني بين الحكاية والكتابة غالبا لخلق أثر التشويق "[2].

2. 2. مفهوم المكان السردي:

لا يخلو المكان من الأهمية في بناء الحكاية وإظهار معالمها، إذ لابد للحدث من أن يحصل في زمن معين وأن يضمه مكان أو محل معين يجري فيه، وإلا لما ظهرت معالم هذه الحكاية بشكل جلي، تذكرنا هذه الفكرة بمحادثاتنا الهاتفية، فلطالما قمنا بسؤال من نتحدث إليه عن مكانه، حتى ولو لم يكن هذا الأخير يهمنا، حيث يساعدنا المكان على تكوين الصورة الشاملة المتخيلة حول الشيء وغيابه يؤدي إلى إحداث نقص في هذه الصورة، هذا بالنسبة للمكان الواقعي، أما المكان في إطار السرد فإنه بالإضافة إلى واقعيته يتحدد من خلال الوسيلة التعبيرية المتمثلة في اللغة، أي يتضح لنا من خلال الكلمات أو الدوال اللفظية، ومن مميزات هذا المكان أنه:

ـ" فضاء لفظي: لا يوجد إلا من خلال اللغة...ويختلف عن الفضاءات الخاصة بالسينما والمسرح، أي كل الأماكن التي ندركها بالبصر أو السمع.

ـ فضاء ثقافي: إن تشكل الفضاء الروائي من الكلمات أساسا يجعله فضاء ثقافيا بمعنى أنه يتضمن كل التصورات والقيم والمشاعر التي تستطيع اللغة التعبير عنها.

---

[1]. جيرار جينيت: خطاب الحكاية بحث في المنهج، ص60.

[2]. تزيفيطان تودوروف: مفاهيم سردية، ص112.

ـ فضاء متخيل: يتشكل داخل عالم حكائي في قصة متخيلة تتضمن أحداثا وشخصيات، حيث يكتسب معناه ورمزيته من العلاقات الدلالية التي تضفيها الشخصيات عليه "[1].

إن الميزة الثالثة للمكان تجعله يقتصر على القصص غير الواقعية التي يكون فيها المكان متخيلاً، وهذا ما لا ينطبق على القصص الحقيقية الحدوث.

أهمل < جينيت > ـ باعتبار كتابه < خطاب الحكاية > مرجعاً مهماً لهذا النوع من الدراسة ـ المكان مقارنة باهتمامه الكبير بالزمن، حيث نجده يقول: " يمكنني جيدا أن أروي قصة دون أن أعين المكان الذي تحدث فيه وهل هذا المكان بعيد كثيرا أو قليلا عن المكان الذي أرويها منه، هذا في حين يستحيل علي تقريبا ألا أُمَوْقِعَهَا في الزمن بالقياس إلى فعل السرد مادام علي أن أرويها بالضرورة في الزمن الحاضر أو الماضي أو المستقبل، ولعل هذا ما يجعل التحديدات الزمنية للمقام السردي أهم بوضوح من تحديداته المكانية "[2]، إلا أن هذا الإهمال للمكان مقابل الاهتمام بالزمن له أسباب ومرجعيات تعود حسب نظري إلى طبيعة رواية < بحثا عن الزمن الضائع >، حيث نلاحظ تلاعب < مارسيل بروست > بالزمن بشكل واضح في حين لم يمنح للأمكنة أدوارا جوهرية كالذي منحه للأزمنة، وهذا يتضح من خلال تعليق جينيت على الرواية إذ نجده يقول: " إننا نعرف تقريبا أين كتب "بروست" رواية "بحثا عن الزمن الضائع" لكننا نجهل أين يفترض أن يكون < مارسيل > قد أنتج حكاية حياته، ونحن قلما نفكر في الاهتمام بذلك"[3].

إن مدونة < جينيت > قد خلت من أي إشارة إلى المكان الذي احتضن أحداثها، مما جعل جينيت لا يفكر في الاهتمام بهذا العنصر كون غيابه لم يحدث أي نقص أو عيب في الرواية، وهذا يرجع إلى كونها تركز على ذكريات البطل كعنصر رئيسي، فالمدونة

---

[1]. محمد بوعزة: الدليل إلى تحليل النص السردي تقنيات ومناهج، ص79 .80.

[2]. جيرار جينيت: خطاب الحكاية بحث في المنهج، ص229 .230.

[3]. المرجع نفسه، ص230.

إذن هي التي تفرض نفسها على الدارس وهي التي توجه أراءه الوجهة التي تناسب كينونتها.

لا ينبغي في الأخير تعميم هذه النظرة على كل دراساتنا، لأن هذه النظرة نابعة من طبيعة الرواية ذاتها، فالمكان مهما كان يبقى محتفظا بأهميته في القصة ولا ينبغي إهماله، وقد يشكل في بعض الحكايات كياناً لا يستغنى عنه: " إن المكان يساهم في خلق المعنى داخل الرواية ولا يكون دائما تابعا أو سلبيا بل إنه أحيانا يمكن للروائي أن يحول عنصر المكان إلى أداة للتعبير عن موقف الأبطال من العالم "[1]، وهو ينطبق بشكل أو بآخر على الحكاية الواقعية التي يكون فيها المكان وظيفياً بالدرجة الأولى، فتواجد شخصية ما في مسجد غير تواجدها في كنيسة، و افتراشها أريكة قطنية غير افتراشها التراب، و حضورها مجالس اللهو غير حضورها مجالس العلم، فالمكان هنا هو المسؤول الأول عن إبراز معالم الشخصيات الدينية والاجتماعية والثقافية، وسوف نحاول التفصيل فيه عند الحديث عن المكان في مجموع حكاياتنا، أما الآن فسننتقل إلى عنصر آخر من عناصر الدراسة هو "الحجاج" الذي يعتبر كنزاً دفيناً تضمّنته المادة الحكائية للحكايات، كونه المسؤول الأول عن وجودها وكذا لمدى ارتباطه بالوعظ الديني.

2. 3. مفهوم الوعظ الديني:

يرتبط الوعظ الديني بالحجاج في الحكايات ارتباطاً وثيقاً فلا نكاد نفصل بينهما إلا بتمعن واجتهاد وإعادة في النظر، وقد يتولّد هذا الوعظ من خلال الموعظة، حيث ورد في لسان العرب في مادة وعظ على النحو التالي: " الوعظُ والعظةُ والعَظةُ والموعظة: النصح والتذكير بالعواقب، قال ابن سيده: هو تذكيرك للإنسان بما يُلَينُ قلبه من ثواب وعقاب،

[1]. حميد لحمداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط3، لبنان، 2000، ص70.

وفي الحديث: لأجعلنك عظة أي موعظة وعبرة لغيرك، وفي التنزيل: فمن جاءه موعظة من ربه، ويقال: السعيد من وُعظَ بغيره والشقي من اتعظ به غيره "[1].

ومن هذا المنطلق يكون الوعظ الديني هو: " الأمر بالمعروف في الدين والنهي عن المنكر فيه "[2]، كما أن من أقسامه: " الدعوة إلى الإسلام أو الدفاع عنه، التعليم الديني للعامة، تثبيت الإيمان وتقويته، الإصلاح ومحاربة المنكرات "[3].

تعدّ الموعظة من الوسائل الناجعة للتعريف بالإسلام وبمبادئه وأركانه، لأن أثرها عظيم على نفوس العامة من المسلمين، حيث إن أهم ركائز هذه الموعظة آيات القرآن والأحاديث النبوية والقصص الحسنة للرجال الصالحين، التي لها تأثير عجيب على تحريك القلوب وتشويق النفوس، وقد تكون حكاية الواعظ غنية عن ذكر الكثير من الكلام إذا ما أحسن الاختيار، وقد كان الواعظ يسمى " قاصًا " لأنه، يعظ الناس غالباً، ويذكرهم بقصص التائبين من الأمم الخالية ومن أمة محمد ﷺ.

2. 3. 1- بدايات ظهور الحكاية الوعظية والغرض منها:

تشير بعض المراجع إلى البدايات الأولى لظهور الحكاية الوعظية والتي كانت في العصر العباسي الثاني، حيث تقول: " أخذت تنشأ منذ أوائل العصر طبقة جديدة من الوعاظ كانوا يُسَمَّوْنَ بالمذكرين، وكانوا من الصوفية، بل كانوا خطباءهم ووعاظهم الممتلئين صلاحاً وتقوىً وورعاً، وكان هؤلاء الوعاظ يجذبون إليهم الناس بأكثر مما يجذبهم الوعاظ العاديون لقيام حياتهم على الزهد ورفض كل متاع، وتكونت حول هؤلاء

---

[1]. ابن منظور: لسان العرب، ص243.

[2]. عبد العاطي محمد شلبي وعبد المعطى عبد المقصود: الخطابة الإسلامية أصولها تعريفها عناصرها مع نماذج من خطب الرسول ﷺ والخلفاء، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 2006، ص26.

[3]. ينظر: المرجع نفسه، ص26. 27.

الوعاظ من المتصوفة سريعا حكايات كثيرة تصور جهادهم العنيف في قمع شهوات النفس"[1].

ويبدو أن هذا النوع من الحكايات قد نشأ نتيجة ابتعاد الناس عن العبادة والتقرب من الله، فقلّ الوازع الديني في قلوبهم وتعلقوا بالدنيا وبملذاتها، فجاءت الحكايات لتلعب دورا في تذكير المسلمين بأخراهم وانتشالهم من دنس الدنيا ومن ظلامها، وقد أخذت تُكَوِنُ هذه الحكايات شيئاً فشيئاً ضرباً من الآداب الشعبية العربية إذ شاعت بين أوساط الناس رجالا ونساءً، وكانت تحتوي أحداثاً وقعت لرجال صالحين معروفين تارة ومجهولين تارة أخرى، وكان الغرض منها الاتعاظ بها واتباعها في أفعالها، و تعدّ شخصيات هذه الحكايات: " نماذج حية للمحاكاة وأسوة للإتباع مما يجعل عملية التمثل ممكنة (...) وهذا فرع آخر للمعرفة الحية يعرف بالتعليم بالأسوة الحسنة والاقتداء بالأخيار"[2].

2. 4. وصف المدوّنة:

2. 4. 1. الوصف الخارجي:

تعدّ المدوّنة مؤلَفاً من مؤلَفات الواعظ والخطيب < جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي >، الذي يعتبر عالماً من علماء القرن السادس الهجري والذي زادت مؤلفاته على ثلاثمائة مؤلف في كل ألوان العلوم، التقط هذا الخطيب في أحد مؤلفاته مجموعة حكايات أودعها في كتابه الذي سماه < ملتقط الحكايات >، وهو كتاب متوسط الحجم يحوي قدر ست وخمسين حكاية، وهي تنقل أخبار بعض الرجال الصالحين كالوعاظ والزهاد وعباد الله الأتقياء، ويفصل ابن الجوزي بين الحكايات بواسطة الأرقام إلى غاية نهاية الكتاب.

[1]. شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني، دار المعارف، ط12، (د.ب)، (د.ت) ص528. 529.

[2]. نبيل حداد ومحمود درابسة: تداخل الأنواع الأدبية، ص208.

2. 4. 2. الوصف الداخلي:

تشتمل حكايات كتاب < ملتقط الحكايات > على بعد وظيفي بالغ الأهمية، فهي حكايات ظاهرها الإخبار أما باطنها فتحتوي نصائح ومواعظ وعبر، ومن هنا يمكن أن نحدد دور هذه الحكايات في كونها وسيلة خطابية قصدية من قبل المؤلف والتي اعتمدها لتحقيق هدفه والمتمثل في إيصال وعظه الديني، وهي في ذلك تشبه إلى حد بعيد قصص القرآن الكريم التي لا ننفك نستنبط منها العبر كلما رجعنا إليها، إذ يحدث أن نصادف في القرآن الكريم آيات عديدة تحثنا على الصبر وعلى بيان جزاء الصابرين وعلى منزلتهم في الجنة، ويحدث أن نجد في جانب آخر منه قصة النبي أيوب مثلاً، والتي تعتبر أقوى مثالاً للصبر، فقد عرفنا الله تعالى بمبدأ الصبر في إحدى آيات القرآن الكريم ثم قص علينا بلسان رسوله الكريم ما حدث لأيوب من محن وكيف واجهها بصبر وإيمان، هو عينه ما نجده عند ابن الجوزي الذي كان خطيب أهل بغداد، وله خطب عديدة في الوعظ الديني وآداب الإسلام، وله في جانب آخر حكايات عن الصالحين من الناس في كيفية تحليهم بهذه الآداب وفي مواجهتهم للمحن والمصائب، وكأنهما وجهان للدراسة وجه نظري ووجه تطبيقي، فقد خطا المؤلف بهذا المشروع خطوة حجاجية يؤكّد من خلالها المبدأ الديني الذي يعتبر عنده فلسفة حياتية ونظاماً يحيا به، وفي السياق نفسه نجد مصطفى البشير قط ينقل لنا عن كتاب < البرهان في علوم القرآن > قولا للزركشي إذ يقول: " وكذلك جعلت القدماء أكثر آدابها وما دونته من علومها بالأمثال والقصص من الأمم (...) إنما أرادوا بذلك أن يجعلوا الأخبار مقرونة بذكر عواقبها، والمقدمات مضمونة إلى نتائجها، وتصريف القول في ذلك حتى يتبين لسامعيه ما آلت إليه أحوال أهليها عند لزومهم الآداب "[1].

[1]. مصطفى البشير قط: مفهوم النثر الفني وأجناسه في النقد العربي القديم، دار اليازوري العلمية، الأردن، 2009، ص135.

لا تحتوي الحكايات التي التقطها ابن الجوزي على مادة سردية فقط إنما أيضا على مادة حجاجية بالغة الأهمية، فالمؤلف على دراية كبيرة بأن الحكايات وأخبار السابقين لها وقع خاص على قلوب السامعين وربما قد تحقق في بعض الأحايين ما لا تحققه النصائح والإرشادات، أو الأوامر والنواهي، لأن قارئ الحكاية يلمح من خلال أحداث الشخصيات ما آلت إليه الأمور حين اتخاذ شخصية معينة تصرفاً دون آخر، وبالتالي يحذو حذوها فيما قامت به من أفعال.

إن ما نسعى إلى تحقيقه في هذا البحث هو الجمع بين ثلاثة عناصر جوهرية في الحكايات هي السرد والحجاج والوعظ الديني، حيث نهتم بعنصر السرد الذي يقوم بالكشف عن الكيفية التي عرض بها ابن الجوزي المادة الحكائية التي تظهر لنا أحوال الناس وعبادتهم للخالق، وربطه بعنصر الحجاج الذي يعتبر تقنية مضمنة في الحكايات والتي تسعى لتأكيد معاني الوعظ الديني وترسيخها في ذهن المتلقي، وهي كلها عناصر مترابطة وبقوة في حكايات ابن الجوزي.

مما لا شك فيه أن الوعظ الديني واستمالة القراء للتقرب من الله هي المادة الأساسية والجوهر الذي تقوم عليه حكايات كتاب < ملتقط الحكايات >، حيث يسعى من خلالها للتأثير في القراء من أجل دفعهم للقيام ببعض الأمور والنفور من أخرى، وقد وظّف ابن الجوزي في ذلك جملة من الحجج التي يدعم بواسطتها موقفه والتي تضمّنتها المادة الحكائية، ومنه تحتوي مدونتنا على مادة سردية ومادة حجاجية جديرة بالعناية، إلا أن علينا قبل الخوض في هذه الأمور تبيين ماهية هذه التقنية المهمة التي يُعتمد عليها في كثير من أشكال التواصل.

الفـصـــل الأول: مكوّنات السرد في الحكايات.

توطئة.

1. الفواتح النصيـــــــــــــــة.

2. الـــراوي والمـــوقـــــــــــــع.

3. كلام السارد وكلام الشخصيـــات.

4. نمـــــط الســـــرد والرؤية السردية.

5. الزمن والمكان الســـرديـــــــان.

توطئة:

نخصّص هذا الفصل من الدراسة للبحث في المكوّنات السردية التي برزت في الحكايات، أوّل هذه المكوّنات الفواتح النصية أو الصيغ الاستهلالية التي افتتحت بها الحكايات، فنقوم بتعريفها وذكر أنواعها وأهميتها البالغة في الكلام، وهذا باختصار كون هذه الفواتح تشير إلى طبيعة الشيء الذي نحن في صدد قراءته، فقد يكون حكاية كما قد يكون رواية أو حديثا، كما سوف نقوم باستخراج الفواتح من الحكايات وإحصائها وتتبّع الدّلالات التي تشير إليها من خلالها، ومجموع هذه الصيغ على العموم هي: قال، قيل، حكى، حُكِيَ، روى، رفع إلى.

إضافة إلى هذا نقوم بتتبع أصوات الحكاية للبحث عن الراوي الذي قام بنقل الشيء المقروء ومعرفة موقعه من الأحداث التي قام بنقلها، إذ قد يكون داخلياً وقد يكون خارجياً عن الحكاية، وغرضنا تمييز موقعه من مجمل الحكايات وذكر الموقع الغالب عليه فيها.

ولا نقتصر في هذه الدراسة على البحث عن موقع الراوي إنما نتعدّاه إلى تتبّع كلامه الذي يتراوح بين حكاية أقوال الشخصيات وحكاية أفعالها، وكذا كلام الشخصيات الذي نَصِفُ من خلاله الخطاب الذي جاءت به الشخصية، والذي يندرج تحت ثلاثة أنواع: الخطاب المنقول والخطاب المحوّل والخطاب المسرود.

كما نتطرّق لنمط السرد الذي اتّبعه الراوي في الحكايات، فهو إما اتخذ طريقة السرد التابع أو السرد السابق أو السرد المتزامن أو السرد المتداخل، وكذا سوف نقوم بالبحث عن الرؤية السردية أو الطريقة التي يدرك بها الراوي الحكاية، إذ أثبتت المراجع الخاصة بالسرد أن هناك ثلاثة رؤى للسرد يمكن للراوي تمثّلها، وهي الرؤية من الخلف، الرؤية المصاحبة، والرؤية من الخارج.

وأيضا ندرس الحيّز الزماني وكذا المكاني، وما ينضوي تحت كل من الحيزين من أركان، فقد ظهرت في الحكايات بعض السمات الزمنية التي ميّزتها بالطابع السردي الكلاسيكي كالتسلسل الزمني، كما برزت ميزات أخرى منها المدّة وما ينجر عنها من مفاهيم وصيغ أساسية هي الوقفة، المشهد، التلخيص، والحذف، إضافة إلى عنصر المفارقات الزمنية التي تعني بكل أشكال التنافر بين زمن القصة وزمن الخطاب، في حين نقوم في الحيز المكاني بتعداد الأمكنة التي احتضنت أفعال الشخصيات وأحداثها، وكذا إبراز دورها وقيمتها في التأثير في الشخصيات، فضلاً عن أنها أمكنة تؤثر بطريقة أو بأخرى في إظهار الأوجه الحجاجية التي تبنتها الأمكنة، والتي منحتها ميزتها الخاصة من حيث تأثير المكان في سلوك الفرد وأفعاله وأماكن تواجده، ونحن نتحرى في كل هذا الضبط والإفادة والاختصار.

1. الفواتح النصية:

1. 1. الكلام العربي، السند والمتن:

ينقسم الكلام العربي القديم على جزأين السند والمتن، يتكون السند من سلسلة متتابعة من الأشخاص وصل إلينا الكلام عن طريقهم، وقد تكون هذه السلسلة واقعية كما قد تكون مبتكرة من قبل المتكلم لإضفاء المصداقية على ما يقول، أما المتن فهو يمثل النص الذي يعبّر عن الأحداث والوقائع بواسطة الكلمات، وقد استفاد الكلام العربي من سمات الأحاديث النبوية من حيث طريقة الإسناد وأصبح تقليدا من تقاليد تداول الأخبار، حيث عززته ـ أي الإسناد ـ : " قوة دينية وعُدَّ جزءا من الحديث مما منحه سمة مقدسة جعلته فَيْصَلاً في الحكم على أهمية المروي "[1].

إلا أن دوره في الرواية الأدبية قد ضعف كثيرا ـ مقارنة مع الحديث الذي اتسم بالدقة والضبط وتحري الصواب ـ نظرا للشوب الذي دخل عليه جراء ما يقوم به مجموعة من الرواة في ذكرهم أسماءً لأشخاص لا وجود لهم، منه ما جاء به مصطفى صادق الرافعي، حيث ينقل لنا خبرا عن أبي محمد الأعرابي المعروف بالأسود العلامة النسابة الذي انبرى في القرن الخامس للرد على العلماء والأخذ على القدماء، يقول: " كان لا يستطيع أن يروي بغير إسناد، فكان يسند إلى رجل مجهول يسميه (محمد بن أحمد أبا النداء)، وكان أبو يعلى بن الهيارية يعيِّره بذلك ويقول: من أبو النداء في العالم؟ لا شيخ مشهور ولا ذو علم منشور "[2].

عادةً ما يتصدّر السند أحد الصيغ الاستهلالية التي تأتي في مستبق الكلام والتي تعبّر عن جنس القول الذي يذكره السارد، إذ يحدث أن يبتدِئ الكلام بصيغة " قال فلان

[1]- أماني سليمان داود: الأمثال العربية القديمة دراسة أسلوبية سردية حضارية، ص214.

[2]. مصطفى صادق الرافعي : تاريخ آداب العرب، ص255.

"، كما يمكن أن يبتدئ بصيغة " حدّثنا فلان " أو " حكى لنا فلان "، حيث تمهّد لنا هذه العبارات للعبور للقول أو الحديث أو الحكاية، وقد عبّر عن هذه الصيغ بألفاظ عدّة إلا أننا اخترنا من بينها الفاتحة النصية التي سوف نهتم من خلالها بالعبارة التي تأتي في مستهل السند.

1. 2. مفهوم الفاتحة النصيّة:

سمّيت الفاتحة النصيّة بهذا الإسم: " تيمناً واستئناساً بفاتحة القرآن(...) وتمييزاً لها عن الفاتحة في القرآن جعلتها فاتحة للنص، فهي مفتتحه "[1]، كما تسمى العبارة الاستهلالية أو الجزء من الكلام الذي يذكره المتكلم قبل إلقاء الحكاية أو الخبر أي هو ما يسبق المتن الحكائي، وقد ورد في قاموس السرديات تحت اسم الاستهلال Prologue وهو: " جزء (...) يسبق وإن كان لا يشمل العرضexposition "[2]، ويتوافر في التراث السردي العربي بصيغ مختلفة وهي تعتبر وسيلة يتم بها الربط بين القائل ومصدر الكلام.

1. 3 ـ أنواع الفاتحة النصية:

تشتمل صيغ الأداء على نوعين اثنين:

- " صيغ نوعية: وهي المتصلة بالكلام من حيث طبيعته الجنسية أو النوعية أو النمطية ونجدها في مثل هذه الصيغ: أنشدنا، حدثنا، قال، حكى، حدثني، أخبرنا "[3]، فصيغة < أنشدنا > تحيل إلى أننا أمام أبيات من الشعر، و< حدثنا > تحيل إلى الحديث، بينما صيغة < قال > تشير إلى القول المنقول من شخص إلى آخر، فيما صيغة < أخبرنا > تفيد أننا أمام خبر، فيما كذلك صيغة < حكى >

[1]- أحمد حيدوش : المكان بوصفه فاتحة نصية لفضاء الرواية، مجلة معارف مجلة علمية محكمة، العدد 9، الجزائر، 2010، ص197.

[2]. جيرالد برنس: قاموس السرديات، ص159.

[3]. سعيد يقطين: السرد العربي مفاهيم وتجليات، ص171.

تحيل على ذكر لحكاية ما، إنها صيغ مرجعية ترتبط بمصادر تحصيل الكلام وتمكّننا من تعيين أصوله ومصادره على نحو ما نجد في: رأيت، سمعت من، كنت مع، قرأت، رويت[1]، ونقصد بمصادر تحصيل الكلام الطريقة التي بوساطتها تَوَصَّلَ الراوي إلى ما توصل إليه من معلومات أو أخبار، سواء عن طريق السماع في صيغة < سمعت >، أو الرواية في صيغة < رويت >، أو القراءة في صيغة < قرأت >.

1. 4 ـ أهمية الفاتحة النصية:

يمكننا تحديد أهمية الفواتح النصية في أنها المسؤولة الأولى عن توضيح طبيعة الكلام وأقسامه وأوصافه، كما تبين وجه العلاقة بين هذا الكلام وناقله، كما يمكنها تحديد درجة واقعيته، فالبداية: " هي أهم ما يقرع الأذهان المتلقية ويحدد درجة القبول أو الرفض للتصور المقدم "[2] من قبل المتلقي.

على هذا الأساس يمكننا القول إن: " نوعية الخطاب ودرجة واقعيته أو احتمال وقوعه تتحدد من خلال افتتاحه "[3] ، فعلى سبيل المثال تشير بعض المراجع إلى أن عبارة حدثني: " تحيل على شكل سردي مفتوح غير جاهز ولا محدود، فهو مهيأ لتقبل شيء من الزيادة والنقصان " [4] .

---

[1]. سعيد يقطين: السرد العربي مفاهيم وتجليات، ص171.

[2]. محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1 لبنان، 2008، ص114.

[3]- سعيد يقطين: السرد العربي مفاهيم وتجليات، ص277.

[4]. أحمد العدواني: بداية النص الروائي مقاربة لآليات تشكل الدلالة، النادي الأدبي بالرياض والمركز الثقافي العربي، ط1، لبنان، 2011، ص29.

1. 5. الفاتحة النصية في الحكايات التي تبتدئ بصيغة "حُكِيَ:"

تشتمل صيغة < حُكيَ > على مجموعة معاني سوف نحاول الإلمام بأهمّها على الوجه التالي:

تشير صيغة < حُكِيَ > إلى طبيعة المتن الذي يلي السند أو بتعبير آخر تعرّف بنوع الكلام الذي جاء به القائل، وانطلاقا من هذا الأساس يكون نوع الكلام حسب هذه الصيغة هو الحكاية التي بدورها تشتمل على: " مجموعة من الأحداث أو من الأفعال السردية تتوق إلى نهاية (...) و موجهة نحو غاية، هذه الأفعال السردية تنتظم في إطار سلاسل تكثر أو تقل حسب طول أو قصر الحكاية "[1]، من هنا تبرز مهمة الفاتحة النصية في عدم كونها تقوم ب: " إرشاد القارئ وتوجيهه فقط، ولكن معرفة ما يريد قراءته أيضا "[2].

كما أن الحكاية بدورها تتفرع إلى أنواع وهي في مقامنا هذا من نوع الحكاية الوعظية، إذ يتكون النوع: " عندما تشترك مجموعة من النصوص في إبراز العناصر نفسها "[3] أو الغاية نفسها من الكلام، ما يتطابق مع ما جاء به ابن الجوزي في كتابه < ملتقط الحكايات >، إذ قام بجمع عدد من الحكايات التي تتناسب مع غايته التي أراد إيصالها للمتلقي وهي بعث معانيه الدينية وأفكاره الوعظية، ويعتبر هذا الوعظ بمثابة: " منطق لتسلسل الأحداث السردية "[4] وهو منطق تسير عليه كل الحكايات، حيث تذكر هذه الأخيرة أفعالا لرجال صالحين تعكس زهدهم وتقواهم وخوفهم من الله، ولا تتوقف هذه الخطوة في إيراد الحكايات من قِبَل المؤلف عند حد الذكر، بل تتعداها إلى إتباع أفعال الشخصيات والاقتداء بها، لأنه مهما يكن للمرء من قدرات وأساليب يستثمرها لتربية ذاته

[1]. عبد الفتاح كيليطو: الأدب والغرابة دراسات بنيوية في الأدب العربي، دار توبقال للنشر، ط2، المغرب، 2006، ص39.

[2]. جيرار جينيت: عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص، تر: عبد الحق بلعابد، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2008، ص 121.

[3]. عبد الفتاح كيليطو: الأدب والغرابة دراسات بنيوية في الأدب العربي، ص26.

[4]- المرجع نفسه، ص39.

وتزكيتها فإنه لا يستغني عن وجود قدوة من بني جنسه، تكون له نبراسا في سيره إلى ربه، وإن أفعال العابدين التي تجسّدت في هذه الحكايات لخير قدوة يمكن للمرء أن يسير على نهجها، إذ إن شخصياتها: " تقدم نماذج حية للمحاكاة وأسوة للإتباع دون قدرات خارقة مجاوزة لحدود الطاقة البشرية، مما يجعل عملية التَمَثُّلِ ممكنة ويسلب عنها الاستحالة الملازمة للمحاكاة الأسطورية والخيالية، وهذا فرع آخر للمعرفة الحية يعرف بالتعليم بالأسوة الحسنة والاقتداء بالأخيار وإنما رويت القصص في القرآن لتحقيق هذا الغرض"[1].

من هذا المنطلق تصير هذه الحكايات وسيلة خطابية تواصلية ناجعة في إرساء المثل والمفاهيم الدينية التي تعدّ كنوزاً حكائية، فالحكاية هي ذاتها الكنز الذي تعتدّ به " [2]، لما فيها من جواهر الوعظ والتذكير الذي يطرب النفس ويهز المشاعر الإيمانية السامية.

اشتملت مجموع حكايات ابن الجوزي على ست عشرة حكاية ابتدأت بصيغة "حُكِيَ" المبنية للمجهول، وهي ممثلة في الحكايات: (1، 2، 4، 5، 7، 17، 21، 22، 23، 25، 31، 32، 44، 51، 54، 55)[3] حيث تتوزع وبدون ترتيب على مجموع الحكايات التي أودعها كتابَهُ والتي هي ست وخمسون حكاية، حيث تحكي هذه الأخيرة تارة أحداثا عن أشخاص غير مذكورة أسماؤهم، إلا ما ذكر أو أشير إليه بعبارات تقريبية منها عبارة "حُكِيَ عن بعض جلساء الليث بن سعد"، ومنها ما نُكِّرَ تماما: نجد هذا بارزا في عبارة " حُكِيَ أنه زار قبر النبي ﷺ رجلٌ "، فلفظة < رجلٌ > تخصص الكلام فقط في أن القائل رجلُ لا امرأة، إلى غيرها من العبارات التقريبية الممثلة في الجمل الاستهلالية التالية < حُكِيَ عن بعض الأمراء >، < حُكِيَ عن بعض السلف >، والذي نجد الراوي فيها يذكر

[1]. نبيل حداد، ومحمود درابسة: تداخل الأنواع الأدبية، ص208.

[2]. ينظر: سعيد الغانمي: الكنز والتأويل قراءات في الحكاية العربية، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، لبنان، (د.ت)، ص9.

[3]. ابن الجوزي: مجموعة رسائل ابن الجوزي في الخطب والمواعظ والحكايات والفوائد العامة (ملتقط الحكايات)، تحقيق وتعليق: هلال ناجي ووليد بن أحمد الحسين، سلسلة إصدارات الحكمة، بريطانيا، 2000، ص239، 240، 240، 241، 241، 242، 247، 249، 249، 250، 250، 252، 253، 253، 260، 262، 263، 264، 264، 265.

الإطار العام الذي خرجت من ضمنه الحكاية، فيما نجد الجمل الافتتاحية الأخرى تذكر أسماء الأشخاص الذين تدور حولهم مجريات الحكاية، يظهر هذا في عبارات: < حُكِيَ عن إبراهيم بن أدهم >، < حُكِيَ عن ابن السماك >، < حُكِيَ عن رابعة العدوية >، < حُكِيَ عن إبراهيم التيمي >، < حُكِيَ عن أبي الدرداء> < حُكِيَ عن يوسف بن أسباط > ...، حيث تعتبر هذه الشخصيات وغيرها الأساس والدعامة الرئيسية في بناء أحداث الحكايات.

إن الصيغة الغالبة على الجملة الاستهلالية ذات الفاتحة النصية < حُكِيَ > هي صيغة < حُكِيَ عن (...) قال: ... >، كما أنها وردت بأوجه أخرى منها: < حكي عن (...) فقال: ... >، < حكي عن (...) أنه قال: ... >، زيادة على هذا فقد نجد بعض الاختلافات كذلك في طول وقصر الجملة بين الأداة < عن > ولفظة < قال >، هذا ما نلاحظه في الحكاية رقم 44، حيث يغلب الطول عليها كونها وردت كالتالي: "حكي عن رابعة العدوية أنها جاءها من العباد فذكروا الدنيا فجعلوا يذمونها وهي ساكتة فلما أكثروا أقبلت عليهم فقالت:... "[1]، بحيث يعتبر هذا الفاصل من الكلام الذي بين الأداة < عن > وصيغة < قالت > بمثابة الإطلالة التي يلج من خلالها الراوي إلى صلب الحكاية، في حين تمتاز بعض الحكايات الأخرى بالقصر بين الأداة < عن > ولفظة < قال > وهي في أبسط أشكالها ممثلة في الحكاية رقم 51، إذ وردت جملتها الاستهلالية كالتالي: " حكي عن وهب بن منبه قال: ... "[2] حيث لا نلمس أي مقدمات أو شروح يمهد لنا بها الراوي للحكاية، وهذا يعكس بساطتها إضافة إلى عنصر الاختصار فيها، والذي يساعد القارئ على تثبيت ذهنه نحو غاية معينة وغرض خاص أتت من أجله الحكاية.

[1]- ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص260.
[2]- المصدر نفسه، ص262.

كما يقوم الراوي من خلال لفظة < قال > باستعادة ما جرى أو ما قيل في زمن مضى، وهو عنصر مهم لتوصيل الوعظ الديني، حيث تحمل حكاياتنا أحداثاً ماضية جرت لأشخاص معينين إلا أننا نقوم بقراءتها في زمن حاضر وصلاحيتها تمتد إلى أن تصل للمستقبل، فهي حكايات ذات أبعاد زمنية ثلاثة ماضي حاضر ومستقبل، ماضي ويكون في حدوثها، حاضر ويكون في اللحظة التي يلتقي فيها القارئ بالنص، مستقبل ويكون في امتداد مقاصد النص إلى غاية نهاية زمن القارئ أي نهاية حياته، وكأن الحكاية تدعو المتلقي لعملية ارتحال بواسطة الكلام لاستحضار الشخصيات وأفعالها وأقوالها، وبالتالي الاقتداء بها وبأفعالها، من هنا تظهر العلاقة بين الفاتحة النصية والوعظ الديني الذي يعتبر الغرض العام الذي جاءت به الحكايات ودعت إليه.

كما أن للفاتحة النصية علاقة بالشخصية التي تعتبر عنصرا مسؤولاً عن تجسيد غرض الحكايات، حيث ترتبط صيغة الاستهلال بالشخصيات في كونها: " تفتح أفق توقع لنمط من الوقائع التي تقترن بشخصية محددة الصفات محددة الأفعال " [1]، إذ تمنح الصيغة الافتتاحية < حُكيَ > الحضور الأكيد لشخصية معينة من خلال تمثيلها وتمثيل أفعالها في قالب حكائي سردي معدّد الميزات والصفات والأغراض.

أما فيما يخصّ الراوي فإنه في صيغة < حُكِيَ عن (...) قال: ...> ، راو مجهول وغائب جسداً إلا أن لكلامه حضورا في الحكاية، وهذا ممثل في صيغة < قال > إذ إليه: " تعزى مهمة تشكيل بنية الحكاية بما فيها من حدث وشخصية وفضاء يحتويهما "[2] ، وقد برز دور ابن الجوزي في كونه قد التقط من الحكايات ما كان فيها الراوي ظاهراً، وفي أحيان أخرى ما كان فيها مجهولاً، وهو في الحالة الأخيرة مسؤولٌ عن نقل أحداث الحكاية، وتولي زمام أمورها من حيث منحها قالباً كتابياً أخيراً.

[1]- عبد الله إبراهيم: موسوعة السرد العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، لبنان، (د. ت)، ص245.

[2]. المرجع نفسه والصفحة نفسها.

قام ابن الجوزي الخطيب بطرح مشروعه الوعظي بصيغة جديدة غير الوعظ المباشر، وقد تمثّلت هذه الصيغة في الحكاية، التي تعتبر أوقع في النفس وأجلب للانتباه، حتى إن بعضهم ربط هذا الأثر الذي تحدثه الحكاية في نفس المتلقي بمجهولية الراوي الأصلي لها، وهذا لما يدل عليه هذا الغياب من عمق في التاريخ وعراقة فيه، إذ تمتد أحداثه السردية إلى أزمان سالفة وفي أماكن بعيدة تجعل إقبال النفس عليها كبيرا، فكل قديم كما تصرح بذلك الدكتورة: ناهضة ستار: " أثير على النفس يوقظ مشاعر يختزنها اللاوعي عن ماض ذهني حالم "[1].

هو ما تتوافر عليه الحكايات ذات الصيغ الافتتاحية المبنية للمجهول، إذ لها تأثير قوي على المتلقي، كونها تجعل كل تركيزه ينصب على المادة الخام للحكاية وهي الأحداث بمكنونها الموضوعي، ضاربا عرض الحائط من كان المسؤول الأول أو الأخير عن نقل هذه الحكاية، وبتعبير آخر فإن الجانب الإمتاعي الذي في القص من وجهة نظر المتلقي يعلو على الجانب التوثيقي، من هنا تبرز أهمية الاستهلال ودوره في الجذب والاستقطاب اللذين يمارسهما تأثيرا في ذات المتلقي ووعيه وإدراكه وذوقه.

1. 5. 1. علاقة الفاتحة النصية "حُكِيَ" بمسألة صدق الراوي أو عدمه:

ذكرت آمنة بلعلي في كتابها الحركية التواصلية في الخطاب الصوفي وفي خضم حديثها عن الخوارق في حكايات الصوفية، أن معظم أسانيدها مضللة لم يعتمد فيها كما هو معروف على احترام سلسلة السند التي تدل على صحة الخبر، وقد ربطت غياب هذه الصحة بصيغة < حُكيَ عن > الذي يعتبر حضورها في الحكاية دلالة على عدم مصداقيتها، كونها لا تستحضر أي عنصر من عناصر السند وبالتالي فالحكاية خارجة

[1]- ينظر: ناهضة ستار: بنية السرد في القصص الصوفي المكونات والوظائف والتقنيات syrianstory.com/comment32.4.htm

عن نطاق التصديق[1]، إلا أنني أرى عكس هذا الأمر فتوجّهي أن صيغة < حُكيَ > أصدق من صيغة < قال > في بعض الأحايين ، فعادة ما يشوب الحكايات التي تتصدّرها صيغة < قال > نوع من الكذب والخرق والزيادة، بحيث أن من السهل على بعض الروّاة اختراع سلسلة من السند وجعلها المسؤولة على نقل الخبر أو الحكاية لإضفاء المصداقية عليها، في حين نجد صيغة < حُكيَ > تتسم بالعفوية وعدم التكلف، إذ بمجرد غياب سند الحكاية، وتوافر هذه الأخيرة دون توافر اسم راويها يقوم الراوي الأخير والذي وصلت إليه الحكاية على وجهها الأخير بروايتها مستهلا إياها بصيغة < حُكيَ > دون أي تبديل أو تعديل.

1. 6 ـ الفاتحة النصية في الحكايات التي تبتدئ بصيغة "حَكَى":

وردت صيغة < حَكَى > المبنية للمعلوم أربع مرات، وقد كان ورودها في الحكايات: 8، 30، 36، 52، وهي موزعة على طول المدونة التي تحوي ستّاً وخمسين حكاية، ومقارنة بالصيغ المبنية للمجهول التي وردت في ستّ عشرة حكاية فهي أقل منها بكثير، ما يعني أن الحكاية عند ابن الجوزي قد وردت مجهولة الراوي بنسبة تغلب ورودها معلومة إياه، وهذا راجع ربما لقدم العهد بوقائع تلك الحكايات، وكذا لعدم اهتمام الناس بالأسانيد بقدر اهتمامهم بحفظ هذه الوقائع، كونها تزودهم بأخبار الصالحين من القوم، كما يمثّل التركيز على الأحداث في تلقي الحكاية خطوة إيجابية بالنسبة للمتلقي، وهذا لكونها تدعوه لتتبع تلك الأحداث والاستفادة مما تقدمه له من كنز معرفي حياتي يعينه على تقويم سلوكه والتأثير في أفكاره وتصرفاته.

وردت الفاتحة النصية < حَكَى > في الحكاية رقم 8، شبيهة إلى حدّ كبير بصيغة < حُكِيَ >، فقد وردت الجملة الاستهلالية كالتالي: " حكى عن محمد بن القاسم الفارسي في

[1]- ينظر: آمنة بلعلى: الحركية التواصلية في الخطاب الصوفي من القرن الثالث إلى القرن السابع الهجريين، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص169. 170.

كتاب المصباح قال: ... "[1]، فالفاعل الذي قام برواية الحكاية يكون إما راوياً مستتراً ممثلاً في الفعل < حَكَى>، أو تكون الصيغة الافتتاحية مبنية للمجهول كون عبارة < حكي عن > تأتي خفيفة عند بنائها للمجهول أكثر من بنائها للمعلوم، الأمر نفسه يتكرر في الحكاية رقم36، حيث جاءت جملتها الاستهلالية كالتالي: " حكى عن ابن عمر الزجاج أنه قال: ... "[2]، وكذا الحكاية رقم 52 التي جاءت جملتها الاستهلالية كالتالي: " حكى عن الأعمش أنه قال: ... "[3]، عكس وضوحها وخفّتها في الحكاية 30، فقد وردت جملتها الاستهلالية كالتالي: " حكى أبو علي الدقاق قال: ... "[4]، حيث يقوم ابن الجوزي بنقل كلام أبي علي الدقاق الذي يعتبر هو أيضا راوياً معلوماً يقوم بنقل الحكاية، وقد استعمل في هذا النقل الصيغة الافتتاحية أو الفاتحة النصية المبنية للمعلوم< حَكَى >.

1. 7. الفاتحة النصية في الحكايات التي تبتدئ بصيغة " روى ":

تشير صيغة < روى > إلى أن الكلام منقول بالرواية، حيث شاع لدى العرب قديما حفظ أشعار الشعراء وروايتها والتفاخر بها، ثم انتقل هذا التقليد إلى القصّاص: " فصنعوا الأخبار الكثيرة وأسندوها إلى علماء الأنساب والإخباريين، ليعطوها بذلك معنى التاريخ الذي تثبته الرواية "[5] ، كما تنبؤنا صيغة < روى > بحضور متكلم يلقي الكلام ومستمع يتلقاه، فالسماع أصل الرواية وأساس وجودها، هذا ما نلاحظه في سلسلة الرجال التي تم نقل الكلام عن طريقهم بالسماع حلقة بعد حلقة حتى تصل الرواية إلى قائلها الأخير والمتحدث بها، إذ يتجسد كل هذا في السند الذي هو: " مصدر الخبر المروي (...) (وهو يعني) التثبت في النقل لأنه عملية يقوم بها الراوي تتمثل في إنشاء خيط واصل بينه

[1]- ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص242.

[2]- المصدر نفسه، ص254. 255.

[3]. المصدر نفسه، ص262.

[4]. المصدر نفسه، ص252.

[5]- مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، ص317.

وبين مصدر الخبر"[1] ، وفي هذا الشأن نجد مصطفى صادق الرافعي يقول إن: " كل رجل في سلسلة الإسناد إنما هو قطعة من الزمن تتصل بقطعة إلى قطعة حتى يتهيأ من ذلك مسلك التاريخ ويتضح نهجه كأنك تبصره على رأي العين ويقين الخبرة "[2]، كما أن للسند دورا آخر ناهيك عن كونه يعرفنا بمصدر الكلام ومنشئه و عن كونه يحافظ على صحة الرواية، يتمثل هذا الدور في كونه: " يعطي للمروي ما يسميه رولان بارث أثر الواقع/الواقعيEffet du réel ويوحي بصدقية الحديث بل صدق كونه منقولا عن مصدر "[3].

اشتملت مجموع حكايات ابن الجوزي على خمس حكايات ابتدأت بصيغة < روى > وهي موزعة على الحكايات رقم: (9، 10، 11، 12، 14)[4]، وكلها تنسب الرواية للراوي < أبو سعيد > الذي نقل لنا خمس روايات على لسان أصحابها، مستعملا في ذلك الفاتحة النصية < روى > التي تبرز حضور الراوي الذي تولى مهمة الرواية، ويعتبر ناقلوا هذه الروايات بمثابة الشخصيات الرئيسية الفاعلة في الرواية، كان هذا في الحكاية 9، 11، 14، وتارة أخرى بمثابة الروّاة الناقلين للأحداث التي وقعت لشخصيات أخرى، كان هذا في الحكاية 10، 12، وقد تمثلت هذه الشخصيات في: حجاج الأسود، أبي عبد الرحمن المازني وعبد الوهاب الورّاق وأبي الحسن الثوري ورابعة العدوية.

1. 8 . الفاتحة النصية في الحكايات التي تبتدئ بصيغة " قال" و" قيل":

يتضمن كتاب سعيد يقطين < الكلام والخبر> عرضا موجزا للفرق بين صيغ الكلام العربي والمتمثلة في القول والإخبار، وقد ارتأينا أن نقوم باستعراض هذا الفرق كي يتضح لنا من خلاله مفهوم القول الذي نحن بصدد دراسته، إذ يرى سعيد يقطين أن القول هو: "

[1]. إبراهيم صحراوي: السرد العربي القديم الأنواع والوظائف والبنيات، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2008، ص170.

[2]- مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، ص249.

[3]. إبراهيم صحراوي: السرد العربي القديم الأنواع والوظائف والبنيات، ص172.

[4]- ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص242، 243، 243. 244.

إنجاز الكلام بصدد ما هو قيد الوقوع "[1]، بينما يرى الإخبار بأنه: " إنجاز الكلام بصدد ما وقع "[2]، فالفرق بينهما يتمثل في عنصر الزمن، إذ في القول نجد المتكلم يقول شيئا يتزامن مع وقوعه أو يتحدث عن وضع وقت حصوله، أما في الإخبار فنجده يتحدث عن شيء وقع وانتهى أو مضى وانقضى، ومن خلال الفعل الذي يقوم به هذا المتكلم يتضح لنا القول على أنه الحديث بالكلام أي هو: " الكلام المنثور سوى الخطب والرسائل، ليشمل . فيما يبدو. كل ما يدور بين الناس من أحاديث في حياتهم اليومية ويندرج فيه ما يمكن إدراجه من مناحي الأقوال المختلفة "[3].

من الصيغ التي تشير إلى جنس القول نجد صيغة < قال> في الحكايات السبع والعشرين وهي، رقم (3، 13، 15، 16، 18، 19، 20، 24، 27، 28، 33، 35، 37، 38، 39، 40، 41، 42، 43، 45، 46، 47، 48، 49، 50، 53، 56)[4]، أما صيغة < قيل > فتحضر فقط في الحكاية رقم 6.

تحضر في الحكاية السابقة الذكر أي الحكاية رقم 6 كل من الصيغتين الافتتاحيتين < قيل > و < حكى >، حيث تحضر الجملة الاستهلالية في الحكاية كالتالي: " قيل حثّ بعض العلماء على الصبر، فحكى عن شريح أنه قال: ..."[5]، تتكون هذه الحكاية من قول تليه حكاية والتي تعبّر عنها صيغة < حَكَى >، فالقول هنا بمثابة الداعي لوجود الحكاية وغيابه يؤدي إلى غيابها، فهو بمثابة المقدمة العامة والحكاية تفصيل خاص، وهو يشبه إلى حد ما الأمثلة كونها تقوم بعرض مفصل وخاص لقضية معينة، فقد قيل إن بعض العلماء حثوا على الصبر ومثال من صبر واتقى حكاية شريح، كما يلي هذه الحكاية

---

[1]. سعيد يقطين: الكلام والخبر مقدمة للسرد العربي، المركز الثقافي العربي ط1، المغرب، 1997، ص190.

[2]. المرجع نفسه والصفحة نفسها.

[3]- محمد يونس عبد العال: في النثر العربي قضايا وفنون ونصوص، دار نوبار للطباعة، ط1، مصر، 1996، ص10.

[4]. ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص240، 243، 244، 244. 247، 247، 248، 250، 251، 251. 252. 253، 254، 255، 255. 256، 256، 256. 257، 257. 259، 259. 260، 260، 260. 261، 261، 262، 262. 263، 265. 266.

[5]- المصدر نفسه، ص241.

كذلك قول لأبي إسحاق العابد، حيث يستفيد هذا القول من بنية الموعظة التي ألقاها الرجل على أسماع الحاضرين في المجلس.

أما بالنسبة للحكايات التي تبتدئ بصيغة < قال > فكلها عبارة عن أقوال ترددت على ألسنة العامة وتناقلها الناس، فهي كالثروة الخام التي امتلكها الرجل العربي والتي تعود بدورها إليه لتثري مجالسه بأخبار الأمم السالفة، وقد اكتسبت هذه الأقوال طبيعة الحكاية في مادتها التركيبية من حيث حضور الحدث والشخصية، وهي تتحرى في ذلك الاختصار الشديد، من هذه الحكايات الحكاية رقم (3)[1] التي هي عبارة عن قول نسب للحسن بن الربيع ويحوي أحداثا ومغزى.

من الحكايات التي ابتدأت بصيغة < قال > ما عرف فيها قائل القول، ونجد ذلك في الحكايات رقم: (3، 15، 16، 18، 20، 24، 28، 33، 37، 47، 48، 49، 53)[2]، ومن القائلين بها: الحسن بن الربيع، خلف بن سالم، أبو جعفر المغربي، وهب بن منبه، صالح بن عمرو، سفيان الثوري، علي بن الحسين، منصور بن عمار، ذو النون المصري، أبو الحارث الأوسي، أبو بكر الدقاق، أبو حمزة الصوفي، إبراهيم بن أدهم، ومنها من لم يعرف قائلها حيث اكتفى فيها الراوي بذكر بعض العبارات منها: < قال بعض المشايخ > في الحكاية رقم 19 وكذا الحكاية رقم 35، < قال بعضهم > في الحكاية رقم 27 وكذا الحكاية رقم 45، < قال بعض السلف > في الحكاية رقم 56، وفي حكايات أخرى قام الراوي فيها بذكر صيغة < قال > مجردة من كل من القائل وكذا من عبارات < بعض المشايخ >، < وبعض السلف > أو عبارة < بعضهم >، إذ وردت جملهم الاستهلالية كالتالي: " قال: قال رجل لأبي عثمان: ..."[3] وهذا في الحكاية رقم 13 إذ غاب الراوي ليخلّف وراءه قولا منقولاً عن رجل لم يذكر اسمه، أيضا عبارات " قال

[1]- ابن الجوزي : ملتقط الحكايات، ص240.

[2]. المصدر نفسه، ص240، 244، 244، 247، 247، 248، 249، 250، 251، 252، 253، 255، 261، 262، 263.

[3]. المصدر نفسه، ص243.

حدثني أحمد بن إسحاق البهلولي القاضي، قال: ..."[1] في الحكاية 38، " قال: حدثنا عطاء بن مسلم(...) قال: ..."[2] في الحكاية رقم 39، " قال: حدثني أبو الحسين(...) قال: ..."[3] في الحكاية رقم 40، " قال: أخبرني الليث بن سعد(...) أن ..."[4] في الحكاية رقم 41، " قال: حدثنا ابن مسروق قال..."[5] في الحكاية رقم 42، والتي تتضمن، تقريبا، الخطوات نفسها.

1. 9 . الفاتحة النصية في الحكايات التي تبتدئ بصيغة " عن ":

اشتملت مجموع حكايات ابن الجوزي على حكايتين ابتدأتا بصيغة < عن >، الأولى كانت في الحكاية رقم 26، حيث وردت جملتها الاستهلالية كالتالي: " عن الفضيل بن عياض أنه قال ليلة: ..."[6]، أما الثانية فكانت في الحكاية رقم 34 إذ وردت جملتها الاستهلالية كالتالي: عن بعض السلف أنه..."[7]، إذ تشير أداة < عن > إلى عنصر السند، وهي مختصرة من عبارة < بإسناده عن > وشبيهتها أيضا عبارة < وعنه قوله > أي أن أداة < عن > تشير إلى كل أنواع القول والفعل التي صدرت عن الراوي.

1. 10 . الفاتحة النصية في الحكايات التي تبتدئ بصيغة " رفع إلى ":

اشتملت مجموع حكايات ابن الجوزي على حكاية واحدة ابتدأت بصيغة < رفع إلى >، كانت في الحكاية رقم 29 حيث وردت جملتها الاستهلالية كالتالي: " رفع إلى عمر بن عبد العزيز أن ابنه اتخذ خاتما(...) فكتب إليه:..."[8]، إذ يظهر معنى < رفع إلى >

---

[1]- ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص255

[2]. المصدر نفسه، ص256.

[3]. المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[4]. المصدر نفسه، ص257.

[5]. المصدر نفسه، ص259.

[6]. المصدر نفسه، ص250.

[7]. المصدر نفسه، ص253.

[8]. المصدر نفسه، ص252.

على أن عمر بن عبد العزيز قد تلقى خبرا عن ابنه، وأن هذا التلقي يكون إما بالسماع أو عن طريق قراءة رسالة تحوي هذا الخبر، حيث تحمل هذه الفاتحة النصية أو الصيغة الافتتاحية ما مفاده أن عمر بن عبد العزيز قد وصل إليه خبر عن ابنه، إلا أنها لا تظهر الوسيلة التي وصل بها هذا الخبر، إلا أن المرجح هنا هو أن الخبر قد وصل عن طريق السماع.

2 . الراوي والموقع:

2 . 1 ـ تعريف الراوي أو السارد:

يعتبر الراوي أو السارد بمثابة القناة التي تقوم بنقل الأحداث والوقائع عن طريق روايتها أو سردها، أو: " هو الواسطة بين مادة القصة والمتلقي "[1]، حيث تكوّن هذه الأحداث الحكاية التي يتم تداولها وروايتها، وعلى هذا الأساس يصبح الراوي هو المسؤول الوحيد عن هذا النقل أو عن هذا الحكي، يعرَّفُ بأنه: " الشخص الذي يروي القصة أو هو الصوت الخفي الذي لا يتجسد إلا من خلال ملفوظه وهو الذي يأخذ على عاتقه سرد الحوادث ووصف الأماكن وتقديم الشخصيات ونقل كلامها والتعبير عن أفكارها ومشاعرها وأحاسيسها "[2]، ولهذا الراوي أشكال: فقد يكون داخلياً باعتبار مشاركته في أحداث الحكاية بوصفه شاهداً، أو باعتباره شخصية من شخصياتها الذي يقوم بتولي مهمة الرواية، وقد يكون خارجياً باعتباره هو الذي قام بنقل أحداثٍ لا علاقة له بها سوى كونه قام بسماعها من أحدهم وأعاد روايتها لغرض خاص.

[1]- عبد الله ابراهيم: المتخيل السردي مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة، المركز الثقافي العربي، ط1، لبنان، 1990، ص61.

[2]. المرجع نفسه والصفحة نفسها.

2 . 2 ـ الحكايات ذات الراوي الخارجي:

نعني بالراوي الخارجي الراوي الذي يقوم بنقل أحداث الحكاية ولا يكون شخصية من شخصياتها، حيث يقتصر دوره على نقل الحكاية فقط دون إسهام منه في سير أحداثها، وقد مثّلت حكاياتنا مزيجا بين الراوي الخارجي والداخلي، فمن الحكايات التي مثّلت الراوي الخارجي الحكايات رقم:(1، 2، 4، 5، 6، 7، 8، 9، 10، 11، 13، 14، 17، 18، 20، 22، 23، 25، 29، 30، 31، 32، 34، 36، 38، 39، 40، 41، 42، 44، 51، 52، 54، 55)[1]، كما أن أغلب هذه الحكايات التي كان فيها الراوي خارجيا عن أحداث الحكاية كان أيضا مجهولا غير معروف اسمه، وقد ارتبط وضع الراوي هذا بصيغ "حُكِيَ" و " قيل"، ومن بين الحكايات التي مثّلت هذه المسألة الحكاية الأولى التي تصدرت الكتاب، ونحن لا نتحدّث هنا عن الراوي الأخير ابن الجوزي ـ والذي خرجت على يديه الحكاية من ثوبها الشفاهي لتكون أثرا مدونا لأقرب صورة مطابقة لواقعها الفعلي، دون أن نبالغ لنطابق الصورتين كون هذا التطابق في الرواية الأدبية يمثل وجها من وجوه الاستحالة إلا نادرا ـ إنما نتحدّث عن الراوي المتضمن في الحكاية سواء باسمه أو بضميره الذي يعبّر عنه، كون ابن الجوزي قد التقط هذه الحكايات من مصادر عدّة ولا ينتمي إليها لا من قريب ولا من بعيد، بل لها روّاتها الذين قاموا بروايتها وإشاعتها، وما ابن الجوزي إلا مسهم في هذه الحكاية بطريقة أخرى ولغاية أخرى كذلك.

تحوي هذه الحكاية على خبر أودعه ابن الجوزي كتابه وهو خبر مجهول الراوي، ينقل عن إبراهيم بن أدهم ـ المعروف بالزهد ـ مقابلة وعظية بينه وبين رجل جاء يسأله حديثا عن الزهد يلين به قلبه إذ نجد السائل يقول: " أنا رجل مسرف على نفسي وأردت أن تحدّثني بشيء من الزهد لعلّ الله يلين قلبي وينوره ".

[1]- ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص239، 240، 240. 241، 241، 241. 242، 242، 243، 243. 244، 247، 248. 249، 249. 250، 250، 252، 252. 253، 253، 253. 254، 254، 255. 256، 256، 256. 257، 257. 259، 259. 260، 260.

الراوي في هذه الحكاية راوٍ خارجيٍ وليس شخصية من شخصيات الحكاية، حيث نجده يروي خبرا عن شخصيتين لا علاقة له بهما سوى ما يضمّه الحوار الذي جمعهما من معاني لفتت انتباه ابن الجوزي، إذ كان هدف الشخصية الأولى (السائل) إحياء نبض الإيمان في القلب، وكان هدف الشخصية الثانية (الزاهد) بذل العطاء لبعث شمائل المعاني الإيمانية والروحية في النفوس، ومن الملاحظ أن لا أحد من الشخصيتين قام بسرد أحداث هذه الحكاية، ولكي يتضح لنا، من قام بذلك إذن، وجب علينا أن نطرح السؤال التالي: من نقل للراوي الأخير والمتمثل في ابن الجوزي أحداث هذه المقابلة؟

الراوي الخارجي المجهول الذي يتخفى في صيغة < حُكِيَ > هو الذي قام بنقل هذه الحكاية، وقد نتخيّل جماعة من الرواة من وراء هذه الصيغة مثلما نتخيّل راويا واحدا، إذ لا تسمح لنا هذه الأخيرة بتحديد الراوي، فقد يكون راوياً شريكاً في المجلس خارج عن المقابلة فيكون بمثابة شاهد متتبع لمسار الحكي سمع الحكاية مشافهة واكتفى بالمشاهدة وبنقل هذه المقابلة، وإشاعتها بين العامة ليتم تداولها بينهم، إلى أن وصلت للراوي الأخير ابن الجوزي الذي قام بتدوينها في كتابه < ملتقط الحكايات >.

إذن يصبح ابن الجوزي هنا مؤلف للحكاية كونه من خلق لها الصورة المكتوبة والنهائية، التي لا تخضع للزيادة والنقص وهذا لما للكتابة من أهمية في حفظ الأثر الأدبي وصيانته من التحريف والتبديل.

حكاية أخرى كان فيها الراوي خارجيا هي الحكاية رقم(9)[1] والتي تدور أحداثها في الأحلام، وهي من نوع الحكايات التي تتعلق موضوعاتها: " برؤية الأحياء للموتى في أثناء النوم ومخاطبتهم ومساءلتهم عن مصائرهم أو مصائر غيرهم "[2]، حيث اعتبرها محمود عبد الرحيم صالح ـ أي المنامات ـ فنا من فنون النثر في الأدب العباسي، كما

[1]- ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص242

[2]. محمود عبد الرحيم صالح: فنون النثر في الأدب العباسي، دار جرير للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2011، ص183.

ذكر بأنها تُروى عن الصالحين بسند صحيح أو حسن أو ضعيف بهدف العظة والعبرة، ويكون الراوي هو بطلها أي هو صاحب المنام أو الرؤيا، وهو يتمثل في هذه الحكاية في شخصية < حجاج الأسود > الذي قصّ رؤياه عن أصحاب القبور، حيث كان قصّ الرؤيا هذا: " حافزا لتشكل الحكي "[1]، الذي انتشر ونما ليصبح جزءً لا يتجزأ من كيان البيئة العربية الأصيلة.

قام < الحَجَّاج > في هذه الرواية بقصّ رؤياه على < أبو سعيد >، إذ نجد ضمير المتكلم الذي يعبر به الحجاج عما رآه في نومه هو الغالب على الأحداث، وهو يظهر في أفعال منها:< رأيت >، < دخلت >، < بكيت >، < قلت >، و< استيقظت >، في حين أن < أبو سعيد > والذي قام بسماع الرؤيا أعاد بدوره سردها أو روايتها، ليصير هو الراوي الخارجي في الحكاية، وقد مثّل الوضع نفسه في الحكاية رقم (14)[2]، إذ نجده يروي حكاية عن < رابعة العدوية > التي وقع في بستان لها جراد، فلمّا رأت ذلك المنظر ذكرت الله فابتعد كل الجراد عن البستان، وهو في هذه الحكاية غير مشارك في أحداثها التي تدور فقط حول رابعة العدوية ، ولا هو شاهد عنها أيضا سوى سماعه الحكاية وإعادة روايتها.

حكاية أخرى تدور أحداثها حول الشخصية نفسها < رابعة العدوية > كان راويها خارجيا إلا أنه غير معروف، هي الحكاية رقم (17)[3]، ففيها تجتمع هذه الشخصية مع أحد الفتية على متن قارب في البحر فتعصف الريح، لتطلب منه أن يدعو الله بالنجاة فيرفع رأسه ويومئ إلى الريح لتسكن ، فلا هي قامت برواية هذه الحكاية ولا الفتى فعل ذلك إنما قام بذلك راوٍ خارجي، وهو غير معروف كون الحكاية استُهِلت بصيغة < حُكِيَ عن >، إلا أنه من المحتمل أن يكون شريكا لهما في القارب ذلك ما يدلّ عليه قول رابعة

[1]. آمنة بلعلى: الحركية التواصلية في الخطاب الصوفي، ص177.

[2]- ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص243. 244.

[3]. المصدر نفسه، ص247.

العدوية: " ركبتُ البحر ومعنا فتى شاب "، فلفظة < معنا > تشير إلى أن القارب لم يحوِ فقط رابعة العدوية مع الفتى، بل كان معهما آخرون، وربما يكون راوي هذه الحكاية من بين هؤلاء، وهذا محض احتمال.

حكاية أخرى مثّلت الراوي الخارجي هي الحكاية رقم (30)[1]، وفيها يحكي الراوي < أبو علي الدقّاق > خبر رجل ورث مالاً فحفظها عن طريق التصدّق بها، فما احتاج طول حياته إلى شيء، حيث لا علاقة ولا واسطة تربط الراوي بالحكاية سوى سماعه خبر هذا الرجل الذي تصدّق بماله ليعيد روايته.

2 . 3 ـ الحكايات ذات الراوي الداخلي:

الراوي الداخلي هو الراوي المشارك في أحداث الحكاية إضافة إلى روايته لها فهو إما أن يكون: " مجرد شاهد متتبع لمسار الحكي يتنقل أيضا عبر الأمكنة ولكنه لا يشارك مع ذلك في الأحداث، وإما أن يكون شخصية رئيسية في القصة "[2]، إذ تكون هذه المشاركة للراوي باعتباره شاهداً أو بطلاً، وقد حضر هذا الراوي في الحكايات رقم: (3، 12، 15، 16، 19، 21، 24، 26، 27، 28، 33، 35، 37، 43، 45، 46، 47، 48، 49، 50، 53، 56)[3].

وما يميز كل هذه الحكايات حضور الراوي فيها بروايته للحكاية ومشاركته في أحداثها، سواء كان هذا الراوي بطلا تدور حوله كل أحداث الحكاية، فيطغى ضمير المتكلم عليها كونه يتكلم عن تجربته الذاتية، أو يحكي عن أحد ارتباطاته بالآخرين، ومن الحكايات التي كان فيها الراوي عنصرا لا غنى عنه، الحكاية رقم 43، إذ تحوي خاطرة شغلت بال الشخصية الرئيسية أو البطل في الحكاية والذي هو الراوي نفسه < أبو الحارث

[1]. ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص252.

[2]. حميد لحمداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص49.

[3]. ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص240، 243، 244، 244، 247، 248، 249، 250، 250، 251، 251، 251، 252، 253، 255، 260، 260، 261، 261، 262، 265، 266.

الأوسي > الذي يروي الحكاية عن نفسه، والتي يكون هو بطلها الرئيسي الذي لا وجود للحكاية بدونه، يظهر هذا في أول ما قاله الراوي في الحكاية: " طرحت نفسي ليلة تحت شجرة فلما كان جوف الليل سمعت..."[1] بعدها يشرع في سرد أقوال هاتف النفس الذي يحدثه عن حال العباد وتفريطهم في دينهم واشتغالهم بدنياهم، فالأفعال: طرحتُ، سمعتُ، تشير إلى أن الحال يخصّ المتكلم وأن الحكاية بأكملها تدور حول تجربته الشخصية.

حكاية أخرى كان فيها الراوي داخليا وبالأخص مشاركاً في الحكاية عن طريق ارتباطه بأحد شخصياتها، هي الحكاية رقم 45، إذ إن علاقة الراوي بهذه الحكاية تتمثل في سؤاله البطل عن حاله مع أحد رفاقه الذي توقف عن مصاحبته، فهو بمثابة المستفسر أو المتدخل بسؤاله بين شخصيتي الحكاية ليصير راويها والمتحدث بها، والذي بدوره قام بإشاعتها، إلا أن اسمه غائب في الحكاية، فقد تصدّرتها عبارة " قال بعضهم" إلا أنه بقي بصوته حاضرا في الحكاية وساردا لأقوال الشخصيات وأفعالها، وموقعه داخل الحكاية كونه هو الذي قام بسرد الوضع الذي حلّ ب: < ابن زمعة > مع الغلام الجميل الذي كان لا يكاد يفارقه، فقد كان بمثابة الصحفي الذي يطرح أسئلته على الجمهور، إذ إن أول ما قاله الراوي عبارة " رأيت مع ابن زمعة غلاما جميلا لا يكاد يفارقه، ثم افترقا..."[2] وهي العبارة التي تبين وجه الارتباط الحاصل بين الراوي وبطل الحكاية، فالراوي قد رأى مع < ابن زمعة > غلاما جميلا وكان لا يبتعد عنه أبدا، فسأله عن سبب التفرقة ليجيب البطل بأنه خاف فتنة هذا الغلام على نفسه، فابتعد عنه من غير بغض، محبة أن يلقاه يوم تجتمع الأحباب.

حكاية أخرى هي الحكاية رقم 46، كان فيها الراوي داخليا أو مشاركا في الحكاية تمثّلت علاقته بالبطل في كونه مشاركا في المجلس، يظهر هذا في عبارة: " كنت عند

[1]- ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص260.

[2]- االمصدر نفسه، ص260.

سهل بن عبد الله التستري الصوفي "[1]، وكذلك عبارة " فوقف علينا غلام جميل "[2] التي تدل على أن السارد كان من أحد أعضاء المجلس الذي عقده أحد المتصوفة رفقة آخرين، هو مجلس < سهل بن عبد الله التستري الصوفي >، كان إذن، من بين الحاضرين في المجلس من قام بسرد هذه الحكاية وإشاعتها حتى وصلت للراوي الأخير ابن الجوزي الذي قام بإيداعها في كتابه ، إلا أن اسم الراوي قد غاب هنا أيضا، بحيث استهل ابن الجوزي الحكاية بعبارة < قال بعضهم > وهذا ربما لطول العهد بزمن وقوع الحكاية التي غاب سندها بطول الزمن.

ومن الحكايات التي كان فيها الراوي كذلك داخليا الحكاية رقم 48، إذ تتمثل علاقة الراوي < أبو حمزة > بالحكاية في كونه رأى راهباً في بلاد الشام وهو يكلّم غلاما له جميلاً من النصارى ويتبسم إليه، يظهر هذا في عبارة " وقفت على راهب في بلاد الشام..."[3] إلا أنه قد راعه أمر الراهب في تبسّمه للغلام حتى قال له: " لا ينبغي لمن هو في طريقك أن يتبسّم في وجه من لا يَأْمَنُ فتنته "[4] فعلاقة الراوي بالبطل تتمثل في رؤيته للموقف الذي ربط الراهب بالغلام وبكلامه له و إسدائه النصيحة، وهنا يكتسب الراوي صفة المشاركة في الحكاية فيكون راويا داخليا.

ما يغلب على حكاياتنا ذات الراوي الداخلي وجه العلاقة التي تربطه بالبطل، فهو في أحيان عديدة يرى حال البطل ليبادر بسؤاله عنه واستفساره عن وضعه، ليبدأ البطل بسرد حالته على السائل، فينقل هذا السائل كلام البطل ليصبح سارداً للحكاية، هذا ما طبع حكايات عديدة، إذ طالما صادفتنا عبارات من كلام الراوي، منها: " رأيت في بعض

[1]. ابن الجوزي: ملتقط الحكايات ص260، 261.

[2]. المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[3]. االمصدر نفسه، ص261.

[4]. المصدر نفسه والصفحة نفسها.

الجبال شابا (...) فقلت من أنت؟ ..."[1] كان ذلك في الحكاية رقم 56، وكذلك عبارة " وصف لي جارية عابدة، فسألت عنها، فقيل: هي في دير خراب، فأتيت الدير، فإذا جارية قد أثر الليل فيها، فسلّمت وقلت: ..."[2] (الحكاية رقم 53)، وكذا العبارة " دخل عليّ أبو الحجاج الجرجاني يوما(...) فقلت له: ..."[3] (الحكاية رقم 50)، كل هذه العبارات وغيرها تقوم بإظهار شكل العلاقة التي تربط الراوي بالحكاية والتي جعلته راويا داخليا.

2 . 4 ـ علاقة الفواتح النصية بموقع الراوي (داخلي/ خارجي):

أغلب الحكايات التي كان فيها الراوي داخليا افتتحت بصيغة < قال >، حيث يتكلّم فيها الراوي عن نفسه وعن تجربته مع البطل، وسواء أعُرِفَ اسم الراوي أم لم يعرف فالمسألة تتعلق بكلام الراوي المتضمن في الحكاية سواء بحضور اسمه أم بغيابه، فعدد الحكايات ذات الراوي الداخلي 22 حكاية وقد ظهرت صيغة < قال > في 19 حكاية من هذا المجموع ناهيك عن الحكاية رقم 26، والتي ابتدأت بصيغة: " عن الفضيل بن عياض أنه قال ليلة: ..."[4] والتي تشترك مع الحكايات الأخرى في صيغة < قال >، أما أحد الحكايتين المتبقيتين فأولاهما تحمل صيغة < حُكِيَ >، إذ وردت جملتها الاستهلالية كالتالي: " حكي عن إبراهيم التيمي أنه قال:..."[5] كان هذا في الحكاية رقم 21، أما الثانية فتحمل صيغة < روى > إذ وردت جملتها الاستهلالية كالتالي: " روى أبو سعيد قال: ..."[6]، كان هذا في الحكاية رقم 12، فإبراهيم التيمي في هذه الحكاية هو الذي يحكي إلا أن المتلقي لم يتلق منه، إنما تلقى من الذي تلقى عنه، إذن سمع من الذي سمع ولم يسمع من القائل مباشرة، في حين أن الحكايات الأخرى ذات الراوي الخارجي قد غلبت

[1]. ابن الجوزي: ملتقط الحكايات ، ص265.
[2]. المصدر نفسه، ص262. 263.
[3]. المصدر نفسه، ص262.
[4]- المصدر نفسه ، ص250. 251.
[5]. المصدر نفسه، ص249.
[6]. المصدر نفسه، ص243.

عليها صيغ: < حَكَى>، < حُكِيَ >، < روى >، < قيل >، والتي يظهر من خلالها بعد الراوي عن الحكاية وعدم ارتباطه بها إلا مجرد روايتها.

3 ـ كلام السارد وكلام الشخصيات:

يظهر في أي حكاية كانت صوتان، صوت السارد الذي يقوم برواية أحداث الحكاية، وصوت الشخصية الذي يُنطقُها الراوي والذي يتواجد في صلب تلك الأحداث، فباستطاعتنا، إذن، التفريق بين الصوتين انطلاقا من تتبع الحكاية وكذا تتبع مصدر الكلام، وارتأينا أن نشرع أولا في دراسة كلام السارد الذي بدا لنا كالتالي:

3 ـ 1 ـ كلام السارد:

تتمثل مهمة الراوي في سرد أحداث الحكاية وتنسيق مادتها وإنطاق شخصياتها، إلا أن ما نقصده بكلام السارد الكلام الذي ينطق به هو ولا يشير به إلى صوت الشخصية، إنما إلى صوته حين تعبيره عن أحداث الحكاية وإخباره عن وقائعها ، ويتخذ صوت السارد شكلين فقد يحكي الأحداث والوقائع والأفعال كما قد يحكي الأقوال ويعبر عن الأفكار.

من المؤكد أن لا وجود لأية حكاية تخلو من صوت السارد كونه المسؤول الأول عن وجودها، هذا ما يدعونا إلى أن نقتصر تحليلنا على بعض الحكايات فقط، منها الحكاية الأولى التي تصدرت الكتاب حيث يسرد فيها الراوي أقوال الشخصية ويخبر عن أفكارها.

تدور أحداث الحكاية حول مقابلة وعظية بين زاهد وسائل جاء يسأله قضية إيمانية، حيث تشتمل الحكاية على شخصيتين والسارد، أي على صوتين وصوت السارد، إلا أن ما يهمّنا في هذا المقام هو صوت السارد الذي يظهر ابتداءً من أول كلمة في الحكاية، فمن مهامه أن يمهّد لأقوال الشخصيات فينطق هو قبل إنطاقها، ومن العبارات التي تمثل

كلام السارد في هذه الحكاية نجد: " حُكِيَ عن إبراهيم بن أدهم أن رجلاً أتاه فقال: "[1] فهو في هذه العبارة يمهّد لحكاية أقوال شخصية إبراهيم بن أدهم، وبمجرد أن يقوم بإنطاق الشخصية الأولى المتحاورة والمتمثلة في الزاهد، يقوم بتمهيد آخر يخص الشخصية الثانية فنجده يقول: < قال إبراهيم: >، تليها عبارات: < فقال: >، < قال: >، < فقال: >، كل هذه العبارات تمثل كلام السارد، إذ أن غياب هذه الخطوات من السارد تجعل الحكاية تكتسب بنية الحوار على خشبة المسرح، إذ تتجرّد المسرحية من مثل هذه التمهيدات التي تخص السارد فقط.

يقوم السارد في هذه الحكاية بسرد الأقوال Récit de paroles، حيث سمى < جينيت > هذه الأخيرة تسمية مناسبة هي: " أنماط إعادة إنتاج خطاب الشخصيات وفكرها في الحكاية الأدبية المكتوبة "[2]، حيث يقوم السارد فيها باستعمال لفظة < قال> التي تدل على أن الشخصية تلفّظت بكلام ولم تقم بفعل، وبمجرد عودتنا للحكاية نلاحظ بأنها تقوم أساسا على حكاية أقوال الشخصيتين المتحاورتين، هذا ما تدل عليه لفظة < تُحَدِثَنِي> في الكلام الذي تلفّظ به السائل مخاطباً الزاهد حيث نجده يقول: " وقد أحببت أن تحدثني بشيء من الزهد لعلّ الله يلين قلبي وينوّره "[3] وهذا ما يدل على أن الحكاية كلّها تقوم على الحديث أو القول لا الحدث أو الفعل.

يظهر أيضا كلام السارد بوضوح في الحكاية رقم (28)[4]، حيث تدور أحداثها حول أحد جيران < علي بن الحسين > وهو من المتعبدين الأتقياء، حيث سألوه أن يتزوج فاشترى جارية، إلا أنها سلبت منه حلاوة الذكر فبعث أخ له برسالة إليه يعظه فيها، فاتعظ بها وهجر جاريته وتمسك بدينه إلى أن مات.

---

[1]- ابن الجوزي : ملتقط الحكايات، ص239.

[2]- جيرار جينيت: عودة إلى خطاب الحكاية، تر: محمد معتصم، المركز الثقافي العربي، ط1، المغرب، 2000، ص63.

[3]- ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص239.

[4]- المصدر نفسه، ص251. 252.

يقوم السارد في هذه الحكاية بسرد الأفعال أو الأحداث Récit d'évènements، ويعرفها جيرار جينيت على أنها: " نقل لغير لفظي (أو لما يفترض أنه غير لفظي) إلى ما هو لفظي "[1]، أي يقوم فيها السارد بسرد الوقائع التي حصلت للشخصيات أكثر من نقل كلامها، وما يميز هذا النوع من الحكايات غلبة الأفعال عليها، حيث يقوم فيها السارد بتتبع حالة المتعبد, إذ كان أول أمره رجلاً صالحاً تقياً مخلصاً لربه، فدفعه أصحابه إلى الزواج، فاشترى جارية، فألهته عن عبادته، ثم انتقل السارد إلى أخ هذا المتعبد الذي بعث له برسالة ينصحه فيها بالرجوع إلى أول حاله، وفيها حكاية أقوال تعبر عن هذا الوعظ، يعود بنا بعدها إلى بطل الحكاية الذي وافاه الكتاب وهو في مجلس سروره، فنهض من مجلسه، وكسر آنيته، وهجر جاريته، كل هذه الأحداث قد أحاطت بالبطل والتي قام السارد بنقلها عن طريق < حكي الأفعال >.

إضافة إلى هذا، فقد قام السارد بالتمهيد لكلام الشخصيات في الحكاية عن طريق صيغ القول، إذ نجده يعبر عن إقبال الجارية إلى العابد بقوله: " فأقبلت إليه الجارية وقالت "[2]، ثم يضيف ممهداً لكلام العابد: < قال: >، إلى غيرها من العبارات التي تجسّد كلام السارد.

3 . 2 ـ كلام الشخصيات:

جسّدت أول حكاية تصدّرت كتاب ابن الجوزي < ملتقط الحكايات > كلام الشخصيات، وهذا لأن الحكاية تمثّل مقابلة وعظية أساسها الحوار أي الأخذ والردّ في الكلام بين الشخصيتين المتحاورتين، إذ يندرج كلام الشخصيات في هذه الحكاية ـ حسب تمييز جينيت الذي كان معياره المعتمد في التصنيف مقدار الدقة في نقل الكلام ـ

[1]- جيرار جينيت: خطاب الحكاية بحث في المنهج، ص181.

[2]- ابن الجوزي : ملتقط الحكايات، ص251، 252.

بين: " الخطاب المنقول Rapporté (الأسلوب المباشر) و الخطاب المحول Transposé (الأسلوب غير المباشر) "[1].

ففي الخطاب المنقول: " يترك السارد الكلام للشخصية مباشرة وينقله كما تلفظت به أي بشكل حرفي "[2]، وهو ما يتجسد في الحكاية في لفظة < قال > المتبوعة بالنقطتين اللتين تدلان على أن القول منقول حرفيا، يظهر هذا مثلا في كلام شخصية < إبراهيم بن أدهم> إذ نجد السارد يقول: " قال إبراهيم: إن قبلت مني ست خصال أوصيك بها فلا يضرك ما عملت بعدها "[3] حيث سبق هذا الكلام عبارة < قال إبراهيم: > المتبوعة بالنقطتين، وهو يمثّل أقصى درجة الدقة في نقل الكلام.

أما في الخطاب المحوّل فالسارد: " يحافظ على مضمون الكلام الذي يفترض أن الشخصية تلفّظت به، ولكن بإدماجه نحويا في قصة السارد "[4]، ذلك ما نجده في الحكاية نفسها على النحو التالي: " فقال وما هي "[5]، " قال فإذا كان المشرق و المغرب والبر والبحر والسهل والجبل رزقه، فمن أين آكل؟ "[6]، إذ تغيب النقطتان بعد لفظة " قال" في كلتا العبارتين، وهذا ما يفتح المجال للتساؤل حول سبب ذلك، ومن ثم افتراض ما يلي: إن القول منقول حرفيا فغابت النقطتان لغياب أسباب حفظ الحكاية كنص، أو أنه من نوع الخطاب المحوّل الذي تصرّف فيه السارد بإدماج كلامه نحويا في القصة.

حكاية أخرى برز فيها خطاب الشخصيات هي الحكاية رقم (5)[7]، إذ تدور أحداثها حول شخصيتين رئيسيتين وأخرى ثانوية، الشخصية الرئيسية الأولى تتمثل في أحد وزراء

---

[1]- محمد بوعزة: الدليل إلى تحليل النص السردي تقنيات ومناهج، ص93. 94.

[2]- المرجع نفسه، ص93.

[3]- ابن الجوزي : ملتقط الحكايات، ص239.

[4]. محمد بوعزة: الدليل إلى تحليل النص السردي تقنيات ومناهج، ص94.

[5]- ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص239.

[6]- المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[7]. المصدر نفسه، ص240. 241.

< أنو شروان> وهو الوزير < بزر جمهر الحكيم>، بينما الشخصية الرئيسية الثانية فتمثّل الحاكم < أنو شروان > الذي غضب على وزيره، حيث يبدأ صوت هذه الشخصيات أو كلامها في الظهور عندما يستعين كسرى أنوشروان بأحد أصحاب الوزير للوصول إلى موقع حبسه لمعرفة لفظه، وهنا ينقل لنا الراوي كلام الشخصيات بأسلوب مباشر، وهو من نوع الخطاب المنقول، فمن كلام شخصية أنوشروان نجد: " أدخلوا عليه أصحابه ومروهم أن يسألوه عن حاله ويفاتحوه في الكلام "[1]، وقد سبق هذه العبارة عبارة السارد: < فقال أنوشروان: > المسبوقة بالنقطتين، والتي تدل على أن السارد لم يتصرّف في كلام شخصيات حكايته، حيث تستولي العبارات التي تدلّ على القول ـ والتي تتبعها النقطتين ـ على الحكاية، مثالها عبارات: < فقال أنو شروان:... >، < فقالوا له: أيها الحكيم:...>، < فقال: إني عملت ...>، حيث منح السارد من خلالها للشخصية حرية التعبير عن نفسها بنفسها من خلال < حكاية الأقوال>، وربما يعود هذا الأمر إلى غاية ابن الجوزي في هذا المقام، إذ قام بسرد الحكاية سرداً تلقائياً محتفظاً بتسلسل الأحداث وبمواقف الشخصيات وبكلامها غير متلاعب بها، فلم يعر اهتمامه لإبراز الأوجه الفنية والجمالية للحكاية، التي ربما تلهي عن مضمونها، إنما ابتغى من ورائها عرض موقف الصبر الذي تحلّى به الوزير أنوشروان في عدم مبالاته بالشدة التي ابتلي بها في السجن، وأن لا أنيس له غير ذكر الله في أوقات الشدة والضيق، وربما كان ذلك من فعل الطباعة، والمخطوطة الأصلية هي التي تفصل في ذلك.

يظهر أيضا كلام الشخصيات في الحكاية رقم 9، حيث يدور موضوعها حول الرؤيا التي رآها الحجاج خلال نومه، والتي قام بقصّها على الراوي < أبو سعيد >، حيث تعتبر شخصية الحجاج الشخصية الناطقة في الحكاية والمعبرة عن انشغالها، كونه البطل الرئيس لأحداثها، حيث نستمع لصوتها الذي يقوم الراوي بإيصاله لنا عبر ثلاث خطوات

[1]- ابن الجوزي : ملتقط الحكايات، ص240، 241.

متتالية كل خطوة يمهّد لنا فيها السارد بصيغة < قال: > المتبوعة بالنقطتين لنقل خطاب الشخصية، فمن كلامها نجد: " رأيت في المنام كأني دخلت المقابر "[1]، " فبكيت عندما رأيت ذلك، وقلت: يا رب لو شئت لساويت بينهم في الكرامة "[2]، " فاستيقظت من كلمته فزعا مرعوبا "[3]، هي ثلاثة أقوال تمثل صوت البطل في الحكاية حيث يترك الراوي < أبو سعيد > الفرصة للبطل كي يقص رؤياه بلسانه.

4 . نمط السرد والرؤية السردية:

4. 1. نمط السرد:

أشار الدكتور صلاح فضل في كتابه بلاغة الخطاب وعلم النص إلى أربعة أنماط للسرد، هي السرد اللاحق والسرد السابق والسرد المتزامن، وأخيرا السرد المتداخل[4]، إلا أن السرد الغالب في حكايات ابن الجوزي هو السرد اللاحق أو التابع Narration ultérieure وهو: " السرد الذي يقوم فيه الراوي بذكر أحداث حصلت قبل زمن السرد بأن يروي أحداثا ماضية بعد وقوعها "[5]، ومن مظاهره كما تذكر ذلك أماني سليمان داود[6] تتابع الجمل الفعلية التي ترتكز على الفعل الماضي، تصدّر الفاء الجمل الفعلية مما يضمن الترتيب والتتابع، ومن الحكايات التي جسّدت هذا النمط من السرد نجد الحكاية رقم 5، والتي تدور أحداثها حول < كسرى أنوشروان > الذي غضب على وزيره < بزر جمهر الحكيم >.

---

[1]- ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص242.

[2]. المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[3]. المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[4]. ينظر : صلاح فضل: بلاغة الخطاب علم النص، ص310.

[5]. عبد الحميد بورايو: القصص والتاريخ التمثيل الرمزي لحقب من التاريخ الإجتماعي الجزائري، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وفي علم الإنسان والتاريخ، الجزائر، 2005، ص51.

[6]- ينظر: أماني سليمان داود: الأمثال العربية القديمة دراسة أسلوبية سردية حضارية، ص244.

يبدأ السارد بسرد مجريات أحداث الحكاية التي تعرض المشكل الذي وقع لوزير كسرى أنو شروان، حيث قام هذا الأخير بحبس وزيره في بيت كالقبر عقاباً له على فعله الذي لم يفصل الراوي في ذكره، فلم يشر إليه إلا إشارة عابرة فقط وذلك في قوله < فغضب عليه >، ثم يعرض بعدها مباشرة مجموع الخطوات التي قام بها < كسرى أنو شروان > لمعاقبة وزيره في مجموعة أفعال تجسدت فيها مظاهر السرد التابع من حيث تتابع الأفعال الماضية: < حبسه، صفده، ألبسه، أمر> وبالتالي تتابع الجمل الفعلية التي ترتكز على هذه الأفعال وذلك في قوله: " فغضب عليه كسرى أنوشروان، فحبسه في بيت كالقبر، وصفّده بالحديد، وألبسه الخشن من الصوف، وأمر أن لا يزاد على قرصين من الخبز(...) فأقام شهرا لا يسمع منه لفظة "[1]، زيادة على هذا نجد الفاء تتصدّر الجمل الفعلية: < فغضب عليه كسرى>، < فحبسه في بيت كالقبر>، < فأقام شهرا لا يسمع منه لفظة >، حيث يقوم السارد من خلال هذه الجمل ذات الأفعال الماضية بسرد أحداث وقعت في الماضي أي أن زمن وقوعها قد سبق الحديث عنها أو بعبارة أدق فإن الحديث عنها قد تلا وقوعها.

حكاية أخرى ظهر فيها السرد التابع، هي الحكاية رقم 10، تدور أحداثها حول شخصية < مجمع التيمي > الذي باع ثوبا من أثوابه، إلا أن الذي اشتراه منه سرعان ما أعاده إليه بسبب عيب رآه فيه، فبكى مجمع برده تشبيها لهذا الثوب بعمله منذ أربعين سنه خوفا منه أن يردّ عليه بعيب واحد، حيث ظهرت في هذه الحكاية الجمل الفعلية الماضية التي تتصدّرها الفاء في قول السارد: " اتخذ مجمع التيمي ثوبا فتفوه فيه فباعه، فذهب به الذي اشتراه، فرأى فيه عيبا فرده عليه، قال فبكى مجمع برده "[2]، حيث تتوالى في هذه العبارة الأفعال الماضية: < اتخذ ، تفوّه ، باعه ، ذهب ، اشتراه ، رأى ، ردّه ،

[1]- ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص240. 241.

[2]. المصدر نفسه، ص243.

بكى >، إذ تحضر كل هذه الأفعال الماضية في الحكاية التي لا يتجاوز عدد أسطرها الخمسة أسطر، وهذا ما يؤكد قوة حضور السرد التابع في الحكاية.

تتوزع مثل هذه الجمل الماضية المتتابعة على طول الحكايات، حيث نجد من بينها ما قاله ذو النون المصري في الحكاية رقم 16: " وُصِفَ لي مجنون في جبل اللكام من أهل المعرفة، فقصدته، فلقيني جماعة من المتعبدين، فسألتهم عنه "[1]، كذلك قول الراوي في الحكاية رقم 28، وذلك في معرض حديثه عن أحد المتعبدين يقول: " فصلى حتى تورمت قدماه، وبكى حتى مرضت عيناه، فاجتمع إليه أهله وجيرانه، وسألوه أن يتزوج، فاشترى جارية "[2]، كذلك قول إبليس في الحكاية رقم 52 : " أما علمتم أني عبدت الله في سماء الدنيا ألف عام فسميت العابد، فرُفِعتُ إلى السماء الثانية فعَبَدتُ الله ألف سنة فسُميتُ الزاهد، فرفعت إلى السماء الثالثة فعبدت الله تعالى ألف عام فسميت الراغب، فرفعت إلى السماء الرابعة فرأيت فيها سبعين ألف صفّ من الملائكة يستغفرون الله لمن يحب أبا بكر وعمر، ثم رفعت إلى السماء الخامسة فوجدت سبعين ألف صفّ يلعنون مبغضي أبي بكر وعمر "[3]

إضافة إلى هذا، فقد تظهر معالم السرد التابع في أولى عبارات الحكاية، ليواصل الراوي بعدها سرد بقية مجرياتها، حيث يظهر من خلال كلامه أنه في سبيل حكي وقائع حصلت منذ زمن ماضٍ، إذ تتوزع هذه العبارات على مجمل الحكايات، نجد من بينها: " **كان** عندنا رجل من العلماء عليه دَينٌ "[4]، روى أبو سعيد أن رابعة العدوية **وقع** في بستان لها جراد "[5]، " **كان** في الحرم رجل ينسب إلى الجنون "[6]، " **كنت** ببيت المقدس جالسا مع

[1]. ابن الجوزي: ملتقط الحكايات ، ص244. 245.
[2]- المصدر نفسه، ص251. 252.
[3]. المصدر نفسه، ص262.
[4]. المصدر نفسه، ص240.
[5]. المصدر نفسه، ص243. 244.
[6]. المصدر نفسه، ص244.

رجل "[1]، " **صامت** امرأة من بني إسرائيل ستين سنة "[2]، " لما **حُبستُ** أُدخلتُ مكانا ضيقا "[3]، إلى غيرها من العبارات التي تثبت أن السرد جاء متأخرا عن الحدث وأن الحدث تقدم عن السرد.

يطغى هذا النوع من السرد التابع على كل الحكايات التي جاء بها ابن الجوزي في كتابه ملتقط الحكايات، وذلك نظرا إلى أن وقائعها التي ترتبط نوعا ما بالحقيقة قد جرت في زمن سبق زمن السارد الذي قام برواية أحداثها، فلا يليق بهذا الأخير أن يتبع نمطا آخر من السرد غير السرد التابع أو اللاحق، فهو الوحيد الذي يحقق غرض هذا النوع من الحكايات.

4. 2 . الرؤية السردية:

نعني بالرؤية السردية: " الكيفية التي يتم بها إدراك القصة من طرف السارد "[4]، حيث تفيد المراجع حول هذا المجال من دراسة النص السردي إلى وجود ثلاث رؤى للسرد بوسع السارد تمثّلُها، الأولى أن يكون الراوي أكبر من الشخصية أي أن يعلم في الحكاية أكثر مما تعلمه الشخصية عن نفسها وتسمى الرؤية من الخلف[5] Vision par derriére ، كما أن: " أول مؤشر على الرؤية من الخلف هو استعمال ضمير الغائب في السرد"[6]، الثانية أن تتساوى معرفته مع معرفة الشخصية: " فلا نطّلع على الأحداث إلا وقت وقوعها ولا نعرف تعليقات الشخصيات إلا لحظة قيامها بذلك "[7]، وتسمى الرؤية

---

[1]. ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص244.

[2]. المصدر نفسه، ص247.

[3]. المصدر نفسه، ص249.

[4]. محمد بوعزة: الدليل إلى تحليل النص السردي تقنيات ومناهج، ص58.

[5]. عمر عيلان: في مناهج تحليل الخطاب السردي، ص93.

[6]. محمد بوعزة: الدليل إلى تحليل النص السردي تقنيات ومناهج، ص60.

[7]. عمر عيلان: في مناهج تحليل الخطاب السردي، ص93.

مع[1] Vision avec، ويشير حميد لحمداني إلى أن هذا النوع من الرؤية يستخدم فيه ضمير المتكلم أو ضمير الغائب، وأن الراوي في هذا النوع إما أن يكون شاهداً على الأحداث أو شخصية مساهمة في القصة[2]، أما الثالثة فتكون فيها: "حقيقة الشخصيات غائبة عن إدراك الراوي الكلي "[3]، أي يكون الراوي أصغر من الشخصية و يفوق علمها علمه، أو لا يقول إلا ما تدلي به الشخصية عن نفسها، فلا يعلم مكنوناتها ولا ما تفكر فيه، وهو هنا مجرد معبّر وواصف لما يرى، وتسمى الرؤية من الخارج Vision par dehors.[4]

نقل لنا الروّاة من خلال هذه الحكايات وقائع حصلت لأشخاص معينين وغير معينين، وقد تمّت هذه الوقائع وانتهى أمرها منذ زمن، أي أن الراوي في سرده كان ملمّا بالحكاية بأكملها، وهو ما له علاقة بنمط السرد الذي تحدثنا عنه في العنصر السابق وهو السرد التابع، وفيه نجد الراوي: " لا يبدأ إلا بعد انتهاء الحكاية أي بعدما يكون القائم بالسرد على علم تام بتفاصيل متنه الحكائي "[5]، إذ قد غلب على الحكايات الرؤية من الخارج التي يكون فيها علم الراوي أصغر من علم الشخصية، فهو محدود المعلومات سوى ما تقوله الشخصية عن نفسها أو ما تتحدث به مع قريناتها في الحكاية، ومهمته لا تتجاوز التعبير عما يراه من الخارج، هذا ما يحضر في بعض الحكايات، فعلى سبيل المثال نجد الراوي يقول في الحكاية رقم 54 واصفا أحد الشباب: " كنت أتكلم يوما بجامع المدينة فوقف عليّ شاب حسن الوجه حسن الثياب فاخر الثياب، ومعه أصحابه، فسمعني أقول: عجباً لضعيفٍ يعصي قوياً فتغير لونه وانصرف "[6]، يظهر من خلال هذا القول أن الراوي يقتصر في كلامه على الوصف الخارجي للشخصية، إذ قام بوصف الوجه والثياب

[1]- عمر عيلان: في مناهج تحليل الخطاب السردي، ص93.

[2]- ينظر: حميد لحمداني: بنية النص السردي، ص48.

[3]. عمر عيلان: في مناهج تحليل الخطاب السردي، ص93.

[4]- المرجع نفسه والصفحة نفسها.

[5]. عمر عبد الواحد: بنية الخبر دراسة في طوق الحمامة لابن حزم، دار الهدى للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004، ص118.

[6]- ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص263.

والحركة التي تمثّلت في الانصراف، ولم يحط بنفسية الشخصية، ما تثبته عبارة:< فتغير لونه وانصرف >، حيث لا يعلم ما الشعور الذي اعترى الشاب سوى كونه قام بالانصراف.

حكاية أخرى مثّلت الرؤية من الخارج هي الحكاية رقم 56، ففيها يقول بعضهم: " رأيت في بعض الجبال شابا أصفر اللون، غائر العينين، مرتعش الأعضاء، لا يستقرّ على الأرض، كأن به وخز الأسنة، ودموعه تتحادر"[1]، إذ تمثّل هذه الجمل بعض الأوصاف التي رآها الراوي، والتي ظهرت على هذا الشاب في حين غاب عنه ما يدور بخلده، فهنا يستسلم الراوي أمام وضع الشاب، ولا يستطيع تفسيره إلا إذا أدلى هذا الشاب نفسُهُ بعواطفه، وبالتالي تتفوّق الشخصية على الراوي في المعرفة.

تحضر في الحكايات بعض العبارات توهم بحضور الرؤية من الخلف، أي التي يعلم فيها الراوي أكثر مما تعلمه الشخصية، إلا أن هذا محض إيهام توهّمناه من خلال كلام الراوي، حيث إن بعض الحقائق لا تصل إلى الراوي إلا بعد سماعه كل أحداث الحكاية ورغم هذا يقوم بذكرها قبل الوصول إلى هذه النهاية، فيتوهّم المتلقي بأن الراوي يعلم ما لا تعلمه الشخصية، هذا ما حصل في الحكاية رقم 40، ففيها يقوم الراوي < أبو الحسين محمّد بن إسحاق بن عبد الله التمّار > بسرد خبر أحد جيرانه الذي تصدّق بمال له، إذ نجده يقول: " كان في جوارنا فلان فتصدق ليلة على ضرير اجتاز به يعرفه، وكان في كمّه صرتان إحداهما فيها دنانير، وفي الأخرى دراهم، فأراد أن يعطيه درهماً فأعطاه دينارا، فانصرف الضرير وهو لا يشك أن معه درهماً "[2] فعبارة: < أراد أن يعطيه درهما فأعطاه دينارا > أتى بها الراوي لتوضيح الحكاية، ففي حقيقة الأمر لا المتصدق بماله ولا الضرير في وقت حصول هذا الحدث يعلمان بأمر الخلط بين الصرتان إلا أن الراوي

[1]- ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص265.

[2]- المصدر نفسه، ص256. 257.

كونه ألمّ بكل الحكاية ذكر هذا الأمر قبل أوانه، إذ هو نفسه ـ أي الراوي ـ لم يعلم بأن المتصدق بأمواله قد سلّم للضرير الصرة التي كانت فيها الدنانير بدل الصرّة التي كانت فيها الدراهم إلا بعد أن وصلت أحداث الحكاية إلى ذهاب الضرير إلى البقّال لتسديد ديونه وإرجاع الباقي، فظهر بذلك على أنه يعلم أكثر مما تعلمه الشخصية، ثم إن الراوي أضاف عبارة: < فانصرف الضرير وهو لا يشك أن معه درهما> التي تظهره على صورة الراوي العليم بكل صغيرة وكبيرة في الحكاية، وكأنه حضر وقت تسليم الصرّتين وعلم ما كان فيهما من دراهم أو دنانير.

تقلّ في الحكايات رؤى السرد إلا ما ظهر منها هنا وهناك، كون هذه الحكايات تتراوح بين الأخبار والأقوال والمواعظ والحكم والإرشادات، إذ قلّما نعثر على سرد مكثّف لمجموعة أحداث متواصلة تكوّن لنا حكاية توصف نوعا ما بالطويلة، فمعظمها تتراوح بين الخمسة و العشرة أسطر، إنما علينا القول إن مجمل هذه الحكايات تغلب عليها الرؤية من الخارج، كون الراوي في هذه الحكايات يعتمد على الوصف الخارجي للشخصيات، لأن هذه الحكايات لا تهتم بذكر العواطف والمشاعر إنما تركّز على الأحداث والأقوال التي تحوي عبراً ووعظاً، في حين تنعدم الرؤى الأخرى، كون الراوي فيها يتلاعب بمادته السردية التي أبدعها على طابعه الخاص وعلى رؤياه السردية الخاصة، التي تحوي قدرا من الجمالية والفنية التي تغيب عن مثل حكاياتنا، بسبب طبيعة هذه الأخيرة التي تتصف بقدر من الواقعية.

5 ـ الزمن والمكان السرديان:

5. 1. الزمن السردي:

تدور دراستنا للزمن السردي حول النظام الذي يحكم سير أحداث الحكايات التي بين أيدينا، حيث تمتاز بطابعها الإخباري الذي طالما شاع في البيئة العربية القديمة وبين

أوساط العرب، وهي تنقل أخبارا ووقائع مضى وانتهى حدوثها، ولسنا هنا في سبيل البحث عن الزمن الذي جرت فيه هذه الوقائع كأفعال لها إطارها الزمني الخاص بها، إنما نقوم بتسليط الضوء على الزمن السردي الخاص بالخطاب، أي الزمن الذي يبرز من خلال اللغة التي تشكّل المادة الحكائية التي أسهمت في خلق الحكاية بوصفها نصاً سردياً، ومن أهم العناصر السردية الزمنية التي امتازت بها هذه الحكايات أو الأخبار نجد:

5. 1. 1. التسلسل الزمني:

تشتمل مجموعة حكاياتنا على أخبار تخص السلف الصالح من العرب، حيث تحكي وقائعاً وأحداثاً حصلت لهؤلاء والتي تتّسم بالتتابع المنطقي أي بتسلسل أحداثها، إذ لا يسبق الحدث الثاني الحدث الأول، ولا يتأخر هذا الأخير عن الحدث الثاني، إنما تترتّب هذه الأحداث في الحكايات على وفق الترتيب الطبيعي لحدوثها، وهي تمتاز بنمط السرد التقليدي إذ تجسّد مفهوم: " التوالي السردي "[1]، كون أحداثها قد اتّسمت بالتسلسل من نقطة البداية حتى النهاية، ومن الحكايات التي تمثّل هذا النوع الحكاية: (2، 3، 5، 7، 10، 16، 17، 20، 21، 22، 28، 30، 31، 33، 34، 36، 38، 40، 41، 53)[2].

جاء على سبيل المثال في الحكاية رقم 10 المقطع التالي: " اتّخذ مجمع التيميّ ثوباً فتفوّه فيه فباعه، فذهب به الذي اشتراه، فرأى فيه عيبا فردّه عليه "[3]، حيث يسود أفعال هذا المقطع التسلسل الزمني المنطقي، إذ قد تم سردها بطريقة مماثلة لحدوثها في الحقيقة وقد مثّلنا للأحداث ولتسلسلها بمجموعة أرقام وحروف متتابعة حسب تتابع الأحداث في الحكاية، وقد حصل أن ظهرت على الشكل التالي:

---

[1]- أحمد العدواني: بداية النص الروائي مقاربة لآليات تشكل الدلالة، ص256.

[2]. ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص240، 240. 241، 241. 242، 243، 244. 247، 247، 248. 249، 251. 252، 252، 252. 253، 253، 253. 254، 254، 255. 256، 256. 257، 257. 258، 262. 263.

[3]. المصدر نفسه، ص243.

1: _____ 2 : _____ 3: ____ 4: _____5: ____

أ: اتّخذ التيمي ثوبا. ب: تفوّه فيه. ج: باعه. د: ذهب به الذي اشتراه. هـ: رأي فيه عيبا.

_____6:

و: ردّه عليه.

لا نجد في هذه السلسلة من الأفعال فعلا يتقدم عن آخر أو يتأخر عليه، إنما تنتظم في خط زمني متسلسل، فقد باع مجمع التيمي ثوبه بعد أن تفوّه فيه، وردّه إليه الذي اشتراه بعد أن رأى فيه عيبا، حيث إن العناصر الستّة المشكلة لهذا المقطع، والتي أسميتها أ، ب، ج، د، هـ، و، بناء على ترتيب ظهورها في الحكاية، تشغل في القصة المواقع الزمنية: 1، 2، 3، 4، 5، 6 على التوالي أو على الترتيب.

في حين جاء في الحكاية رقم 20 ما يلي: " فلم يزل أبو عامر يعظ وينذر ويبشّر إلى أن ماتت النفوس والقلوب، واشتاقت النفوس إلى الجنة، فوقعت الموعظة في قلب الغلام، وتغيّر لونه، ثم نهض إلى أمه فبكى عندها بكاء طويلاً "[1]، حيث تتسلسل أفعال هذا المقطع وتترتب بانتظام على الشكل التالي:

1: _____ 2: _____ 3: _____ 4:

أ: وقعت الموعظة في قلب الغلام. ب: تغيّر لونه. ج: نهض إلى أمه. د: بكى عندها بكاء طويلاً.

[1]- ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص248.

نلاحظ أن العناصر الأربعة المشكلة لهذا المقطع: أ، ب، ج، د، تترتّب بناء على ترتيب ظهورها في الحكاية، وهي تشغل في القصة المواقع الزمنية: 1، 2، 3، 4، على التوالي.

تتضمّن أيضاً الحكاية رقم 38 سردا لأحداث متسلسلة يقوم بحكايتها الراوي، وقد تجسّد هذا التسلسل في المقطع التالي: " كان أبي مَلِكَ كبش، فمات، فملك أخي الأمر بعده، فكرهت المقام بكبش، فجمعت مالي وعيالي وخرجت، فلما سرت إلى نهر بلخ وجدته جامداً (...) فحمل الكلب، قال: فركبت فرسي ابناً لي طفلاً فوضعته بين يدي على سرجي وحرّكت دابتي، فسرت إلى الجانب الآخر، وتركت عيالي وأسبابي بالأثقال التي معهم، فلما توسّطوه انخسف بهم، فمضوا بأسرهم داخل النهر(...) فجاع الصبي، فاضطرب، وبكى، قال فأخذته، فأنزلته عن دابتي وطرحت عليه فروا كان علي، وجعلت أطوف في البرية رجاء أن يسنح لي صيدٌ أو شيء فآخذه لقوت الصبي "[1].

يقوم الراوي في هذا المقطع من الحكاية بسرد أحداث متسلسلة زمنيا انطلاقا من البداية حتى النهاية، وهي أحداث وقعت له ولعائلته نتيجة خروجهم من بلدهم متجهين إلى مكان غير مذكور، حيث إن أوّل فعل قام به كونه كره المقام بكبش وهو المكان الذي تولى أخوه ولايته بعد وفاة أبيه فخرج من البلد، إلى غاية طوافه بالبرية سعياً في صيد يقتات به هو وابنه، حيث يمكننا إظهار هذه الأحداث في الجدول التالي:

[1]- ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص255.

السارد(رب العائلة)	العائلة	الصبي
ـ جمعت مالي وعيالي ـ خرجت ـ سرت إلى نهر بلخ ـ ركبت فرسي إبناً لي طفلاً ـ وضعته بين يدي على سرجي ـ حرّكت دابتي ـ سرت إلى الجانب الآخر ـ أخذته فأنزلته عن دابتي (أي الصبي) ـ طرحت عليه فرواً كان علي ـ جعلت أطوف في البرية	ـ لمّا توسّطوه (النهر) انخسف بهم ـ مضوا بأسرهم داخل النهر	ـ جاع الصبي ـ اضطرب وبكى

تنتمي حكاياتنا إلى جنس الخبر، كونها تحوي أخبارا عن أحداث وقعت لأشخاص معروفين تارة ومجهولين تارة أخرى، وتمتاز هذه الأحداث بنظام التسلسل حيث جاء في خواص الخبر: " تأكيده على نقل الواقعة الإخبارية نقلا متتابعاً دون إجراء أي انحرافات تخلخل بنية متنها "[1]، وتتجلى هذه الانحرافات في عدم الالتزام بالترتيب الخطي في نقل

[1]- ينظر: عبد الله إبراهيم: المتخيل السردي مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة، ص108.

الأحداث، أي بتقديم أحداث وتأخير أخرى من حيث المسار الزمني لحدوثها، ولقد حصل أن توافر في حكاياتنا وجهٌ من هذه الانحرافات تمثّل في عنصر المفارقات الزمنية.

5. 1. 2. المفارقات الزمنية:

" يتميّز زمن الخطاب عن زمن القصة مثلما يذهب إلى ذلك " تودوروف " كون زمن الخطاب خطي وزمن القصة متعدد الأبعاد يمكنه احتواء عدة أحداث لحظة واحدة "[1]، حيث يظهر في خلال هذا القول، شكل آخر من أشكال إخراج الأحداث في الحكاية غير الخطية الزمنية أو الترتيب أو التسلسل، يتمثل هذا الشكل في تقديم حدث عن مساره الزمني وتأخير آخر، أي عندما يحصل عدم تطابق بين نظام السرد ونظام القصة، وهو ما يسمى بالمفارقات الزمنية إذ نجدها تدلّ على: " كل أشكال التنافر بين الترتيبين الزمنيين الترتيب الزمني للقصة والترتيب الزمني للحكاية "[2]، ويمكن للمفارقة أن: " تعود إلى الماضي أو إلى المستقبل وتكون قريبة أو بعيدة من لحظة الحاضر أي عن لحظة القصة التي يتوقف فيها السرد، من أجل أن يفسح المكان لتلك المفارقة "[3]، ومن بين أشكال المفارقة التي نجدها في الحكايات ما يلي:

5. 1. 2. 1. الاسترجاع:

يمثّل الاسترجاع Rétrospection[4]، شكلا من أشكال المفارقة الزمنية، وهو يظهر من خلال عودة السارد في سرده إلى مرحلة سابقة في الزمن، كأن يحكي واقعة حصلت في زمن معين ليعود بعدها لمرحلة قبل هذه الواقعة، أي أنه يعود للماضي قبل اللحظة

[1]- ينظر: الشريف حبيلة: مكونات الخطاب السردي مفاهيم نظرية، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن، 2011، ص32.
[2]- ينظر: جيرار جينيت: خطاب الحكاية بحث في المنهج، ص51.
[3]- حميد لحمداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص74. 75.
[4]- عمر عيلان: في مناهج تحليل الخطاب السردي، ص100.

الأولى من الزمن، فالاسترجاع : " يشكّل بالقياس إلى الحكاية التي يندرج فيها ـ التي ينضاف إليها ـ حكاية ثانية زمنيًا تابعة للأولى "[1].

تستند معظم حكاياتنا على تقنية الاسترجاع كونها تحكي أحداثا وقعت في زمن مضى، حيث يقوم الراوي بإعادة استحضار وقائعها الماضية في الحاضر، أما فيما يخصّ الاستباق فهو في الحكايات غائب تماماً، وهذا لطبيعته الفنية التي لا تتماشى مع عفوية وبساطة الحكايات التي أتى بها ابن الجوزي.

يحضر الاسترجاع في الحكاية رقم35، حيث يظهر كلام السارد على الصورة التالية: " رأيت في بعض أسفاري شيخا كبيرا قد طعن في السن، فسألته عن حاله، فقال: كنت في بدء أمري أهوى ابنة عم لي وتهواني، وتزوجتها، فقلت لها في ليلة زفافها: نشكر الله الليلة كيف جمعنا، فصلينا إلى الصباح فلما كانت الليلة الأخرى فعلنا مثل ذلك ولنا منذ أربعين سنة كل ليلة أقول: يا فلانة أليس نحن على ذلك؟ فتقول بلى "[2].

تناول السارد في هذا المقطع حادثة أسبق من حيث المنطق الزمني، إذ تتجسّد الحكاية الأولى في مرحلة شيخوخة الرجل الذي يروي حكايته مع زوجته، أما المرحلة السابقة التي قام بالرجوع إليها عن طريق السرد فهي مرحلة شبابه انطلاقا من ليلة زفافه بتلك المرأة، حيث نجده يعتمد على أداة < كنت > في قوله: < كنت في بدء أمري أهوى ابنة عم لي وتهواني >، إذ يعود السارد وهو شيخٌ إلى سرد خبر زواجه بابنة عمه التي أحبها وأحبته، وهو خبرٌ يعود لمرحلة أسبق في الزمن تتمثل في مرحلة شبابه، وهو بذلك يبدأ سرده من النهاية رجوعاً للبداية من حيث ترتيب الأحداث حسب وقوعها، وعلى هذا الأساس يمكننا تمثيل هذه العملية في الجدول التالي:

[1]. ينظر: جيرار جينيت: خطاب الحكاية بحث في المنهج، ص60.

[2]- ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص254.

الزمن	الأحداث
الزمن الحقيقي (زمن القصة).	1-: الشاب يهوى ابنة عمه 2-: تزوجها 3-: قال لها في ليلة زفافها: " نشكر الله الليلة كيف جمعنا " 4-: صلوا حتى الصباح 5-: في الليلة الأخرى فعلوا مثل ذلك 6-: بعد أربعين سنة يحكي كل هذا.
الزمن السردي (زمن الخطاب) الذي وقع فيه استرجاع لأحداث وقعت قبل زمن السرد.	1-: الشيخ الكبير الطاعن في السن يحكي قصته مع ابنة عمه (فعل القص) 1-1-: كنت أهوى ابنة عم لي وتهواني 2-1-: تزوجتها 3-1-: قلت لها في ليلة زفافها: " نشكر الله الليلة كيف جمعنا " 4-1-: صلينا إلى الصباح 5-1-: لما كانت الليلة الأخرى فعلنا مثل ذلك 2-: لنا منذ أربعين سنة كل سنة أقول: يا فلانة أليس نحن على ذلك؟

تمثّل الجمل التي تحمل الأرقام: 1.1/ 2.1/ 3.1/ 4.1/ 5.1/ استرجاعا، حيث عاد من خلالها السارد لفترة ماضية تَذَكَرَهَا عندما سئل عن حاله، ليعود بعدها لعرض حاله في الحاضر في الجملة الأخيرة التي تحمل الرقم 2، وبهذا يقوم بسرد أحداث وقعت قبل موعد قيامه بفعل السرد بسنوات عديدة، أي أن السرد قد تأخّر عن الحدث.

يظهر الاسترجاع أيضاً في الحكاية رقم 38، حيث جاء فيها: " (...) فمرّ بنا رجلُ مقطوع اليد والرجل، قال: فقال لي رجلٌ: سل هذا عن مصيبته(...)، قال: فدعوته فسألته أن يحدّثني بحاله، فقال: كان أبي ملك كبش، فمات فملك أخي الأمر بعده، فكرهت المقام بكبش، فجمعت مالي وعيالي وأهلي وخرجت..."[1]، و يتابع الراوي سرد الأحداث المأساوية التي وقعت له، إذ تتعرّض عائلته للموت، ثم يكمل المسير مع ابنه ليصيبه بسهم الصيد خطأً، بعد ذلك تُقطعُ يدهُ ورجلهُ ويطرحُ على القارعة لاتهامه بقطع الطريق.

يظهر لنا من خلال الحكاية أن السارد يمثّل رجلاً مقطوع اليد والرجل، يتبيّن هذا في عبارة: < مرّ بنا رجل مقطوع اليد والرجل >، وهي آخر مرحلة وصل إليها السارد إلا أنها تذكر في الأسطر الأولى للحكاية، ما يعني أن السرد في هذه الحكاية يبدأ من النهاية ليعود لذكر الأحداث التي أدّت به لهذا الأمر، في عملية استرجاع، حيث يظهر ابتداءً من قول السارد: < كان أبي ملك كبش فمات فملك أخي الأمر بعده فكرهت المقام بكبش فجمعت مالي وعيالي وأهلي وخرجت > حيث يمثّل هذا الحدث الأخير في العبارة، أوّل حدث في سلسلة الأحداث التي أدّت إلى حصول المأساة، إلا أن السارد بعد ذكره لكل ما وقع له في الماضي، يعود لفترة حاضرة في السرد وهذا في عبارة: < فحملني إلى هاهنا فأنا مقيم >، وهي العبارة التي تمثّل النهاية في الخطاب أي في السرد، والبداية في القصة أي في سير الأحداث على وفق التسلسل المنطقي، كون الراوي بدأ بسرد الأحداث التي وقعت له وهو في مكة مكان إقامته.

[1]- ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص255.

ما يميّز الاسترجاع في الحكايات التي أودعها ابن الجوزي كتابَه < ملتقط الحكايات >، أن السارد فيها يبدأ مباشرة بتشغيل ذاكرته للعودة بذهنه لمرحلة أسبق من مرحلة فعل السرد، وهو ما سمي بالحكاية الثانية، في حين أن الحكاية الأولى لا تظهر في الحكاية إلا في بضع كلمات يستنبطها القارئ من الحكاية.

ويظهر الاسترجاع أيضا في الحكاية رقم45، حيث تحمل العبارة الأولى من هذه الحكاية الحدث الأول والأخير في سير أحداثها، حيث جاء فيها: " رأيت مع ابن زمعة غلاما جميلا لا يكاد يفارقه ثم افترقا "[1]، فالسارد في هذه الحكاية قد رأى غلاما مع ابن زمعة لا يكاد يفارقه، وما لبث حتى رآهم قد افترقا، فسأل ابن زمعة عن سبب هذه التفرقة، وهنا يبدأ بذكر السبب بواسطة عملية استرجاع لمرحلة تسبق فعل السرد تتمثّل في قوله: " إني خفت فتنة هذا الغلام على نفسي، فصارمته عن غير قلى ولا بغض "[2]، وهنا يخالف ذكر أحداث الحكاية الترتيب المنطقي لحدوثها، حيث إن هذا الفعل الذي قام به ابن زمعة هو الذي أدى إلى الفرقة، أي أن هذه الأخيرة تأتي متأخرة عن السرد، ومع هذا فهي في الحكاية تسبق جميع الأحداث ما يدلّ على أن الحكاية تشتمل على استرجاع، ولتوضيح أكثر نقوم بتشكيل الجدول على النحو التالي:

[1]- ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص260.

[2]. المصدر نفسه والصفحة نفسها.

الزمن	الأحداث
الزمن الحقيقي(زمن القصة)	ـ رأى السارد مع ابن زمة غلاما جميلا لا يكاد يفارقه ـ خاف ابن زمعة من فتنة الغلام على نفسه ـ صارمه من غير قلى ولا بغض(افترقا)
الزمن السردي(زمن الخطاب)	ـ رأى السارد مع ابن زمعة غلاما جميلا لا يكاد يفارقه ـ ثم افترقا ـ سأل السارد الغلام ما سبب الفرقة فلم يعرف السبب ـ ثم سأل ابن زمعة فأجابه أنه خاف فتنة هذا الغلام على نفسه

5. 1. 3. المدّة Durée:

نقوم في هذا المظهر السردي بعملية مقارنة بين مدّة القصة(مقيسة بالثواني والدقائق والساعات والأيام والشهور والسنين) ومدّة الحكاية أو طول النص(المقاس بالسطور والصفحات)، إذ إن من أشكال هذه المدّة: الحذف و الوقفة والمشهد والمجمل.

5. 1. 3. 1. الحذف أو القطع [1] Ellipse:

وهو يعني: " القفز عن مراحل زمنية تطول أو تقصر متصلة بالحكاية، فيتم الإغفال الكلي والمطلق للأحداث خلال هذه الفترة الزمنية "[2]، ومن علاماته أن الراوي يكتفي فيه بالقول مثلا: ومرّت سنتان.

نجد للحذف حضورا في الحكاية رقم5، حيث جاء فيها: " حُكِيَ عن بزر جمهر الحكيم الذي كان وزيرا لأنوشروان، فغضب عليه كسرى أنوشروان، فحبسه في بيت كالقبر(...)، وأن تنقل ألفاظه إليه، **فأقام شهرا** لا يسمع منه لفظة "[3]، فعبارة: < فأقام شهرا > تغني السارد عن ذكر حضور رجال كسرى إلى السجين وإعراضه عن الكلام في كل يوم يحضرون فيها إليه لمدة ثلاثين يوما، حيث نجد السارد يقفز عن هذه المرحلة الزمنية ولا يذكرها كونها لا تأتي له بالجديد الذي يستحق الذكر.

نجد السارد أيضا يغفل عن ذكر- أو إن صحّ القول تكرار ذكر- بعض الأحداث منها ما جاء في الحكاية رقم20، حيث ورد في كلام السارد: " ثم رجع إلى محرابه ولسانه لا يفتر عن الذكر، فبقي **أربعة أيام** على تلك الحال "[4]، وهو يستغني من خلال عبارة < بقي أربعة أيام على تلك الحال > عن تكرار ذكر الأقوال نفسها التي نطق بها الرجل العابد، والأمر نفسه نجده في الحكاية رقم35، حيث جاء فيها: " فلما كانت الليلة الأخرى فعلنا مثل ذلك، ولنا **منذ أربعين سنة** كل ليلة أقول: يا فلانة أليس نحن على ذلك؟ "[5]، وفيها أيضا يختصر الراوي أحداثا وقعت خلال أربعين سنة، في بضع كلمات.

---

[1]- عمر عيلان: في مناهج تحليل الخطاب السردي، ص100.

[2]- المرجع نفسه، ص137.

[3]- ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص240.241.

[4]. المصدر نفسه، ص248.

[5]. المصدر نفسه، ص254.

بينما يحضر الحذف في الحكاية رقم26: " فلما أصبح في **اليوم الرابع** إذا ضارب يضرب الباب "[1]، حيث نجد الراوي في هذه الحكاية يستحضر حالة < الفضيل بن عياض > في يومه الأول ليقوم بإغفال سرد الأحداث الخاصة بثلاثة أيام، ليقول في الأخير:< فلما أصبح في اليوم الرابع > ليكمل بعدها سرد ما جاء من أخبار عن هذا الرجل العابد.

في حين تظهر لنا ثلاثة أمثلة تتشابه من حيث حضور ظرف الزمان < بعد >، برز المثال الأول في الحكاية رقم41 حيث جاءت كالتالي: " فحرث و بذر، فجاء شيء لم يأت للناس مثله ولا أعظم منه (...) فصنع فيها ما صنع، ثم **بعد زمان** جاءه فقال:..."[2]، بينما برز الثاني في الحكاية رقم 54، حيث جاءت بدورها كالتالي: " فبينما أنا ذات ليلة بعد العشاء الآخرة جالس في بيتي **بعد مضي سنة**، وإذا بطارق يطرق الباب "[3]، وآخر هذه العبارات ما جاء في الحكاية نفسها أي الحكاية رقم54، حيث جاء فيها: " فلما كان **بعد أيام** أتت عجوز "[4]، وجاء في الحكاية نفسها كذلك: " فلما كان **بعد مدة** أنفذ أهله يستخبرون خبره "[5]، حيث تظهر في كل هذه الأمثلة الأداة < بعد > التي تعبر عن تجاوز مرحلة زمنية إلى أخرى.

5. 1. 3. 2. المشهد Scène:

وهو يتمثل في: " المقطع الحواري الذي يأتي في كثير من الروايات في تضاعيف السرد "[6]، ويأتي لإبطاء السرد، ومن أمثلته ما جاء في الحكاية رقم2، من حوار دار بين خادم أحد الأمراء و بين ابن يشار، حيث حصل أن هذا الأمير أظهر القيان والخمور

---

[1]. ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص250.

[2]- المصدر نفسه، ص257. 258. 259.

[3]. المصدر نفسه، ص263. 264.

[4]. المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

[5]. المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[6]- حميد لحمداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص78.

على الشط وأمام أعين المارة ما أثار غضب جماعة من الصالحين ليقوموا بمجادلة خادمه حول هذا الأمر، وقد أنبنى هذا الجدل أول شيء على الأخذ والرد بين الفريقين ليشكلا مشهداً حوارياً توقفت عنده أحداث الحكاية، لتفسح المجال لهذا الحوار كي يثري الحكاية ويسهم في سير أحداثها، وقد تجلى هذا المقطع الحواري فيما يلي: "...فجاءهم خادم له فقال: ما حاجتكم؟ فقال ابن يشار: تقول لهذا الرجل يكف عن هذا المنكر وإلا قاتلناه "[1]، ثم يقوم الراوي بعدها بسرد الحدث الذي تَمثَل في عودة الخادم إلى مأموره وإخباره بالأمر ليتابع بعدها الحوار مع ابن يشار، يقول الراوي: " فعاد وأخبره بذلك، قال وكيف يقاتلونني ولي كذا وكذا ألف من الجنود، قال ابن يشار: نقاتله بسهام الليل، قال: وما سهام الليل، قال: رفع الأيدي إلى الله عز وجل "[2].

تسير أحداث هذه الحكاية سيراً تتابعياً تسلسلياً، إلا أنها سرعان ما تتوقف بمجرد حضور المقطع الحواري الذي جمع ابن يشار مع خادم أحد الأمراء، حيث قام هذا المقطع بإبطاء الحركة السردية أو السيرورة الحكائية كون الحوار ينبني على الأقوال عكس الأحداث التي تقوم على أفعال الشخصيات وتحركاتها، ولا يعني هذا الأمر أن لا دور يقوم عليه الحوار في الحكاية، إذ إن الأقوال هي التي تدفع بالشخصيات إلى الفعل والحركة، والتي تسهم، على هذا الأساس، في تطور أحداث الحكاية واستمراريتها، ومثال ذلك، الحدث الذي ظهر في آخر الحكاية والذي جاء نتيجةً للحوار الذي جمع الطرفين المتجادلين، يقول الراوي: " فلما بلغ الأمير ذلك قال: لا طاقة لنا بما قال، ثم كفّ عما كان يظهره "[3]، فالكف عن إظهار المنكر كان ثمرة الأقوال التي تضمنها المقطع الحواري، والذي جاء في صدر الحكاية، فقد أسهم هذا الحوار في إبطاء السرد من جهة كما أسهم من جهة أخرى في إثرائه.

---

[1]- ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص240.

[2]- المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[3]. المصدر نفسه والصفحة نفسها.

مقطع حواري آخر تجلى في الحكاية رقم40، وقد دار بين الضرير الذي تصّدق له أحدهم بالمال و بين البقال الذي ذهب إليه ليتعامل معه في أمر هذا المال، حيث سبق هذا المقطع الحواري حدث ذهاب الضرير إلى البقال ليبدأ مباشرة الحديث التالي: "... فقال له: خذ هذا الدرهم واحسب مالك علي واعطني الباقي كذا وكذا، فقال له البقال: يا هذا من أين لك هذا؟ قال: أعطانيه البارحة فلان، قال: إنه دينار"[1]، حيث يعطّل هذا المشهد الحواري مسار السرد ليوقف الشخصية عن أداء بقية مهامها أو تحرّكاتها في الحكاية كون الحوار يقوم على الأقوال لا الأفعال، إلا أن ثمرة هذا الحوار تتمثل في قيام الضرير بفعل أخذ المال إلى من تصدّق له به، ليبرز لنا مشهداً حوارياً آخر يقوم بين هذين الطرفين وهو يوقف الأحداث ويعطّل السرد للمرّة الثانية: "...قال: إنّك تصدّقت علي بهذا، وأظنك أردت أن تعطيني درهما فغلطت، فقال الرجل: قد وهبته لك وإذا كان رأس كل شهر فتعال إليّ أعطك شيئا آخر مجازاة لأمانتك "[2].

يتعطّل السرد في هذه الحكاية مرتين، وهذا بسبب حضور مشهدين حواريين جمع للمرة الأولى الضرير مع البقال، بينما جمع للمرة الثانية الضرير بالرجل الذي تصدّق له بالمال، إذ تتوقف الحكاية خلال هذين المقطين عن منحنا المزيد من الأحداث، كون الشخصيات المسؤولة عن توليد هذه الأخيرة مشغولة بالكلام، ونتيجة لهذا يمكننا القول إن المشهد يقوم أساسا على الحوار، وهو يأتي في تضاعيف الحكاية ليقوم بإثرائها وليسهم في تطوّر أحداثها.

كما يتّسم الحوار في الحكايات بسمات سردية تتمثّل في المقدّمات التي يأتي بها الراوي والتي يمهّد بها لكلام الشخصيات وحديثها، وتتمثل هذه المقدمات في قوله مثلا: < قال:... فقال:...>، وهي عبارات تعبّر عن الحديث أو الكلام.

---

[1]- ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص256. 257.

[2]. المصدر نفسه والصفحة نفسها.

5. 1. 3. 3. الوقفة أو الإستراحة Pause:

يحصل في مسار السرد: " توقفات معينة يحدثها الراوي بسبب لجوئه إلى الوصف، فالوصف يقتضي عادة انقطاع السيرورة الزمنية "[1]، إذ تحضر في الحكايات مجموعة وقفات اعتمدت على الوصف، أغلبها ما ورد في الحكايات التي تخصّ فئة المجانين العقلاء التي ظهرت في العصر العباسي، إذ يعتمد هؤلاء الأشخاص على وصف حالتهم الوجدانية والروحانية التي تربطهم بالله عزّ وجلّ، وتُوَحِدهم بالخالق وتطلعهم على النور الإلهي الذي اتخذوه هادياً لهم في حياتهم، وقد ظهرت هذه الفئة من الناس نتيجة: " تفاقم التطوّر الحضاري بعد الق3 هـ وزيادة الاهتمام بمظاهر الترف والبذخ وتقاعس أولي الأمر عن الجهاد، وتغلب العناصر الأجنبية على حكم الدولة الاسلامية، فكان الجنون تعبيراً للرفض الخفي للواقع "[2] فأدّت بهم كل هذه الظروف إلى اعتزالهم الناس وابتعادهم عن جمهور العامة، ودون إطالة في هذه المسألة نقوم باستخراج عدد من الوقفات من الحكايات، حيث ورد في الحكاية رقم16 خبر تجربة < أبو جعفر المغربي > مع أحد المجانين، الذي دخل عليه وقت جلوسه مع أحد الرجال، وبعد حديث دار بينهما نظر المجنون إلى أبي جعفر المغربي وبكى، لتظهر الوقفة بعدها ببرهة، واصفاً فيها المجنون حالة أولياء الله قائلا: " طهّروا له الأخلاق، ورضوا بيسير الأرزاق، وهاموا في محبته في الآفاق، وارتدّوا بالصدق واتّزروا بالإشفاق(...) فهم صفوة الأبرار، ورهبان وأخيار، مدحهم الجبار، ووصفهم المختار... "[3]، حيث تعتبر كل هذه الأوصاف بمثابة الاستراحة التي مُنِحَتْ للحكاية والتي يمكننا القول إثرها أنها قامت بتعطيل السرد عن توليد وإنتاج المزيد من التحرّكات والأفعال، كون مهمة الوصف معرفة ميزات الشخصيات لا تتبّع ما تقوم به من أفعال.

---

[1]- حميد لحمداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص76.

[2]- قيس كاظم الجنابي: التصوّف الاسلامي في اتجاهاته الأدبية، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة، 2007، ص99.

[3]- ابن الجوزي : ملتقط الحكايات، ص244. 245. 246. 247.

وقفة أخرى في موضع آخر من الحكاية اعتمد فيها < ذو النون > على وصف أحد المجانين، حيث سبق هذه الوقفة الوصفية سرد تحرّكات ذي النون والتي تمثّلت أول الأمر في سؤاله عن موضع هذا المجنون، ليشرف على الواد الذي يقيم فيه، فجعل ينظر يمينا وشمالا إلى أن سمع صوتاً محزوناً، فتبع الصوت، وهنا تظهر الوقفة لتوقف السرد عن إنتاج المزيد من الأحداث، يقول: " فإذا أنا بفتى حسن الوجه والصوت، قد ذهبت تلك المحاسن وبقيت رسومها، نحيل قد اصفرّ واحترق، وهو شبيه الواله الحيران "[1]، ليتابع الراوي بعد هذا المقطع الوصفي سرد تحرّكاته قائلا: " فسلّمت عليه... "[2].

وتظهر لنا في تضاعيف الحكايات وقفة من نوع آخر تمثلت في كونها رسالة بعث بها أحدهم إلى أخيه ينهاه فيها عن الاشتغال عن العبادة بلذات الدنيا، برز هذا في الحكاية رقم28، حيث يقوم الراوي بتلاوة مضمون هذه الرسالة وهو بهذا يقوم بتعطيل الحكاية عن سرد المزيد من الأحداث، جاء في كلام السارد: " فكتب إليه: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّ الله الرحمن الرحيم، من الناصح الشفيق، والطبيب الرفيق، إلى من سلب حلاوة الذكر والتلاوة والتلذذ بالقرآن والخشوع والأحزان: بلغني أنك اشتريت جارية بعت بها حظك من الآخرة(...) واستوحشتك الأهل والجيران "[3].

تقوم هذه الرسالة بإيقاف سرد الأفعال في الحكاية كونها تحوي نصائحاً تنبني أول الأمر على الكلام، إلا أن الراوي بمجرّد اتمامه قراءة الرسالة يبدأ من جديد بمتابعة سرد أفعال الشخصيات وتحرّكاتها، إذ نجده يقول: " ثم طوى الكتاب وأنفذه إليه، فوافاه الكتاب وهو في مجلس سروره، فغصّ بريقه، وأذهله ذلك، فنهض مبادرا من مجلسه، وكسر آنيته..."[4]، إلى غيرها من الأفعال التي تسهم في إثراء الحكاية.

---

[1]. ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص244. 245. 246. 247.

[2]. المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[3]- المصدر نفسه، ص251- 252.

[4]- المصدر نفسه، ص251. 252.

5. 1. 3. 4. المجمل Sommaire:

ويعني ذلك الاعتماد على: " سرد أحداث ووقائع يفترض أنها جرت في سنوات أو أشهر أو ساعات، واختزالها في صفحات أو أسطر أو كلمات قليلة دون التعرّض للتفاصيل "[1]، وقد توفرت هذه التقنية الزمنية في مجموع الحكايات، منه ما جاء في الحكاية رقم6، حيث يتكلّم السارد على لسان شخصية < شريح > ليقول: " إني لأصاب بالمصيبة فأحمد الله عليها **أربع مرات** وأشكره "[2]، فهو في هذه العبارة يجمل أو يختصر الكلام الذي نطق به والذي يأتي في نطاق البسملة والحمدلة، فهو عوض أن يقول: الحمد لله، الحمد لله، الحمد لله، الحمد لله، يقول: أحمد الله أربع مرات تفاديا للتكرار.

يظهر المجمل أيضا في الحكاية رقم18، حيث جاء في كلام السارد عن المرأة التي صامت ستين سنة: " تقول: لعلّ أجلي يكون اليوم فألقى الله صائمة، وإذا كان اليوم الثاني حدّثت نفسها **بمثل ذلك** "[3]، فعبارة < بمثل ذلك > تغني السارد عن تكرار القول الذي حدّثت به المرأة نفسها في اليوم الأول كونها في كل يوم تحدّث نفسها بنفس الكلام، حتى أتمّت الستين سنة، وبهذا يكون الراوي قد سرد أقوالاً قيلت خلال ستين سنة في سطرين أو أقل.

أيضا ما جاء في الحكاية رقم27 من خلاصة لفعل وقوف أبي معاوية الأسود على عابد لمدّة ثلاثة أيام، إذ نجده يقول: " وقفت على عابد **ثلاثة أيام** وهو لا يكلمني "[4]، حيث إن الشخصية تختصر بواسطة عبارة < ثلاثة أيام > قولها: < وقفت على عابد في اليوم الأول فلم يكلمني، ووقفت عليه في اليوم الثاني فلم يكلمني، ووقفت عليه في اليوم

[1]- حميد لحمداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص76.
[2]- ابن الجوزي : ملتقط الحكايات، ص241.
[3]. المصدر نفسه، ص247.
[4]- المصدر نفسه، ص251.

الثالث فلم يكلمني >، وبهذا تجمل الشخصية كل هذا الكلام في كلمتين كانتا < ثلاثة أيام>.

نجد كذلك للمجمل حضورا في الحكاية رقم41، حيث تسرد هذه الحكاية خبر من استلم البذر والبقر كأمانة ليردّها إلى صاحبها وقت طلبه إياها، وقد زعم صاحب الأمانة أن بقره تنتج خيلا ما أدّى بهما إلى طرق أبواب عدد من القضاة ليحكموا في هذه المسألة، وقد ورد هذا على الوجه التالي: " ...فجلسا إليه ليقضي بينهما وصيّر معه صنماً من ذهب، وقصّ قصته وقال: أدى إليّ كل شيء إلا الخيل التي أنتجت بقري خانني بها، فقال: والله ما أنتجت إلا بقرا، ولو أنتجت خيلا لأدّيتها إليه، فدسّ إليه صنم الذهب، فقال القاضي: قم وأدِّ إلى الرجل خيله، فقاما من عنده، فقال المقضي له: قد قُضِيَ لي عليك، قال: تحسن وتجمل وتذهب بنا إلى آخر، قال فسمِّ من شئت، **فصنع مثلما صنع الأوّل والثاني والثالث والرابع**، فاختصم معه حتى مروا بأربعة قضاة من بني إسرائيل ففعلوا ذلك بهم، ويقضون له بالخيل "[1].

يظهر المجمل في عبارة < فصنع مثلما صنع الأول والثاني والثالث والرابع >، حيث إن الحوار الذي دار بين الطرفين المتخاصمين بحضور القاضي الأول يتكرر عند الثاني والثالث والرابع، وجراء هذا يكتفي السارد بذكر المقابلة الأولى التي بها يستغني عن ذكر الأخريات كونها تحوي الخطوات نفسها.

5. 2. المكان السردي:

يمثّل المكان الحيز الذي تسير عليه الأحداث، فهو بمثابة خشبة المسرح التي تقف عليها الشخصيات لأداء الأدوار المنوطة بها، كما أنه يحمل أوجهاً حجاجية تقصد بعث بعض الأفكار في ذهن المتلقي تدعوه للإعجاب ببعض الأمكنة والنفور من أخرى،

[1]- ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص257. 258. 259.

وبالتالي اتخاذ موقف من أماكن السوء بالابتعاد عنها والرغبة في أماكن الصلاح بالتردد عليها والهروب إليها، وبما أن شخصيات حكاياتنا من أولياء الله وعبّاده المخلصين فقد اكتسب الحيز المكاني الذي تتحرّك فيه ميزاتهم نفسها، وعبّر عن رغباتهم نفسها، ولو تمعنا فيه لوجدناه يكتسب ثلاث ميزات، الأولى أنه مكان روحاني تعبدي ألقى فيه أولياء الله تجاربهم الإيمانية وخلجاتهم الروحية، الثاني أنه مكان تكسّبي اعتُمِدَ عليه لتوفير بعض من الحاجيات الدنيوية من مأكل ومشرب وملبس، والتي تعين على أمر البدن الذي يعتبر أمانة من عند الله وجب تزكيتها والحفاظ عليها، وثالث هذه الأماكن ما كان وسيلة من وسائل اللهو والسمر الذي لا يخرج عن نطاق العبادة، ففيه يجتمع رجال الصلاح والحكماء والزهاد لبعث المعاني الإيمانية وللاستفادة من خبرات ومعارف بعضهم البعض فيما يرضي الله، وهي هنا مفصّلة ومُنَمْذَجَة وهذا تفصيلها ونمذجتها:

5. 2. 1. أماكن التقرب من الله:

طغت أماكن التقرب من الله على أماكن أخرى في مجموع الحكايات، حيث سعت الشخصيات في كنف هذه الأماكن إلى عبادة الله وإخلاص العبادة له دون غيره، كما عملت جاهدة على انتقائها أحسن انتقاء متحرية في ذلك مواضع الوحدة والوحشة والانفراد والبعد عن خطوات البشر قدر المستطاع، من هذه الأماكن نجد: الخراب، المقابر، الأودية والجبال، السجون والمساجد.

5. 2. 1. 1. الأودية و الجبال:

من أقوال علي بن أبي طالب آخر خلفاء الرسول صلى الله عليه وسلّم عن أولياء الله والزهاد قوله: " ألا إنّ الزاهدين في الدنيا اتّخذوا الأرض بساطاً والتراب فراشاً والماء طيباً ألا من اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات "[1] حيث يُظهر هذا القول شدّة تعلّق أولياء الله

[1]. قيس كاظم الجنابي: التصوف الإسلامي في اتجاهاته الأدبية، ص18.

بالآخرة وتفريطهم في الدنيا وفي ملذاتها رغبة في نيل رضا الله ومغفرته، ومن بين الحكايات التي كانت هذه الأمكنة فضاءها الحكايات رقم: 16، 37، 42، 56.

بطل الحكاية رقم 16 وليٌ من أولياء الله وقد سمّيت فئة منهم بالمجانين لاعتزالهم الناس ولهيامهم في الوديان والجبال، وقد سعى < ذو النون > للبحث عن مثل هؤلاء وتقفّي أثرهم أينما ذهبوا، منه ما جاء في هذه الحكاية حيث نجد ذو النون يقول: " ...قلت لهم: دلوني عليه، فقالوا: إنه يأوي في الوادي الفلاني، فانطلقت إليه فأشرفت على واد وعر، فجعلت أنظر يمينا وشمالا فإذا أنا بصوت محزون شجي خارج من قلب حزين "[1].

تبرز هذه الأمكنة كذلك في الحكاية رقم (37)[2]، ففيها ينقل < ذو النون > خبر أحد المجانين الذي تصدّق بكل ماله إلا أنه رآه في الوادي بعد الصلاة يطلب شيئا منه، وهذا ما يؤكد انتشار هذه الفئة من الناس في مثل هذه المواضع المنعزلة على نحو واسع.

وتتطرّق كذلك الحكاية رقم42 إلى هذه الفئة من المجانين في مواضعهم الانعزالية، يقول < سري السقطي >: " بينما نحن نسير في بلاد الشام، إذ ملنا عن الطريق ناحية جبل عليه عابد(...) فوجدناه يبكي "[3]، ومثيله ما جاء في الحكاية رقم56، حيث يقول بعض السلف:" رأيت في بعض الجبال شابا أصفر اللون، غائر العينين، مرتعش الأعضاء، لا يستقر على الأرض(...) ودموعه تتحادر "[4].

تتجسّد مواضع العزلة والانفراد في كل هذه الحكايات، وهي تعني بشكل أو بآخر صدق أولياء الله في مناجاتهم لله وحسن نيتهم في ذلك مبتغين وجهه الكريم، حيث تعكس هذه الأماكن حب هذه الفئة من الناس للوحدة التي ينجرّ عنها القرب من الله والابتعاد عن

[1]. ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص244. 245. 246. 247.

[2]. المصدر نفسه، ص255.

[3]. المصدر نفسه، ص259. 260.

[4]. المصدر نفسه، ص265. 266.

ملهيات الدنيا، ومن جهة أخرى فإن الحكاية التي تضم مثل هذه الأماكن تحمل في ثناياها رسالة للقارئ تدعوه من خلالها للاقتداء بهذه الشخصيات في المبادئ التي تحملها من حيث تصرفاتها وكذا الأماكن التي تواجدت فيها، كونها تعكس حبهم للخالق وصدق عبادتهم له تعالى.

5. 2. 1. 2. البيت:

يعتبر البيت، المأوى الذي يلجأ إليه أولياء الله للقاء أحبائهم وأهليهم، وهو يمثّل كذلك موضعاً ينزوي فيه هؤلاء لأداء مناسكهم التعبدية وواجباتهم الدينية تجاه خالقهم، وقد تعددت في الحكايات، المصطلحات الدالة عليه أو على موضع منه، نجد من بينها: الدير، الحجر، المحراب، ومن بين الحكايات التي برزت فيها هذه الأمكنة، الحكايات رقم: 20، 28، 34، 53، 55 حيث مثّلت أهمية هذه المواضع أتمّ تمثيل.

تنقل الحكاية رقم 20 خبر أحد المتعبّدين الذي اتّخذ المحراب موضعاً للعبادة، ففيها يقول الراوي: " ...ثم كان أن شمّر في العبادة وجدّ (...) ثم رجع إلى محرابه ولسانه لا يفتر عن الذكر، فبقي أربعة أيام على تلك الحال "[1].

كذلك ما جاء في الحكاية رقم 28، عن الحيّز المكاني الذي يزاول فيه أولياء الله العبادة، يقول الراوي على لسان < علي بن الحسين >: " كان لنا جار من المتعبدين قد برز في الاجتهاد، فصلى حتى تورمت قدماه، وبكى حتى مرضت عيناه (...) فاشترى جارية وكانت تغني ولا يعلم بها، فبينما هو ذات يوم يصلي في محرابه إذ رفعت الجارية صوتها بالغناء..."[2]، حيث يظهر هذا المقطع من الحكاية المكان الذي اعتاد فيه العابد على أداء صلاته، وهو < المحراب >.

[1]- ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص248. 249.

[2]- المصدر نفسه، ص251. 252.

ناهيك عمّا تنقله الحكاية رقم (34)[1] من خبر عن الرجل الذي لم يجد ما يعيل به أهله وبنيه، وهو ما يدعوه إلى أن يأمر امرأته بلزوم البيت وأداء الصلاة رفقة الصبيان عسى الله أن يفتح عليهم من أبواب رزقه.

بينما تنقل الحكاية رقم (53)[2] خبر الجارية العابدة التي لزمت ديراً خراباً هو في الأصل مسكن للنصارى لمزاولة العبادة والتقرب من الله، وهو ما جعل حالتها هذه على كل لسان.

في حين تسرد الحكاية رقم 55 خبر " كرز بن وبرة " الذي خصّص موضعاً في بيته لقيام الليل، يقول الراوي: "... وكان قد حفر في بيته حفرة وملأها تبناً وبسط عليها كساءً لطول قيامه، وكان له عمود في المحراب يعتمد عليه إذا قام "[3].

تتحدّث كل هذه الحكايات عن أولياء الله الذين جعلوا بيوتهم مساكن طيبة وعامرة بذكر الله الذي تطيب بذكره القلوب والألسنة، بحيث ضمّت هذه المواضع الأحداث التي بها وُجِدَتْ الحكاية وتكوّنت، ولأجل هذا يَبرُزُ البيت في الحكايات ويثبت حضوره في العديد منها باعتباره الحيّز المكاني الأساسْ الذي لا يمكن للحكايات الاستغناء عنه لمدى قيمته ودوره في ترجمة وضم أحداثها، إلا أن الرسالة الحجاجية ههنا لا تقتصر على تعريف القارئ بدور البيت وأهميته بل تتعدّاها إلى توجيهه للأعمال الصالحة التي تشغله وقت فراغه في موضع سكنه، والتي يكسب منها أجراً وثواباً، فالعظة من الحكاية هي دعوة المتلقين لتعمير مساكنهم بذكر الله وملازمتهم البيت للطاعة بدل الخروج لقضاء الأوقات الطويلة في مجالس السوء وما ينجرّ عن ذلك من اقتراف للمعاصي والذنوب، إلا إذا كان الخروج من البيت لغرض كسب الرزق، كما تعرّف الحكاية الفرد بنعمة البيت

[1]- ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص253. 254.

[2]. المصدر نفسه، ص262. 263.

[3]. المصدر نفسه، ص264. 265.

يقول تعالى: " والله جعل لكم من بيوتكم سكناً "[1]، حيث يأوون إلى بيوتهم ويستترون وينتفعون بها سائر وجوه الانتفاع، وإذا تأملنا أحوال الناس الذين لا بيوت لهم تجلت لنا هذه النعمة ، إذ تحيط بهؤلاء كل أنواع الرذيلة والتشرّد والاضطراب النفسي، فمن واجب الفرد أن يحمي نفسه من العمل المحرم بقضاء أكثر أوقاته داخل بيته وصرف هذه الأوقات في الطاعات، كلها مفاهيم ومبادئ تدعونا الحكاية لاكتشافها والعمل بها لضمان صلاح الأفراد والمجتمعات والفوز في الدنيا والآخرة .

5. 2. 1. 3. المسجد:

من الحكايات التي ظهر فيها المسجد حيّزاً مكانياً بارزاً، الحكاية 16، 22، 27، حيث اتخذت شخصيات هذه الحكايات المسجد موضعاً مقدّساً لها، تفرّ إليه لترتاح من هول الدنيا، ذلك ما نجده في الحكاية رقم 16 حيث تنقل خبر أحد من سموا بالمجانين والذي عانى من بطش قومه ليفرّ إلى المسجد بحثا عن الراحة والسكينة، يقول الراوي على لسان شخصية < أبو جعفر المغربي >: " كنت ببيت المقدس جالساً مع رجل صالح وإذا قد طلع علينا شاب وصبيان يرمونه بالحجارة وهم ينادون: مجنون، فدخل المسجد وهو يقول: اللهم أرحني من هذه الدار "[2].

بينما تسرد الحكاية رقم 22 خبر الرجل العابد الذي جمع له < الليث بن سعد > وأصحابه مبلغاً من المال وكلّفوا أحدهم بتوصيلها، فوجده قائماً في المسجد يصلّي، يقول الراوي: "... فوجده قائما يصلي، قال: فجلست حتى صلى الظهر، ثم قام وكبّر وصلى إلى العصر(...) ثم ركع وسجد وسلّم "[3].

---

[1]- سورة النحل، الآية 80.

[2]. ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص244.

[3]- المصدر نفسه، ص249. 250.

في حين تجلّى المكان في الحكاية رقم (27)[1] على لسان إبراهيم بن أدهم الذي اتّخذ المسجد مكانا للتضرّع إلى الله وإظهار خشيته والخوف منه.

يظهر المسجد عنصراً ذا أهمية بالغة في الحكايات كونها تنحو منحىً دينياً بحتاً، وهو موضع يحوي مجموع المعاني الإيمانية والروحية والتعبدية الصرفة، حيث إن معظم أفعال الشخصيات ضمّها هذا المكان واحتواها، إذ يعتبر المسجد أشرف الأمكنة، عند المسلم، على وجه الأرض وأن سالكي طريق المسجد من أشرف الخلق وأحبهم إلى الخالق، وقد رغب ابن الجوزي من خلال سرد مثل هذه الحكايات إلى تذكير الخلق بقيمة المسجد ونقاوته وعفته، وإلى وجوب تزكية الفرد نفسه باتخاذه المسجد المكان الذي يفر فيه إلى الله تعالى، كما أن الحكاية دعوة للمتلقي لأن يصير شريف النفس بتردده على أشرف الأمكنة والمواضع الدنيوية الشريفة.

5. 2. 1. 4. السجن:

تصل تضرعات العابدين وأصواتهم الخاشعة إلى غاية جدران السجن التي تشهد لهم بالطاعة والعبودية، غير مبالين في ذلك لا بضيق المكان ولا بالشدّة التي أودت بهم إلى هذا المكان، كون نظرتهم للحياة بأكملها تشبه إلى حد بعيد السجن الذي مهما طال فيه السجين فلن يخلد فيه إلى الأبد، بل يأتي يوم ويعود فيه إلى أهله وديارِه، وهو حال العبد في الدنيا يعيش فيها مجرّد سنوات قلائل ويمضي لكون آخر ولحياة أخرى، فهي بهذا لا تعتدّ إلاّ أن تكون متاع الغرور، ومن الحكايات التي التزمت شخصياتها بهذا المبدأ السامي في النظر إلى الأشياء الحكاية رقم 5 والحكاية رقم 21.

يظهر المكان في الحكاية رقم 5 على أنه الموضع الذي دُفِع إليه الحكيم "بزر جمهر الحكيم " من قبل " كسرى أنو شروان " نتيجة غضبه عليه، وهو مكان ضيق مظلم، إلا

[1]- ابن الجوزي: ملتقط الحكايات ، 251.

أنه بالنسبة للحكيم يراه غير ذلك لأنه يمنحه من نور الايمان الذي يشعّ به قلبه ليضيء به جدران السجن وأرجاءه، يقول الراوي على لسان جماعة عمدوا إليه: " أيّها الحكيم: نراك في هذا الضيق والحديد والشدّة التي قد دُفِعْتَ إليها ومع هذا فإن سحنة وجهك وصحة جسمك على حالها لم تتغيّر "[1]، وهو ما يثبت أن الحكيم لم يُعِرْ اهتماماً للمكان الذي يتواجد فيه بصفته الموضع الذي أبعده عن أهله وخلاّنه، إنما بصفته مكاناً يقوي فيه إيمانه ويبعده عن ملهيات الحياة لانعزاله فيه عن الناس، وبهذا يكون قد جعل رباطه بالله تعالى أقوى من كل مساوئ السجن وهذا كونه يحمل في جوفه قلبا عامرا بذكر الله والصلاة على رسولـــه.

نجد الحكيم يجيب عن أصحابه عند سؤالهم عن صحة حاله بقوله: " عملت جوارشاً من ستة أخلاط (...) الخلط الأوّل: الثقة بالله عزّ وجلّ، والثاني: علمي بأن كلّ مقدّر كائن، والثالث: الصبر خير ما استعمله الممتحن، والرابع: إن لم أصبر فأي شيء أعمل؟ فلم أعن على نفسي بالجزع، والخامس: يمكن أن أكون في شرّ مما أنا فيه، والسادس: من ساعة إلى ساعة فرج "[2]، حيث تمثّل كل هذه الخطوات والأفكار والمبادئ أعلى رتب الإيمان والعبادة التي يمكن للمرء التحلي بها واتّباعها.

وتجسّد الحكاية رقم (21)[3] المعاني الإيمانية نفسها والمكان الموحش نفسه، وبطلها رجل أُدخِل السجن فلم يجد حيّزاً يجلس فيه، فلما كان الليل قام فصلّى ودعا الله أن يفكّ أسره فما إن أصبح حتى خلّي سبيله.

يتّضح لنا من كل هذا أن أولياء الله وعبّاده اتخذوا السجن موضعا للطاعة والعبادة والتقرّب من الله، وهو ما بدا من مجموع الحكايات التي لم تتخلّ شخصياتها عن أداء

[1]- ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص240. 241.

[2]. المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[3]- المصدر نفسه، ص249.

العبادة حتى في أضيق الأمكنة، حيث جسّد هؤلاء الإيمان في كل تحرّكاتهم وفي كلّ المواضع التي يقصدونها، وهم يرسمون بهذه الأعمال صورة عن طريقة مواجهة المرء للشدائد التي يتعرض لها من طرف السلطان، فتتحول الحكاية بذلك من مجرد جنس أدبي إمتاعي إلى خطاب وعظي نفعي، إذ تهدف إلى دعوة المتلقي للأخذ من متاع الدنيا على قدر الحاجة حتى إذا ما واجه أمراً يهوله لم يكترث له، ولم ييأس من رفق الله به لكونه فقد نعمة من نعم الله التي لا تحصى، بل يواجه الشدة بالاسترجاع والشكر والرضى، وهي رسائل تستقى من خبر الرجل الذي تعرض للسَجن والتي على القارئ الأخذ بها لنيل الفوز والفرج في الدنيا والآخرة.

5. 2. 1. 5. المقابر:

من الحكايات التي احتوت أحداثا ضمّتها المقابر، الحكاية رقم 15، وقد كان بطلها أحد من ينسبون إلى الجنون لاعتزاله الناس، حيث اتّخذ هذا الرجل المقابر مكانا ينعزل فيه عن الناس وعن صخب الحياة ليتذكر الآخرة وليشتدّ حبه لها وليزداد عمله الصالح لكسبها، يقول الراوي " خلف بن سالم ": " كان في الحرم رجل ينسب إلى الجنون، فقلت له: أما تستوحش في ظلمة الليل بين القبور؟ قال: إني إذا استوحشت ذكرت ظلمة القبر ووحشته "[1].

يدلّ كلام الرجل على شدّة تعلّقه بهذا المكان الموحش المنعزل الذي لا يقصده العامة إلا لغرض أداء حق الميت وهو الدفن، إلا أنه بالنسبة لهذه الفئة من الناس يمثّل أكثر من ذلك، إذ هو موضع فرارهم إلى خالقهم وكذا المكان الذي يشعر فيه هؤلاء بالراحة والسكينة.

[1]- ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص244.

وحكاية أخرى نقل لنا من خلالها الراوي خبر رجل زار قبر النبي صلى الله عليه وسلّم، هي الحكاية رقم (32)[1]، حيث يقوم هذا الرجل أمام قبر خاتم الأنبياء بالدعاء والتضرّع إلى الله وطلب المغفرة والثواب، ما يعني أن القبر مثّل عند هؤلاء أحد الأمكنة التي ليس باستطاعتهم الاستغناء عنها كونها من بين المواضع التي تقرّبهم من الله، وتذكر هذه الحكاية المرء بقضية الموت وذلك عن طريق ذكر المقابر التي تمثّل المكان الحسي لنهاية حياة الإنسان في الدنيا، ومن المؤكد أن هؤلاء الخلق يقصدون القبور لبعدها عن الخلق وكذا لتذكّر الموت والآخرة والحساب، التي على القارئ كذلك عدم إغفالها فيحاسب نفسه على الأعمال التي يقوم بها قبل أن يحاسبه الله تعالى عليها، وعلى الفرد توجيه سلوكه لمرضاة الله تعالى كما عليه أن يتخيل موضعه في حفرة القبر، وأن يتخيل روحه بين أيدي منكر ونكير، وبذلك يعمل لهذا اليوم الذي ينتظره مهما طال عمره في الدنيا، فالحكاية تحمل من خلال هذه الأماكن رسالة للمتلقي في غاية الأهمية، فهي تذكّره بالموضع الذي ينتظره تحت التراب يوم لا أخ معه ولا ولد إلا عمله الصالح، وبالتالي تدفعه لفعل الخيرات وترك المنكرات لتجنب هول القبر وعذابه.

5. 2. 2. أماكن السفر وكسب الرزق:

قصدت شخصيات حكاياتنا بعض الأماكن غير أماكن التقرب من الله، كانت لغرض كسب الرزق، من هذه الأماكن: البحر والطريق.

5. 2. 2. 1. البحر:

للبحر وظائف عدّة، فهو يمثّل منطقة عبور للمسافرين فيما بين الدول والأقاليم وكذلك يعدّ وسيلة من وسائل كسب الرزق، ومن الحكايات التي ضمّها البحر أو كان محوراً فيها الحكاية رقم 17 والحكاية رقم 34، إلا أن الراوي ضمن الحكايتين لا يظهر

[1]- ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص253.

غرض الشخصيات من ركوبها البحر إلا محض الإشارة إلى فعل ركوبه، منه ما جاء في الحكاية رقم (17)[1]، حيث يسرد فيها الراوي بعض الأحداث التي وقعت لرابعة العدوية مع فتى كان برفقتها هي وآخرون على متن قارب في البحر، حيث عصفت بهم الريح فطلبوا من هذا الفتى العابد الدعاء لهم ليكشف ما بهم من ضر، فأبى ذلك حتى أعادوا عليه الكرّة ليومئ للريح أن تسكن، فسكنت لتعود لوضعها الطبيعي.

في حين يُذكرُ البحر في الحكاية رقم (34)[2] في معرض حديث الراوي عن الرجل الذي تصدّق بمبلغ من المال إلى من لم يجد قوتاً يعيل به زوجته وأولاده، حيث كان هذا المتصدِّق على متن قارب في البحر فذكر هو ورفقاؤه صلحاء الزمان فذُكِرَ معهم هذا الرجل، وبعد مدة بادر إليه ليُسلِّم له المال.

يتبيّن لنا من الحكايتين أن الرواة العرب قد خصّصوا جزءً من تراثهم السردي لصياغة حكايات كان فيها الرجل العربي على متن البحر الذي يعتبر عنصراً فاعلاً في حياتهم الاجتماعية ومحيطهم وإقليمهم الحيوي، حيث إن: " العلاقة بين البحر والإشراقات الروحية وما يتصل بها من التأمّل والتدبّر تعود إلى الخوف من ركوب البحر، ذلك الخوف الماثل في اللاوعي الجماعي "[3].

تظهر الإشراقات الروحية في الحكاية الأولى في كون الفتى العابد رفض الدعاء بحجة أن المرء ليس بمقدوره معارضة الملوك ويقصد بذلك الخالق عزّ وجلّ، إلا أنه وبعد إلحاح شديد خضع لرأي الجماعة ودعا، فكشف الله ما بهم من ضر وكأن مصيرهم متعلّق بدعائه فقط، أما في الحكاية الثانية فقد تذاكر أصحاب المركب صلحاء الزمان، ويدلّ ذلك على أن حديثهم كان يدور حول أولياء الله الذين يخلصون العبادة له دون غيره،

[1]- ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص247.

[2]. المصدر نفسه، ص253. 254.

[3]- نبيل حداد ومحمود درابسة: تداخل الأنواع الأدبية، ص1049.

وما ينجرّ عن هذه المواضيع من ثواب وعظة بمثل هؤلاء، وعلى هذا الأساس يصير المركب في البحر بمثابة المجلس الذي يجمع الصالحين من الخلق على كلمة الحق ليمثلوا روح الإيمان وسمو أهله.

5. 2. 2. 2. الطريق:

يمثّل الطريق بالنسية للعربي ومن خلال الحكايات، منطقة عبور يسافر من خلالها لقضاء حوائجه التي تختلف وتتعدد، فمنهم من يسلك الطريق بحثاً عن التجارة، ومنهم من يسلكها للحج، والبعض الآخر يعتمد عليها للانتقال من مسكن إلى آخر، ومنهم كذلك من يسلكها للصلاة أو للقاء أحد الرفاق، وهذا الذي برز في الحكايات التي وقعت أحداثها في الطريق، حيث إن من بين هذه الحكايات، الحكاية: 35، 36، 38، 39، 42، 49، 52.

نجد من العبارات التي مثّلت هذا المكان في الحكايات: " رأيت في بعض أسفاري شيخا كبيرا قد طعن في السن، فسألته عن حاله "[1]، " ماتت أمي فورثت منها داراً فبعتها بأربعين ديناراً وخرجت إلى الحج فاستقبلني رجل في الطريق "[2]، " كان أبي ملك كبش، فمات فملك أخي الأمر بعده، فكرهت المقام بكبش، فجمعت مالي وعيالي وأهلي وخرجت "[3]، " بينما سليمان بن داود عليه السلام على بساط من شع وأصحابه على جانب الطريق قال..."[4]، " سمعت سريا يقول: بينما نحن نسير في بلاد الشام، إذ ملنا عن الطريق ناحية جبل "[5]، " كنت مع عبيدا الله بن محمد الاسكندراني ببلاد الروم، فنظر إلي غلام جميل يحمل على علج من الروم "[6]، " خرجت ليلة مظلمة أريد الجامع"[7].

---

[1]- ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص254.

[2]. المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[3]. المصدر نفسه، ص255.

[4]. المصدر نفسه، ص256.

[5]. المصدر نفسه، ص259.

[6]. المصدر نفسه، ص261.

[7]. المصدر نفسه، ص262.

يبدأ الرواة في هذه الحكايات بتعيين الحيّز المكاني الذي وقعت فيه الأحداث أو المكان الذي تبادلت فيه الشخصيات الحديث أو الحوار قبل البدء في عملية السرد، بحكم أن بعضاً من هذه الحكايات تتأتى على أساس سؤال شخصية ما أو طرح استفسار عليها، لتبدأ هذه الشخصية بسرد مجموعة من الوقائع التي تكوّن الحكاية، حيث يمثّل المكان على هذا الأساس المَعْلَمَ الذي به تُضَاء الحكاية عن طريق توضيح مكان حدوث أفعالها وأقوالـــها، وعلى هذا الأساس يعتبر المكان مكوّنا من بين مكونات السرد التي تسهم في بناء الحكاية، فهو البساط الذي تسير عليه الأحداث وتتطوّر.

5. 2. 3. أماكن الحديث والسّمر:

ضمّت الحكايات إضافة إلى الأماكن السابقة الذكر، أماكن لتبادل الأحاديث ولمعالجة القضايا الاجتماعية والدينية ولاستماع الأخبار والحكايات على حدّ سواء، حيث احتلّ المجلس في الحكايات النسبة الكبرى مقارنة بالأماكن الأخرى بحكم أن العربي قد جمعته مسائل مشتركة تخصّ كل جوانب الحياة والتي أدّت به إلى خلق جو من المسامرة وتبادل الأحاديث، حيث: " أسهمت حفلات السمر بالحكايات التي كانت تحكى في إبقاء حماسة موروثة للقصص والأساطير "[1]، وتختلف هذه المجالس على طول الحكايات، فقد يضمّ المجلس شخصين يجمعهما مكان مشترك كما قد يضم أكثر من ذلك، المهم هو اجتماع أكثر من شخص وجلوسهم في مكان معين وحديث بعضهم إلى بعض في مختلف ضروب المعارف والتجارب، واستماع بعضهم لأخبار بعض.

[1]- ينظر: سعيد يقطين: الكلام والخبر مقدمة للسرد العربي، ص214.

5. 2. 3. 1. المجلس:

يعدّ المجلس: " الفضاء أو المجال المتميّز للتواصل الكلامي في الثقافة العربية القديمة "[1] وهو: " الفضاء الثقافي العربي الأساسي الذي تمّ فيه إنتاج الكلام العربي القابل للتداول والنقل والاستمرار "[2]، ومن الحكايات التي نُقِلتْ عن المجلس، والذي قام هذا الأخير باحتوائها، الحكاية: (1، 7، 19، 22، 24، 33، 44، 46، 50)[3]، حيث تتولّد هذه الحكايات نتيجة جلوس جماعة من الرجال في موضع معيّن، وعادة ما يكون للمجلس رئيس يتولى الحديث ويكون والياً من الولاة أو حكيماً من الحكماء أو غيرهم، فيتولى الكلام موجهاً إياه لمتلق عارف به وبأسراره، ومن مجالس الذكر التي برزت في الحكايات: مجلس الزاهد إبراهيم بن أدهم، مجلس هارون الرشيد، مجلس فتح الموصلي، مجلس الليث بن سعد، مجلس جعفر بن محمد، مجلس رابعة العدوية، مجلس الصوفي سهل بن عبد الله التستري، حيث عادة ما تَعمُرُ هذه المجالس بالزوار من العامة والحكماء والزهاد والصوفية من العـــرب.

على سبيل المثال تنقل الحكاية رقم (1)[4] خبر الرجل الذي أتى إلى مجلس الزاهد " إبراهيم بن أدهم " ليحدّثه بشيء من الزهد يلين به قلبه، حيث حصلت بينهما مقابلة حوارية دينية كوّنت بنية الحكاية وجسّدت غرضها الوعظي الإرشادي، في حين تنقل الحكاية رقم (44)[5] خبر الرجال الذين حضروا لمجلس " رابعة العدوية " فجعلوا يذمون الدنيا وهي ساكتة، فلما أكثروا قالت لهم: كلكم يحبّ الدنيا لأن من أحب شيئاً أكثر من ذكره، بينما تنقل الحكاية رقم 46 خبر الغلام الجميل الذي حضر مجلس الصوفي " سهل

[1]- سعيد يقطين: السرد العربي مفاهيم وتجليات، ص150.

[2]- سعيد يقطين: الكلام والخبر مقدمة للسرد العربي، ص213.

[3]- ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص239، 241، 242، 248، 249، 250، 250، 253، 260، 260، 261، 262.

[4]- المصدر نفسه، ص239.

[5]. المصدر نفسه، ص260.

بن عبد الله التستري " فأخذ الناس ينظرون إليه حتى قال سهل: " لا تغتروا بحلم الدنيا فيصيبكم مثلما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صـــــالح "[1].

خلاصةً لعنصر المكان، يمكن القول إن حكاياتنا التي تمثّل نوعاً من أنواع الكلام العربي قد أحاطت بالرجل العربي في كل موضع أقام فيه وفي كل مكان عبر منه وفي كل ناحية قصدها، حيث نقلت لنا أخباره وصاغت عن تحرّكاته وكلامه وأفعاله حكايات مثّلت التراث الذي يحافظ على عراقته وأصالته، ومن جهة أخرى فقد مثّل هذا المكان مكوناً من مكونات السرد التي ساعدت على بناء الحكاية، كما مثّل في أحايين أخرى عنصراً حجاجياً وظفه ابن الجوزي واستغله في الحكاية لغرض إثبات بعض القضايا الإيمانية ونفي قضايا أخرى، وهذا لغرض دفع المتلقي للإعجاب ببعض الأماكن والنفور من أماكن أخرى، وبالتالي إتيانها أو الإعراض عنها، وهذه هي نواة الحجاج الذي يقوم بتغيير أفكار المتلقي ودفعه ليعتنق أفكاراً أخرى.

تمتاز الأماكن التي تتّصف بالعزلة والتفرّد بصلاحها على مدى العصور، لذا تتلاءم الحكاية بهذه الأماكن لتكون وسيلة اتعاظية كونها تطلب في طياتها من المتلقين التواجد في الأماكن التي تتصف بصفات الأماكن نفسها التي تواجدت فيها شخصيات الحكاية، ومن جهة أخرى تحتفظ أماكن الصخب بعنصر فسادها منذ القدم إلى يومنا هذا، وذلك لما ينجر عنها من آفات اجتماعية تعود بالمفسدة على الفرد والمجتمع، لذا تدعو الحكاية بطريقة غير صريحة لتجنب مثل هذه الأماكن التي تعود بالمضرة على الفرد.

خاتمة الفصل:

وختاماً لهذا الفصل نقول إننا سعينا فيه جاهدين لإظهار المكوّنات السردية التي برزت في الحكايات، وذلك بالبحث عن مجموعة العناصر التي تشترك لتخلق صورة

[1]. ابن الجوزي: ملتقط الحكايات ، ص260، 261.

السرد في الحكايات، وتعتبر الصيغ الاستهلالية مفتتحاً لهذه العناصر إضافة إلى الراوي وموقعه ورؤيته للأحداث وكلامه وكلام الشخصيات، حيث تعتبر هذه العناصر بمثابة المحاور الرئيسية للسرد إضافة إلى علاقتها بالحجاج، كما حاولنا الإحاطة بالسرد من خلال كشفنا عن النمط الذي يغلب على الحكايات، كما أحطنا بالزمن السردي من خلال الكشف على أهم السمات الزمنية التي توافرت في الحكايات منها التتابع والمفارقات وما يندرج تحت عنصر المدّة من عناصر، كما قمنا بالإلمام بالمكان السردي بكشفنا عن أهم الأماكن الهادفة والتي أسهمت في إيصال معاني الوعظ من حيث حث المتلقي على ارتيادها، كل هذه العناصر السردية كوّنت البنية العامة للسرد في الحكايات التي أوردها ابن الجوزي في كتابه " ملتقط الحكايات "، وقد اشتملت هذه الأخيرة على بنى سردية شكّلت لوحة متكاملة تضم بداخلها صوراً جزئية لأشكال السرد التي تتوافر في الحكايات، بحيث تعتبر هذه العناصر السردية بمثابة الركائز التي تبني الدلالة العامة للحكايات والتي تترجم للسرد بوجهه العام، إذ بإمكان القارئ تفكيك البنية السردية العامة للحكايات التي قمنا بدراستها إلى مجموعة المكوّنات السردية التي قمنا بذكرها واستخراجها.

الفصـــل الثاني: مكوّنات الحجاج في الحكايـــات.

توطئة.

1. موضوعـــــــــات الحكايـــــات.

2. تجلّيات الحجاج في الحكايـــــــات.

3. العلاقـــــــات الحجاجيّـــــــة.

4. السلالـــم الحجاجيّـــــــــــــة.

5. الحجاج وترتيب الحكايـــــــــات.

توطئة:

ارتأينا أن نتطرق قبل الخوض في مكونات الحجاج إلى إظهار أهم الموضوعات التي انبنت عليها الحكايات كونها الأساس الذي يقوم عليه السرد والحجاج، حيث تحمل هذه الموضوعات الأفكار الوعظية التي كانت في صوب أعين ابن الجوزي والتي أراد أن يوصلها للمتلقي موظفاً في ذلك الحكاية وسيلة تواصلية رآها ناجعة لتأدية هذا الغرض، إذ بدل أن يستعرض مجموعة نصائح ومواعظ بحتة يقترح بديلاً لهذا اختيار مجموعة أحداث تنسب إلى شخصيات ليتمّ الاقتداء بها وبأفعالها.

قسّمنا الموضوعات إلى رئيسية تعني بالوعظ الديني بوجه عام، وثانوية تعني بالأفكار التي تضمنتها الحكايات والتي تخدم في الأخير الموضوع الرئيسي الذي يوصلنا لتجليات الحجاج في الحكايات، بحيث سنقوم بذكر مجموعة عناصر أساسية انبنى عليها الحجاج والذي تضمنتها الحكايات في طياتها، إذ قامت هذه العناصر بإثراء الحجاج وبالتالي خدمة الغرض الحجاجي الذي نادى به ابن الجوزي، من أهم هذه العناصر: السرد وهو أولها لأن الاستراتيجية الأولى والرئيسية في بناء الحجاج هو جنس الحكاية وما يتضمنه من شخصيات وأفعال وأقوال، وثاني هذه العناصر التصوير ثم الأمثلة ثم القياس المضمر ثم الشعر وآخرها التكرير، بحيث تعتبر كل هذه العناصر مكوّنات ساعدت في تكوين الصورة العامة للحجاج الذي قامت عليه كل الحكايات.

وسنهتم بالعلاقات الحجاجية التي برزت في الحكايات و بالتالي ربطها بالجانب الوعظي وكيف أنها تؤثر في المتلقي وفي آرائه وسلوكياته، ثم سنقوم باستخراج السلالم الحجاجية التي تتجسّد عن طريق تعدد الحجة في مقابل النتيجة الواحدة.

كما أننا سنكشف في الأخير عن العلاقة التي تربط بين الحجاج وترتيب الحكايات أو تصنيفها في الكتاب ، وهذا كون الحكايات في الكتاب قد انبنت على منطق خاص قد تحكّم في توزيعها، وهو منطق يخدم الحجاج بالدرجة الأولى.

1ـ موضوعات الحكايات:

اختار ابن الجوزي من الحكايات تلك التي تحتوي على أقوال ووقائع تثير في النفس رغبة تدعو السامع للقرب من الله، وهذه مهمة من مهمات الواعظ الحذق: " حيث لا يصل إلى إقناع السامعين إلا إذا استطاع أن يثير حماستهم ويخاطب إحساسهم، ولا يمكن ذلك إلا إذا كان عليماً بما يثير شوقهم ويسترعي انتباههم "[1]، ولإثارتهم انتقى ابن الجوزي الحكايات التي تحمل أفكاراً وعظية تتوافق وغايته التي رسمها لمشروعه، حيث تتفق هذه الأخيرة على تمثيل مبدأ مشترك يعني ببنية عامة تجسّدها وتؤطرها بنى جزئية، وهذا باعتبار أن البنية: " شبكة من العلاقات التي تتوالد من العناصر المختلفة للكل، بالإضافة إلى علاقة كل عنصر بالكل "[2].

تتكرر فكرة الوعظ الديني في الحكايات من خلال عرضها في موضوعات ثانوية تجتمع كلها لتكوّن الفكرة الأساسية، وهذا بحضور: " عناصر ووحدات مشتركة تربط البنى العميقة لتلك الحكايات بعضها ببعض، برغم اختلافها في مواضيعها وأبنية شخصياتها وأبنية الزمان والمكان والدلالة المستخلصة منها "[3]، وهذا لتقوّي شدّة التمسّك بهذه المبادئ وكذا لتقوم بتثبيت المتلقي على الرأي المقترح الذي عادة ما يكون صائباً، أو بالتخلّي عن رأيه المخالف لهذا الرأي، وقد تمّ التعبير عن هذه الفكرة بألفاظ كالوحدة أو الموضوع أو البنية.

[1]- ينظر: عبد العاطي محمد شلبي: الخطابة الإسلامية أصولها تعريفها عناصرها مع نماذج من خطب الرسول صلى الله عليه وسلّم والخلفاء، ص10.

[2]- ينظر: عز الدين المناصرة: الأجناس الأدبية في ضوء الشعريات المقارنة، ص264.

[3]- ينظر: إدريس كريم محمد: الوحدات السردية في حكايات كليلة ودمنة دراسة بنيوية، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط1 الأردن 2010، ص12.

1 -1 ـ الموضوع الرئيسي: الوعظ الديني

يسعى الوعظ الديني لتوصيل مجموعة من المعاني الإيمانية من معرفة بالدين وبأصوله وبالسير على منهاجه الصحيح، وبتقوية الإيمان ومحاربة المنكرات وكذا إصلاح أحوال الناس ببث الأفكار التعبديّة التي تقوي الصّلة بين العبد وربه، وكذا مخاطبة مشاعر المتلقي وإثارتها، وقد تتعدد طرق هذا الإيصال وكيفياته ووسائله، إلا أن ابن الجوزي في هذا المقام يختار من بين الوسائل " الحكاية " كونها أوقع في النفس من أي شيء آخر، فهي وسيلة تأثيرية ناجعة لإرساء المثل والقيم الأخلاقية التي تستخلص من شخصيات الحكاية وأفعالها، باتخاذها قدوةً ونبراساً يسير عليه المتلقي في حياته، وقد عدّد موضوعات الحكايات التي تصب كلها في إطار الوعظ بحيث أسميناها موضوعات ثانوية كونها تخدم الغرض العام للحكايات.

1 ـ 2 ـ الموضوعات الثانوية:

يتجسّد الموضوع الرئيسي والمتمثّل في الوعظ الديني عن طريق وحدات جزئية أو موضوعات ثانوية تسهم في تكوين هذه الوحدة العامة وبنائها، ويكون هذا عن طريق طرح ابن الجوزي لمجموعة موضوعات توحّد الفكرة التي تقوم عليها كل الحكايات، وهي بعث القيم في النفوس من خلال تجارب عاشها آخرون، وهو يدعو من خلال هذا إلى الاقتداء بهم والسير على نهجهم، وقد أثار انتباهنا أن الحكاية الواحدة قد تضمّ أكثر من موضوع وذلك ما دعانا إلى التركيز على الموضوع الغالب فيها حيث تمثّلت هذه الموضوعات فيما يلي:

1 ـ 2 ـ 1 ـ شدّة التعلّق بالله وبالعمل الصالح:

يطغى على شخصيات حكاياتنا شدّة التعلق بالله وتحرّي العمل الصالح وأدائه والإخلاص فيه، وهو موضوع من الموضوعات الجزئية التي بها يتجسّد الوعظ، وكأن ابن الجوزي بأفعال هذه الشخصيات يعظ المتلقي ليقول له: إن كل عباد الله وجب عليهم التعلّق بالله كحال هؤلاء الذين لم ينفكوا يتبعون صالح الأعمال ويتعلقون بالخالق ويصدقون العبادة له، فبقدر ما هو وعظي فله جانب حجاجي أيضاً كونه يوظف الشخصية شاهداً له على وجوب الإخلاص لله تعالى، وليس على القارئ الآن أن يركز في هذه الأمور، لأننا سوف نخصص لها جزءً محدداً في مقام لاحق، إنما عليه فقط إدراك العلاقة التي تربط بين الأطراف الثلاثة للدراسة، وهي الموضوعات وعنصرا الوعظ والحجاج، وحفاظا على نظامية الدراسة ومنهاجيتها علينا التركيز على العنوان الذي مهدنا به لهذه الفقرة.

إن من الحكايات التي صبّت تحت موضوع التعلق بالله الحكايات رقم: (7، 10، 12، 14، 15، 16، 18، 22، 35، 37، 42، 53، 56)[1]، حيث تنقل لنا أخباراً لشخصيات جسّدت صدق تعلّقها بالخالق، وقد نالت فئة من سموا بالمجانين نصيباً وافراً من هذه الحكايات حيث ترد أخبارهم في كل من الحكايات رقم: (15، 16، 42، 53، 56)[2] ، إذ نجدهم ينعزلون عن الناس ويلقون بأشعارهم التعبّدية على كل من يلقونه لشدّة فيض الإيمان في قلوبهم، في حين ترد في باقي الحكايات أخبارٌ منها ما يخصّ جمهور العامة ومنها ما يخصّ بعضاً من الخلفاء العباسيين، من بينهم هارون الرشيد[3] الذي ورد

[1]- ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص241. 242، 243، 242، 243. 244، 244، 244. 247، 247. 248، 249. 250، 254، 255، 259. 260، 262. 263، 265. 266.

[2]- المصدر نفسه، ص244، 244. 247، 259. 260، 262. 263، 265. 266.

[3]- هو ابن الخليفة محمّد المهدي من زوجته الخيزران بنت عطاء التي كان لها نفوذ كبير في الدولة، ولد في 763م، وهو الخليفة العباسي الخامس، يعتبر من أشهر الخلفاء العباسيين، حكم بين عامي 786 و809م، يعتبر عصره العصر الإسلامي الذهبي، قال عنه الذهبي: " وكان يحبّ العلماء ويعظّم حرمات الدين "، توفي في 193هـ/ 809م. .Www.wikipédia,org

أنه كان: " كثير البكاء من خشية الله تعالى سريع الدمعة عند الذكر محباً للمواعظ "[1]، فقد ورد في الحكاية رقم 7 خبر دخول ابن السمّاك[2] عليه وهو أحد رجال الوعظ في الدولة العباسية ليقول له: " اعلم أنك واقف بين يدي ربك ثم منصرف إلى إحدى منزلتين لا ثالث لهما: جنة أو نار "[3]، فبكى الرشيد بكاءً شديداً حتى أشفقوا عليه، وهو ما يبيّن متانة الحبل الذي يربط الخليفة هارون الرشيد بخالقه.

في حين تنقل الحكاية رقم (18)[4] والحكاية رقم (35)[5] خبر تعلّق شخصيات من عامة الناس بالعمل الصالح، فالحكاية الأولى تسرد خبر المرأة التي صامت ستين سنة لم تفطر، بينما تسرد الثانية خبر الزوجان اللذان يقومان الليل كل ليلة حتى أتما أربعين سنة.

ولفضائل هذه الأعمال على سائر الأعمال الأخرى سعى ابن الجوزي إلى اقتراح فكرة الاقتداء بمثل هؤلاء الأشخاص لتمثيلهم الإيمان في أكمل صوره، ولأجل هذا قام بعرض هذه الحكايات التي اختارها لمناسبتها غرضِهِ الوعظي.

1 ـ 2 ـ 2 ـ التخلي عن الدنيا للآخرة:

تتقارب حكايات هذا الموضوع بالموضوع السابق، كون شدة التعلق بالله يقابلها حتماً التخلي عن ملذات الدنيا، ولأجل هذا قمنا بالفصل بين الموضوعين باتّباع البنية البارزة أكثر في الحكاية، وقد انجرّ عن هذا توافر ما يشير إلى تخلي أولياء الله عن متاع الدنيا طمعاً في متاع الآخرة في عدد من الحكايات منها الحكايات رقم: (22، 28، 29، 30،

[1]- مصطفى البشير قط: مجالس الأدب في قصور الخلفاء العباسيين، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، الأردن 2009، ص362.

[2]. هو محمد بن صبيح الكوفي ، الزاهد، القدوة، سيّد الوعاظ، له من الكلام الحسن والمقامات عند الخلفاء.

[3]. ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص241. 242.

[4]. المصدر نفسه، ص247.

[5]. المصدر نفسه، ص254.

37، 41، 45، 46، 54)[1] ، ففيها تتخلى الشخصيات عن متاع الدنيا رجاء أن يعوّضها الله في الآخرة بما لا عين رأت ولا أذن سمعت.

من بين هذا المتاع المرأة، فقد ورد عن أحدهم في الحكاية رقم (28)[2] أنه هجر جاريته التي كان لها صوت حسن تطرب به من أقبل وأدبر، لكونها ألهته عن العبادة وعن أداء فروضه تجاه خالقه، وهو بهذا يزهد في ما شرّعه الله له من نعم الدنيا للفوز بالآخرة التي هي أشدّ وأبقى.

كذلك ما جاء في الحكايتين (30)[3] و(37)[4] عمّن خيّروا التصدّق بمالهم على التمتّع به لقضاء حوائج البدن، ليعوّضهم الله من فضله الواسع، وبهذا تكون هذه الشخصيات قد فضّلت الآجل الباقي على العاجل الفاني الذي يزول بانتهاء العمر.

1 ـ 2 ـ 3 ـ ثواب أولياء الله:

يتعدد أجر أولياء الله في الحكايات ولكنه يتخذ صورتين، الأولى تتمثّل في الكرامات، فأصحابها أناسٌ أخلصوا العبادة لله فمنحهم الله جرّاء ذلك كرامات أو امتيازات عن باقي البشر تتمثل في قدرتهم على القيام بأفعال خارقة للعادة ومجانِبة للواقع، من ذلك ما جاء في الحكايات رقم: (17، 22، 41، 55)[5] ، من إيقاف الريح وتصيير الحجر ذهباً ونزول سحابة وخروج اللؤلؤ منها والتَفْلُ في أذن المريض وإبـــــرائه.

---

[1]- ابن الجوزي: ص249، 250، 251، 252، 252، 257، 259، 260، 260، 261، 263، 264.

[2]. المصدر نفسه، ص251، 252.

[3]. المصدر نفسه، ص252.

[4]. المصدر نفسه، ص255.

[5]. المصدر نفسه، ص247، 249، 250، 257، 259، 264، 265.

وعلى هذا الأساس يكون اختيار ابن الجوزي لحكايات تحتوي مثل هذه الكرامات، بمثابة التحفيز الذي يدعو من خلاله إلى طاعة الله اقتداءً بتلك الشخصيات، كما ترتبط الكرامات في قراءة ثانية لها بالحجاج، وهو ما سوف نقوم بالنظر فيه لاحقاً.

أما ثاني صور هذا الأجر فيتمثّل في منّ الله على العبد بمختلف أنواع الرزق في الحياة الدنيا، وقد جسّدت الحكايات رقم: (16، 26، 34، 36)[1] هذا الأمر، فعلى سبيل المثال تنقل لنا الحكاية رقم (36)[2] خبر الرجل الذي ورث عن أمه بيتاً فباعه بأربعين ديناراً وخرج إلى الحج، فاستقبله أحدهم يسأله عماّ يحمل في يده، فحدّث الرجل نفسه قائلا الصدق خير، فأخبره بعددها، وبعد أن تأكد السائل من ذلك نزل من دابته ومنحها له جزاء صدقه، وهو بهذا الفعل يجازي الرجل عن عدم كذبه ولفّه في الجواب، وهو في الحقيقة ثواب له من الله تعالى على يد السائل لأنه التزم بتعاليمه الربّانية في قول الحق واجتناب الكـــــذب.

بينما تتضمّن الحكاية رقم 16 خبر " أبو جعفر المغربي " الذي كان جالساً ببيت المقدس حين حضر أحد من سمّوا بالمجانين وجماعة صبيان تلحقه وترميه بالحجارة وهو يقول: " اللهم أرحني من هذه الدّار "[3]، فلمّا سمع أبو جعفر هذا الكلام قال له: " هذا كلام حكيم فمن أين لك هذه الحكمة؟ "[4] فرد عليه قائلاً: " من أخلص له في الخدمة أورثه طرائف الحكمة "[5].

---

[1]- ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص244، 247، 250، 251، 253، 254، 254.

[2]. المصدر نفسه، ص254، 255.

[3]. المصدر نفسه، ص244، 245.

[4]. المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[5]. المصدر نفسه والصفحة نفسها.

يتبيّن لنا من خلال هذا القول أن الله تعالى قد أثاب عباده المخلصين بالحكمة التي تعني: " المعرفة بدين الله والفقه فيه والعمل به والتفكّر في أمر الله واتباعه وطاعته "[1] ففيها خيرٌ كثير لقوله تعالى: " يؤتي الحكمة من يشاءُ ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيرا وما يذّكّرُ إلا أولوا الألبابِ "[2]

1 ـ 2 ـ 4 ـ طرق مواجهة المحن:

ضمّت بعض الحكايات طريقتان يتم بهما مواجهة المحن والمصائب التي يتعرّض لها المرء تمثّلتا في الصبر والدعاء، مثّلت الحكايات رقم: (5، 6، 38، 41)[3] قيم الصّبر بينما مثّلت الحكايات رقم: (2، 8. 21)[4] دور الدعاء في فتح أبواب الخير والبركة.

تتجسّد قيم الصبر عن طريق مجاهدة العبد لشدائد الدنيا واحتماله إياها وتلقيها بصدر رحب، ومن المواقف التي كانت فيها شخصيات الحكايات أحوج إلى الصبر ما روي عن المرأة التي اختارت الجوع على أن تتصرّف في اللؤلؤتين اللتين منحهما الله لزوجها نتيجة دعائه وتضرعه له، حيث نجدها تطلب منه أن يدعوَ الله مرّة ثانية ليقبلهما منه ويدّخرهما له للآخرة، مع مقاومة الجوع والصبر عليه، وقد جاء هذا في الحكاية رقم (41)[5]

بينما يتجلى صدق الدعاء فيما روي عن الرجل الذي أُدخل السجن فلم يجد مكاناً يجلس فيه، فلماّ تجلّى الليل قام فتوضأ فصلى ودعا الله أن يفكّ أسره عاجلاً، وما إن

---

[1]. ينظر: هلال محمد العيسى: جامع روائع الحكم والنصائح والمواعظ والمثل في الأدب والتاريخ وما تمثل به العرب والعجم عن ألسن الطير والحيوان، دار الكتاب الحديث، الجزائر، 2008، ص12.

[2]. سورة البقرة الآية: 269.

[3]. ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص240. 241، 241، 255. 256، 257. 259.

[4]. المصدر نفسه، ص240، 242، 249.

[5]. المصدر نفسه، ص257. 258. 259.

أصبح حتى خُليَ سبيله، وقد جاء هذا في الحكاية رقم (21)[1]، ولأجل هذا وجب على العبد أن يدرك قيمة الدعاء في تغيير الأشياء، شرط إخلاصه وحسن النية فيه.

1 ـ 2 ـ 5 ـ التوبة:

تعني التوبة توقف الشخص عن أداء أفعال السوء واستبدالها بالصالح من الأعمال ليعوّض بها ما فرّط في جنب الله، وعليه ترد في الحكايات رقم: (1، 20، 28، 31، 33، 50، 54)[2] قصص توبة عدد من الرجال على أيدي الوعاظ تارة وعلى أيدي رجال من جمهور العامة تارة أخرى والذين أسدوا لهم النصح أو هم أعينهم طلبوا ذلك.

من بين الحكايات التي صوّرت توبة العبد لربه الحكاية رقم (20)[3] حيث ورد فيها خبر الولد الذي طالما وعظته أمه وحذّرته من الغفلة وذكّرته بالموت، إلا أنه لم يتّعظ إلا على أيدي " أبو عامر " الواعظ الذي أخذ مرّة ينذر ويبشّر إلى أن ماتت النفوس والقلوب واشتاقت إلى الجنة، وكان من بينهم هذا الغلام فهرع إلى أمه يبكي ثم كان أن جدّ في العبادة والذكر والدعاء والتضرّع لله، فكان لا يفارق محرابه إلا نادراً إلى أن مات.

تحوي هذه الحكاية عدداً من الفوائد والعبر، منها، ما للتوبة من دور في تهذيب سلوك العبد وتقويمه وتوجيهه إلى الطريق الصحيح، ويسبق هذا كله حسن التوكل على الله، وعلى هذا الأساس تتشابه هذه الحكاية مع بقية الحكايات بحكم أنها قامت بسرد أحداث تحمل المبدأ نفسه وهو انتقال العبد من حياة الظلم والذنوب إلى حياة النور والعبادة.

---

[1]. ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص249.

[2]. المصدر نفسه، ص239، 248، 249، 251، 252، 252، 253، 253.

[3]. المصدر نفسه، ص248، 249.

1 ـ 2 ـ 6 ـ تأدية الأمانة:

تبيّن لنا الحكايتين رقم 40 و41 ثواب تأدية الأمانات إلى أهلها عن طريق سرد أفعال حسنة قامت بها شخصيات فانجرت عنها الإثابة والاستحسان، من ذلك ما جاءت به الحكاية رقم (40)[1] من خبر الرجل الضرير الذي تصدّق له أحدهم بمال وبدل أن يعطيه درهماً أعطاه ديناراً، فذهب الضرير بالمال إلى بقال يتعامل معه، فأخبره أنه دينارٌ وليس درهم، فعاد به إلى من تصدّق له بها فأثابه هذا الأخير بها ووعده بجزء من مثلها رأس كل شهر.

كانت هذه أهم الموضوعات التي أتى بها ابن الجوزي في مجموعة حكاياته، حيث اختار من الحكايات تلك التي تحمل معاني تتجسّد في أفعال الشخصيات وأقوالها والتي وجب اتّباعها، والتي تتوافق ومبتغاه، وقد وظف أحداث هذه الحكايات وأفعال شخصياتها وكذا زمانها والمكان الذي ضمّ هذه الأحداث إضافة إلى كلّ مكونات السرد التي قمنا باستخلاصها من الحكايات خطوة حجاجية يستدلّ بها لتأكيد مبدئه في الحياة ولتوصيل غايته الوعظية التي تحكّمت في بناء كل الوحدات التي بدورها قامت ببناء الوحدة العامة، وسوف نقوم في الخطوة التالية بالتركيز أكثر على الكيفية التي قام بها هذا السرد بتوصيل الوعظ، وكيف أن السرد أيضا اتخذه ابن الجوزي ليحتج به على ما أراد إيصاله.

2 ـ تجلّيات الحجاج في الحكايات:

احتوت الحكايات التي قام ابن الجوزي بإيرادها في كتابه، على مجموعة مكوّنات خدمت الغرض الوعظي الحجاجي كونها قامت بإبراز الأوجه الحجاجية التي تحتويها الحكاية، والذي دفع لتواجدها واحتلالها مكانةً وموضعاً في الكتاب الذي أخرجه مؤلفه ليحتج به على أفكاره الوعظية، ومن هذه المكونات السرد وهو يحتل الصدارة كون طبيعة

[1]. ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص256. 257.

الخطاب التواصلي الذي استعمله ابن الجوزي لغرض الحجاج هو الحكاية، إضافة إلى التصوير أو الصورة وهو يبرز في حكايات دون أخرى، وكذلك الأمثلة أو الشواهد التي تمثّل شخصيات الحكاية، إضافة أيضاً إلى القياس المضمر الذي يعتبر وسيلة من وسائل الإقناع المنطقية وهو يتخفى في تضاعيف السرد، ناهيك عن الشعر الذي يحتل دورا حجاجيا في الحكايات، كما تظهر تقنية التكرير في الحكايات وبالأخص تكرير موضوعات معينة وهذا لإحداث التأثير في المتلقي بإقناعه بالأمور المطروحة، وفي الخطوة التالية سوف نفصّل في هذه العناصر:

2 ـ 1 ـ الحجاج بالسرد:

جاء في ترجمة ابن الجوزي[1] أنه كان خطيباً[2] مجيداً لفنون الكلام حتى لقّب بعالم العراق وواعظ الآفاق إضافة إلى تعدد تصانيفه في مختلف مجالات المعرفة إلا أن ما عرف عنه غالباً هو الوعظ الديني، وقد استعمل لتبليغه إضافة إلى الخطبة جنس القصة أو الحكاية التي شاعت حينها بين جمهور العامة والخاصة والتي تناقلتها العرب كونها تحكي مآثر سابقيهم وتسرد أخبارهم وأيامهم، ومن بين الحكايات التي اختارها ابن الجوزي وسيلة لإيصال وعظه الحكايات التي تسرد أفعال الصالحين وأخبارهم لتكون قدوة للمتلقي، وبهذا يكون ابن الجوزي قد وحّد الغاية ـ غاية الوعظ ـ وعدّد الوسائل التي توصلها من خطبة وحكاية وأقوال وأمثال، ومن هنا يمكننا القول إن مدونتنا التي تتمثل في مجموعة حكايات تعدّ بمثابة امتداد لخطب ابن الجوزي كونها تنتمي للمسار نفسه وهو الوعظ، وقد سلك المؤلف في هذا نهج الرسول صلى لله عليه وسلّم فقد جاء في أساليب وعظه صلى

[1]- جاء في كتاب " عجائب علوم القرآن " لابن الجوزي، تح : عبد الفتاح عاشور، أن ابن الجوزي قد تفرد بفن الوعظ الذي لم يسبق إليه ولا يلحقه فيه أحد، وفي طريقته وشكله وفي فصاحته ونفوذ وعظه، وتقريبه الأشياء الغريبة بما يشاهد من الأمور الحية، يجمع المعاني الكثيرة في الكلمة اليسيرة.

[2]. ورد في الكتاب نفسه أن ابن الجوزي قد كان يقول عن نفسه: " ولقد أقدرُ على أن أترجّل المجلس كله من غير ذكر محفوظ، ولربما قُرِأَتْ عندي في المجلس خمس عشرة آية ، فآتي على كل آية بخطبةٍ تناسبها في الحال ".

الله عليه وسلم أنه كان: " يعظ أصحابه بالخطبة، وقد يعظهم بما يناسب الحال(...) ويذكرهم برحمة الله حين امرأة تبحث عن صبيّها في السبي، ثم تضمّه وترضعه، وهكذا فقد تكون الموعظة قصة تسرد أو مثلاً يضرب، أو جملة تقال أو فعلاً يحتذى به "[1]، كما ذكر من ضوابط الوعظ: " الاستشهاد بالقصة الصحيحة المؤثرة فهو منهج القرآن، والسيرة مليئة بقصص من كانوا قبلنا ما حكاه النبي صلى الله عليه وسلّم لأصحابه "[2]، وهذا ما يثبت دور القصة أو الحكاية في تبليغ الموعظة والتأثير في النفوس.

وكما أن الحكاية قد مثلت وسيلة من وسائل الوعظ فكذلك مثّل السرد وسيلة من وسائل الحجاج كون ابن الجوزي قد احتج بالحكاية ـ التي مثلت في هذا المقام السرد ـ لتثبيت فكرة وعظه وتأكيدها، ودون أن نخرج عن إطار المدونة أمكننا القول إن ابن الجوزي يثبت عن طريق هذه الحكايات ما جاء به من وعظ تضمنته خطبه فتصير بهذا جزءً تابعاً لخطبه وامتداداً لها، ولا يعني هذا أننا نربط الحكايات بالخطب التي تحدثنا عنها إنما نحافظ على منهجنا البنيوي في الدراسة ولا نخرج عن إطار المدوّنة.

تظهر من كل هذا العلاقة الثلاثية التي تربط بين الحكاية والوعظ والحجاج وتجمع بينهما، والتي تتحكم في سير هذا العمل أو الدراسة التي نثبت من خلالها إمكانية التوحيد بين هذه العناصر التي تتمثل في الحكاية والوعظ والحجاج وندمجها في كيان واحد وموحّد هو السرد والحجاج في الحكاية.

2. 1. 1 ـ تحليل سردي حجاجي لمجموعة من الحكايات:

اختار ابن الجوزي الحكاية باعتبارها نصاً سردياً يحقق من خلاله غاية تواصلية إذ يمكن عن طريقها استنباط مجموعة من الحكم والمواعظ والنصائح والعبر ممثلة ومتضمنة

[1]. فن الوعظ أهميته وضوابطه، منتديات ستار تايمز Www. Startimes. Com

[2]. المقال نفسه.

في أحداث الشخصيات وأفعالها، والتي يحتج بها على أهمية التمسّك بالدين الحنيف وإخلاص العبادة لله عزّ وجلّ، وما علينا نحن في هذا المقام الحجاجي سوى استخراج هذه العناصر من صلب الحكايات باعتبارها عناصر حجاجية تثبت فكرة الوعـــــــــــظ.

تتحدد قيمة هذه الحكايات بما تنضوي عليه من رسالة تواصلية تحمل مقاصد وغايات سعى لإحيائها ابن الجوزي في مجتمع فقد أو أنه كان في طريق فقده لتلك المبادئ والقيم، حيث تعتبر وقائع هذه الحكايات ماضية الحدوث إلا أنها لا تتوقف عند هذا الزمن الماضي بل تتعداه لتكون صالحة لكل زمان ومكان، وهذا لما تحتوي عليه من قيم لا تخص زمنا معيناً إنما تبقى حية بحياة البشر على وجه الأرض، والقارئ في هذا السياق هو المسؤول الوحيد عن بعث هذه القيم من جديد.

وظّف ابن الجوزي الحكاية وسيلة تواصلية حجاجية وعليه سنقوم بتحليل الحكايات تحليلاً سردياً حجاجياً لاستخراج الأوجه الحجاجية من خلال السرد، ويظهر ذلك على النحو التالي:

2. 1. 1. 1 ـ الحجاج في الحكايات التي تُصنَّفُ تحت موضوع التوبة:

تقوم الحكاية رقم (1)[1] على الحوار الذي يبنى على أسئلة الرجل وأجوبة الزاهد " إبراهيم بن أدهم "[2]، وتكون الغاية منه إقناع الرجل وترسيخ فكرة الإيمان لديه، حيث تتواصل حجج الشيخ وتسليمات الرجل ليصل به إلى غاية إقناعية رداً على تساؤله الذي أدخله في هذه المحاورة، يصبح كل ملفوظ حجة أو سلماً حجاجياً، حيث نجد الرجل يدعو الزاهد إلى أن يحدثه بمسألة يلين بها قلبه، ليبادر الزاهد بذكر الخصال التي وجب توافرها

[1]- ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص239.

[2]. هو ابن منصور بن يزيد بن جابر العجلي ويقال التيمي، أحد علماء أهل السنّة والجماعة ومن أعلام التصوّف السنيّ في القرن الثاني الهجري، وهو سيّد الزهاد، ومن الأشراف، كان أبوه كثير المال والخدم، توفي سنة 162ه وقبره يزار، توفي وهو مرابط مجاهد في إحدى جزر البحر المتوسّط , Www. Wikipédia ;org /Islam web.net tube

في العبد لينال رضا الله، وتعتبر هذه الخصال أفكاراً واستراتيجيات تحاورية حجاجية أراد الزاهد السير بالسائل درجة بعد درجة ليحصل لديه اقتناع تام بالفكرة التي أراد إيصالها له، حيث تعتبر هذه الخصال بمثابة الجوابات المسكتة التي تردّ على تساؤل الرجل، وهذا لما تحويه من عناصر بلاغية، ثقافية، ودينية ناهيك عن أسلوبها المترجل، حيث تدفع السائل للاقتناع بها دون أي تعليق عليها أو استفسار، وهذا لبنائها على عنصر الدقة والمنطق، فقد أثبتت مكانتها في مجالس العرب قديماً، حيث نجد مما اتسمت به هذه الأخيرة تلك الأسئلة التي كانت تطرح على الحكماء وأهل الرأي الصائب وتلك الأجوبة التي كانت تقابلها بكل عفوية وارتجال، والتي تخص كل جوانب المعيشة مما يحتاج إليه العرب في دينهم ودنياهم، إذ تتبع هذه الأجوبة من كيان شخص جعل شغله في تجنب الأخطاء التي يقع فيها الغير، وهذا كي يصون نفسه عما تأباه الذات الإلهية ويأباه العقل السليم، ويستحضر سعيد يقطين بيئة تلك المجالس، إذ يذكر حال المتكلم فيها بأنه: " يقدم كلاما جاهزا ومعدا سلفا أو ينتج كلامه بداهة وارتجالا "[1]، ويوضح أيضا العلاقة بين المتكلمين فيقول: " كانت العلاقة بين السامع والمتكلم علاقة سائل بمجيب كانت الأسئلة محفزة ومولدة للكلام أو داعية إلى استحضاره وترهينه "[2] ولنستحضر الآن واحدة من تلك الجوابات فقد: " قيل لبعض الحكماء: ما المروءة؟ قال: إنصاف من هو دونك والسمو إلى من هو فوقك، قيل: فممن تعلمت العقل؟ قال: ممن لا عقل له، كنت أرى الجاهل يفعل الشيء فيضره فأتجنبه "[3].

يمكننا القول من خلال ما تقّدم أن الجوابات قد لقيت حظا وافرا في مجالس العرب، فقد كانت تعتبر مثلما يقول مصطفى البشير قط: " خطابا حجاجيا يهدف إلى الإقناع

[1]. سعيد يقطين: السرد العربي مفاهيم وتجليات، ص153.

[2]. المرجع نفسه، ص162 .163.

[3]. هلال محمد العيسى: جامع روائع الحكم والنصائح والمواعظ والمثل في الأدب والتاريخ، وما تمثل به العرب والعجم عن ألسن الطير والحيوان، ص133.

بالحجة لإفحام الخصم "[1]، وبهذا تمثل هذه الجوابات استراتيجية إقناعية قصدية من الزاهد موجهة للسائل، لأن الاستراتيجية تتمثل في: " كل فعل قصدي منسق للوصول إلى هدف معين "[2].

أول هذه الاستراتيجيات التحاورية قول الزاهد: " إذا أردت أن تعصي الله فلا تأكل رزقه "[3]، وهذا شرط تعجيزي اشترطه الطرف الأول في الحوار على الطرف الثاني، وهو يدرك تمام الإدراك أنه لا مخلوق على وجه الأرض بمقدوره الإعراض أو التخلي عن رزق الله ونعمه التي تحيط بالعبد، وأن لا منبع للرزق غير رزق الله على وجه هذه الأرض، حيث يدرك السائل عن طريق هذه الاستراتيجية الحجاجية التي اعتمد عليها الزاهد وجوب طاعة الله وعدم عصيانه، كون عصيان الله يستلزم عدم الحاجة إليه وإلى رزقه، وأن حضور الرزق يستلزم وجوب الطاعة، وكأنه بذلك يخاطبه فيقول له: " أَطِعْ الله لأنك تأكل من رزقه وتسترزق من خيراته "، حيث لم يعتمد الزاهد في هذه الحكاية على صيغ الأمر والنهي بل اعتمد الأسلوب الليّن السلس الرتيب، إذ: " عندما يطالب المحاور غيره بمشاركته اعتقاداته فإن مطالبته لا تكتسي صبغة الإكراه ولا تدرج على منهج القمع وإنما تتّبع في تحصيل غرضها سبلاً استدلالية متنوعة تجرّ الغير جراً إلى الاقتناع برأي المحاور "[4]، ومن العبارات التي تدلّ على اقتناع السائل في هذه الحكاية بالخصال التي يذكرها له، مجموعة عبارات يلقيها السائل على الزاهد ليجيز له بها المرور للخصلة الثانية، تمثلت هذه العبارات في:< لا والله هات الثانية، لا والله هات الثالثة، صدقت هات الخامسة، ليس ذلك إلي هات السادسة، يا إبراهيم حسبي حسبي حسبي > وتدل آخر هذه العبارات على أعلى مراتب الاقتناع التي وصل إليها السائل، حيث يشرك الزاهد

[1]. مصطفى البشير قط: مفهوم النثر الفني وأجناسه في النقد العربي القديم، دار اليازوري العلمية، الأردن، 2009، ص115.

[2]- محمود طلحة: تداولية الخطاب السردي دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، إربد، 2012، ص139.

[3]- ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص239.

[4]. محمود طلحة: تداولية الخطاب السردي دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي، ص155.

السائل في كلامه ولا يتولى الحديث لوحده، فيحقق بهذه الخطوة درجة اقناع عالية لإشراكه المتلقي فيتحد الكلام والفهم ليولدا الاقناع، حيث نجد أن السائل لم يعارض الزاهد في أي من الخطوات التي اتبعها وهذا كون أدلته منطقية تقوم على مسلّمات لا أحد من البشر يستطيع الإعراض عنها أو تغييرها.

يدعو الزاهدُ السائلَ من خلال هذه الحكاية إلى أمر واحد ووحيد هو طاعة الله وعدم عصيانه، إلا أنه اعتمد في ذلك على الأسلوب غير المباشر بحيث يخبر السائل بمجموعة شروط وجب عليه اتباعها في حالة أراد أن يعصي الله وهي شروط تعجيزية، إذ لا سبيل للعبد في عصيان الخالق مع احتفاظه بالحق في ذلك تحت أي ظرف من الظروف كان، ومقابل ذلك عليه بالطاعة والعبودية بحكم أن أساس الوجود بكل ما فيه هو الخالق عزّ وجل، ويعرض الزاهد في ذلك مجموعة أسباب تدعو الرجل إلى طاعة الله تاركاً في كل هذا الخيار له كي يتخذ الموقف الذي يرغب فيه، وفيما يلي جدولاً نوضح فيه الخصلة الإيمانية ونفصّلها مع إبراز الواجب الذي يترتب عليها وتوضيح الأسباب والحجج التي تنجرّ عن هذا الموقف:

رقم الخصلة	الخصلة	الواجب الذي يترتب عليها مع الحجج
الخصلة1:	ـ إذا أردت أن تعصي الله فلا تأكل رزقه	ـ وجوب طاعة الله وعدم عصيانه لأن كل الرزق الذي على وجه الأرض رزقه، وأنت تأكل رزقه.
الخصلة2:	ـ إذا أردت أن تعصيه فلا تسكن في بلده	ـ وجوب طاعة الله وعدم عصيانه لأن كل البلاد بلاده، وأنت تسكن بلاده.
الخصلة3:	ـ إذا أردت أن تعصيه فلا تخليه يراك	ـ وجوب طاعة الله وعدم عصيانه لأن الله يطّلع على عليك فهو يكشف السرائر ويعلم الضمائر
الخصلة4:	ـ إذا جاء ملك الموت يقبض روحك فقل أخّرني حتى أتوب.	ـ وجوب طاعة الله وعدم عصيانه لأنه لا يمكنك تأجيل الموت.
الخصلة5:	ـ إذا جاءك منكر ونكير فخاصمهما بقولك إن استطعت.	ـ وجوب طاعة الله وعدم عصيانه لأنه لا يمكنك ردّ عذاب منكر ونكير.
الخصلة6:	ـ إذا كان غدا بين يدي الله تعالى وأمر بك إلى النار، فقل لا أذهب إليها	ـ وجوب طاعة الله وعدم عصيانه لأنه لا يمكنك معارضة أوامر الله تعالى.

تشترك كل هذه الخصال في الواجب الدنيوي والديني الذي يترتب عليها وهو طاعة الله في الحياة الدنيا والعيش لمرضاته، إلا أن الحجج التي قام بعرضها تتنوع وتتعدد وذلك لكي يؤكد ما جاء به، أي ليمنح كلامه صدى أقوى يؤثر به على السائل وكذا على متلقي

الحكاية لأنه يقوم مقام السائل لحظة قراءته للحكاية، حيث قام بعرض العديد من الحجج لتأكيد أمر واحد هو طاعة الله وعدم الإعراض عن أوامره، وقد تجسّدت هذه الحجج في ذكر بعض الأفكار التي تمثّل نعم الله على العبد وكذا الإشارة إلى شدة عقابه.

تعتبر هذه الحكاية بمثابة القاعدة التي تتحكم في وجود الإنسان وتنظم حياته وأفعاله ومعتقداته التي وجب توجيهها لتحقيق مرضاة الله تعالى، وقد جاءت هذه الحكاية لتحقّق هذا الغرض، حيث تنطبق وضعية السائل على كل عباد الله الذين وجب عليهم سؤال علماء الدين ومن لهم معرفة قليلة أو كثيرة به لتثبيت أنفسهم على الطاعة والعودة بها عند انحرافها عن الطريق الصحيح إليه، ومثيله أن مجموعة الخصال التي ذكرها الزاهد يشترك فيها كل البشر ما يعني أن على جميعهم الاقتناع بها واتخاذ المواقف نفسها التي اتخذها السائل في العودة بنفسه إلى طريق الطاعة والعبادة، فهو بمثابة المعيار العام الذي يصلح لكل البشر، ولأجل هذا بمقدور الحكاية أن تمثل وسيلة حجاجية اعتمدها ابن الجوزي ليحقق من خلالها غاية حجاجية تتمثل في تثبيت العبد على الطاعة والعودة به لطريق الاستقامة والثبات على الحق، كما تدعوه لاتخاذ موقف مشابه لموقف الشخصية التي تعدّ في الحكاية شاهداً على صحة أفكار الوعظ وقبول العامة لها، ولأجل هذا تمثّل قصص ابن الجوزي شواهداً يستشهد من خلالها على موقفه الوعظي وهي كذلك تمثيلٌ للحكمة التي تتجسد من خلال أقوال الزاهد أو الخطيب الدينية.

اعتمد الراوي لتثبيت فكرة الإيمان في قلوب البشر ولتعريفهم بنعم الله التي وجب عليهم جزّاءها إخلاص الطاعة لله والعبادة والحمد له لا شريك له، على هذه الحكاية التي تعتبر أسلوبا حجاجيا غير مباشر لاعتماده على السرد مادة أولية لإيصال هذه الأفكار، وبتعبير أوضح فقد استعمل السرد في حد ذاته لأداء غايات حجاجية، تَمثَّلَ هذا السرد في الحكاية التي كان مضمونها مقابلةً بين الزاهد والسائل الذي يمثل المعيار العام الذي يصلح لكل البشر، فقد عرف السائل بعد تعداد الزاهد لمجموعة من الخصال حق الله

تعالى في عبادته والتقرب إليه بشتى وسائل الطاعة، وهو ما يستجب علينا نحن متلقي هذه الحكاية الاعتبار بها وبما جاءت به من مبادئ ومساعي، وهو ما دعا إليه ابن الجوزي حيث كان غرضه الوحيد من خلال عرض الحكاية الاتعاظ بها وبأفعال الشخصيات وأقوالها فتصير بذلك حجة له جاء بها ليحقق ما تقدّم، وكأنه يقول لنا من خلالها أننا كلنا عباد الله وأن السائل لا يختلف حاله عن حالنا، فوجب علينا الاتعاظ به وبما قدم له الزاهد من خصال يدعوه من خلالها إلى الاقتناع برأيه، وهو ما يستلزم القيام به عن طريق اتخاذ موقف ثابت يسير عليه متلقي الحكاية في حياته مستفيداً من أقوال الزاهد المأثورة النابعة من فيض الإيمان والتجربة اللتين اجتمعتا في قلب الرجل.

2. 1. 1. 2 ـ الحجاج في الحكايات التي تُصنَّفُ تحت موضوع أثر الدعاء:

من الحكايات التي تصنف في موضوع أثر الدعاء والتي تشتمل على بعد حجاجي الحكاية رقم (2)[1]، حيث قمنا بتصنيفها سابقاً تحت الموضوع الخاص بمواجهة المحن عن طريق الدعاء، حيث يروي السارد في هذه الحكاية خبر الأمير الذي كان يجلس للشراب على الشط ويظهر القيان والخمور فجمع < أبو الحسن > جماعة من الصالحين وطلب منهم أن يقرؤوا القرآن وقت ظهور ذلك المنكر، وبعد جدال حصل بين< أبو الحسن > وأحد حراس الأمير توقف الأمير عن إظهار ذلك المنكر، وذلك أن فحوى الجدال كان أن هددت الجماعةُ الأميرَ في حال لم يتوقف عن فعل السوء، رفعُ الأيدي إلى الله عز وجل والدعاءِ عليه.

يُظهِرُ السارد من خلال أحداث هذه الحكاية فكرتين: الأولى تتمثل في تجنب إظهار المنكر كونه ظلم لعباد الله وكذا كونه فعل لا يرضي الله تعالى ولا أولياءه، والثانية وهي الأهم تتمثل في أثر الدعاء في تغيير سلوك الظالم، فوظيفة النص الأخلاقية تتمثل في

[1]- ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص240.

نهي المتلقي عن ظلم الغير كون دعوة المظلوم مستجابة لأن الله سوف ينتقم منه من خلال صوت هذا المظلوم، كما أنها دعوة للمتلقي إلى مزاولة الدعاء وطلب الخير من الله تعالى فهو سبيل حسن لمواجهة شتى المحن والشدائد، فالدعاء له نفوذ وسلطان قوي على البشر كونه نعمة من الله تعالى خصّ بها خلقه، يقول الله تعالى: " وإذا سألك عبادي عنّي فإنّي قريبٌ أجيب دعوة الدّاع إذا دعانِ فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلّهم يَرشدون"[1].

وعلى هذا الأساس يحتج ابن الجوزي من خلال هذه الحكاية التي تحوي شخصيات وأحداثاً وزماناً ومكاناً، على تأكيد موقفه الذي يتمثل في دعوة الخلق إلى منهاج الله عن طريق التمسّك بالدعاء وطلب الخير من كل أبوابه، وكذا تعريف الخلق بحجم العناية الربانية بالعباد عن طريق منحهم نعمة استجابة الدعاء، وبهذا يشكر الخلق خالقهم أحسن شكر ويحمدونه أعظم حمد.

يبرز من هذا كله الموقف الأخلاقي للحكاية باعتبارها شاهدا قصصياً ودليلاً سردياً أي مصوغا صياغة سردية عن طريق مجموعة أحداث مضمنة في الحكاية، وقد اعتمد ابن الجوزي على هذا الشاهد لتثبيت القيم التي يتضمنها الدعاء، وعلى هذا الأساس يمكننا القول إن هذه الحكاية لا تقتصر على كونها مجموعة أفعال قامت بها شخصيات إنما تتعدى هذا إلى كونها خطوة تواصلية حجاجية تحوي عبراً وتسعى إلى تحقيق غايات وأهداف، وبهذا يجسّد النص حجة مقنعة على صحة ما جاء به ابن الجوزي من أفكار وعظية لاحتوائها أفعالا لشخصيات معروفة لها نصيب وافر من الصحة والواقعية والتي تحدث التأثير القوي في المتلقي أكثر مما تحدثه الأوامر والنواهي البحتة، فبدل أن يطرح واجبا دينيا يأتي بحكاية تقوم شخصياتها بهذه الواجبات والأفعال وما يترتب عليه من أجـر وثواب أو عقاب عند الله عز وجل.

[1]- سورة البقرة، الآية 186.

يمكننا تعيين الرسائل والغايات التي جاءت بها هذه الحكاية في الأفكار التاليـــــــة:

- الحكاية حجة أتى بها ابن الجوزي لتدعيم فكرة أثر الدعاء في تغيير سلوك الفرد وبالتالي دعوة الراوي من خلال التعريف بهذا الواجب إلى الأخذ به عن طريق التضرع لله وطلب الحاجة منه لا شريك له.
- عدم طلب الحاجة من العبد والعيش مع الله تعالى عن طريق تقوية الرابط به عز وجل لأنه الوحيد الذي يعلم حاجة عبده إليه فيلبيها له عن طريق الإستجابة لدعائه.
- الحكاية ذات وظيفة دينية مفادها إسداء النصح للفرد بتمسكه بالدعاء واللجوء إليه بوصفه وسيلة لمواجهة المحن والمصائب التي تواجه الفرد في مساره الحياتي.
- تعريف الخلق برحمة الله وقدرته التي لا تضاهيها قدرة عن طريق تسخير دعوة المظلوم للانتقام من الظالم وعدم إهمال فعل السوء الذي ارتكبه.
- النهي عن أذية الغير ونبذ العدوان وتجنب الظلم الذي هو ظلمات يوم القيامة.

وبهذا يقوم الراوي ابن الجوزي من خلال هذه الحكاية بإقناع المتلقي بصدق الأطروحات التي عرضها سابقا في خطبه وفي أعماله التي تخص مساره الوعظي، فتصير الحكاية بهذا عملاً حجاجياً هدفه تثبيت آرائه والتدليل على صحتها والدعوة إلى العمل بمقتضاها، حيث يعرض الراوي دعواه مدعومة بالتبريرات قاصدا إقناع الآخر والتأثير في موقفه وسلوكه تجاه الموضوع المطروح، ونتيجة لهذا تحوي الحكاية، عند ابن الجوزي، كنزا وعظياً وجب البحث عنه والتنقيب في تضاعيفها عن قيمته، وبهذا يتّحد السرد مع الحجاج في كيان واحد ليحقق غاية وعظية واحدة.

اعتمد الراوي للدفاع عن فكرته عن طريق هذه الحكاية التي تعدّ أسلوبا حجاجيا غير مباشر على القياس المضمر الذي تغيب فيه المقدمة الكبرى لتحضر المقدمة الصغرى والنتيجة، حيث يمكن تصويره في الحكاية على النحو التالي:

- المقدمة الكبـــرى (مضمرة): المظلوم دعاؤه مستجاب
- المقدمة الصغرى (مذكورة): ابن يشار مظلوم
- النتيـــــــــــجة (مذكورة): ابن يشار دعاؤه مستجاب ويؤدي ذلك إلى توقف الأمير عن فعل السوء.

إن عرض ابن الجوزي لشخصيتي الأمير وابن يشار في الحكاية ليس سوى تمثيلا لغرض وعظي، حيث تمثل الشخصيتان شاهدين اعتمد عليهما ابن الجوزي لتمثيل صحة أثر الدعاء وحقيقته وبالأخص دعاء المظلوم للظالم.

ولم يتوقف ابن الجوزي في تثبيت هذه الفكرة عند حد هذه الحكاية بل اعتمد استراتيجية التكرير إذ تعداها إلى أكثر من حكاية مع الاحتفاظ بالمبادئ والأفكار الوعظية نفسها، وذلك ليحقق أكبر قدر ممكن من الاقناع، نجد ذلك على سبيل المثال في الحكاية رقم (8)[1] والحكاية رقم (21)[2]، بحيث اتخذهما ابن الجوزي وسيلتين توضحان دور الدعاء في فتح أبواب الخير والبركة، وقد اعتمد في كل هذا على عنصر السرد عن طريق مجموعة أفعال اتسمت بها شخصيات الحكاية والتي يتبين من خلالها تضرعها للخالق وندائها له كي يكشف عمّا أصابها من ضر وأذى وهي طريقة غير مباشرة يدعونا ابن الجوزي من خلالها إلى الإعجاب بهذا التصرف وبالتالي القيام بهذا الواجب الديني والاقتداء بالشخصيات لنيل ما نالته من أجر وثواب، حيث تتوجه هذه الحكاية ناصحةً المتلقي الذي عليه إدراك هذا الأمر فالحكاية وسيلة تواصلية تسعى لإصلاح سلوك الفرد

[1]- ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص242.

[2]. المصدر نفسه، ص249.

وتقويمه وتثبيت نفسه على الواجب الديني المطروح حتى يعمل به وهي الغاية التي من أجلها وجدت الحكاية.

2. 1. 1. 3 ـ الحجاج في الحكايات التي تُصنَّفُ تحت موضوع تأدية الأمانة:

اتخذ ابن الجوزي تأدية الأمانة موضوعاً من بين موضوعات وعظه الديني وقد أورد في كتابه ملتقط الحكايات، حكايتين تحت هذا الموضوع هما الحكاية40 والحكاية 41، وقد استعمل فيهما السرد وسيلة حجاجية لإيصال وعظه الديني، حيث تقوم هاتان الحكايتان بسرد مجموعة من الأحداث تخص بعض الشخصيات التي يظهر من أفعالها أداء الأمانة والتمسّك بوصية الرسول ﷺ، وبذلك يدعونا ابن الجوزي من خلالها إلى الإعجاب بتصرفاتها والاقتداء بها وبهذا تصلح الحكايتان لأن تكونا حجتين أتى بهما ابن الجوزي ليعرض موقفه في التحلي بهذا الواجب الديني والدنيوي الذي يعتبر أهم العناصر الايمانية التي على المرء الاتصاف بها، كما تعتبر الحكايتان تصويراً لهذا المبدأ الديني وتجسيداً له في واقعة محسوسة تؤثر في المتلقي أفعال شخصياتها فتدعوه لتأدية الأمانة لما تحققه من ثواب وأجر، وبالمقابل النفور من فعل التصرف في ممتلكات الغير ولما ينجر عليه من عواقب وخيمة تعود على الفاعل بالسوء والضرر، وبذلك تحقق الحكاية بوسائلها الحجاجية فكرة وعظية في غاية الأهمية.

وبالتركيز على الوجه الحجاجي فقد مثّلته شخصياتها الحقيقية، إذ تمتاز الحكايات التي من هذا النوع بطابعها الإقناعي والتأثيري كون شخصياتها أمثلة حيّة للاقتداء عن طريق طابعها الواقعي، فتكتسب الحكاية نتيجة لهذا وجهين الأول إمتاعي من حيث تحرك الشخصيات في الحكاية وأدائها لأفعال معينة ومشوقة، أما الوجه الثاني فيها فهو نفعي من حيث استنباط أوجه الفائدة والحكمة من أفعال الشخصيات كي يتم الاقتداء بها بالقيام بالأفعال نفسها، ويحصل من كل هذا أن: " تزدوج أساليب الإقناع بأساليب الإمتاع فتكون

بذلك أقدر على التأثير في اعتقاد المخاطب وتوجيه سلوكه لما يهبها هذا الإمتاع من قوة في استحضار الأشياء كأن يراها رأي العين "[1]، وهذا هو السبب الذي دعا ابن الجوزي لاختيار الحكاية لأداء غرضه الوعظي الحجاجي، لأن عناصر الشخصيات والأحداث والمكان مسؤولة عن إيصال أساليب عديدة للإقناع، بحيث تسهم في إحداث التأثير في المتلقي ودفعه إلى القيام بالفعل المطلوب، فتصير الحكايتان، بذلك، وسيلتين تواصليتين باعتبارهما خطابين لفظيين يجسدان أحداثا واقعية يتم نقل العظة للمتلقي بوساطتهم.

يروي السارد في الحكاية رقم (40)[2] خبر الضرير الذي رد المال إلى من تصدق له به حين إدراكه غلطه في صرة المال، فبدل أن يعطيه درهماً أعطاه دينارا، وهو خبر يصور أمانة الضرير إضافة إلى أمانة البقال الذي أخبره بحقيقة المال، فقد كان بوسع هذا الأخير أن يتصرف في المال على أنه دراهم في حين هي دنانير، وكان بوسع الضرير كذلك ألا يرجع المال لصاحبه الذي تصدق به عليه حين أعلمه أنها دنانير في حين قصد إعطاءه دراهماً فقط، إلا أن قلب الطرفين الضرير والبقال متعلّق بالآخرة أكثر من تعلقه بالدنيا الفانية، وهي دعوة للمتلقي للإعجاب بتصرفاتهم والتحلّي بخصالهم، لأن على البشر جميعاً واجبات مشتركة تجاه بعضهم البعض متمثلة في الحفاظ على سلامة ممتلكاتهم.

تدعو الحكاية من وجهها الحجاجي إلى قبول فكرة تأدية الأمانة على أنها واجب ديني على كل مسلم عليه تأديتها، وبتأكيد فكرة أن تضييعها يؤدي لتضييع الممتلكات المتعلقة بالحياة الدنيا، وكذا تضييع الأجر والثواب المتعلق بالآخرة لعدم رد الأمانات إلى أهلها، ومن هنا يبرز المقصد الأخلاقي من النص فقد قام السارد بالتمثيل الحكائي، عن طريق شخصيتي الضرير والبقال، للمعنى الأخلاقي المتمثل في تأدية الأمانة إلى أهلها

[1]. ينظر: محمود طلحة، تداولية الخطاب السردي دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي، ص156.

[2]- ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص252. 253.

وفي الوقت ذاته اتخذ السارد هذا النص الحكائي حجة سردية لتوصيل رسالته التي تتمثل في دعوة الخلق إلى التحلي بخلق المسلم عن طريق عدم تضييع الأمانات وردها لأهلها.

ومن الحكايات التي تتحدث عن الأمانة ما يرويه السارد في الحكاية رقم (41)[1] عن الرجل الذي احتفظ بالأمانة التي تمثلت في البذر والبقر لوقت طويل حتى امتلأت الأودية من المواشي والدقيق والغلال، حتى إذا جاء صاحبها ليرد بضاعته أنكر عليه حفظه لها واتهمه بالسرقة، فتقاضيا لدى عدد من القضاة إلى أن ظهر الحق وظهرت براءة الرجل، حيث يظهر من هذه الأحداث احتفاظ الرجل بالأمانة باعتبارها ممتلكات للغير فلم يعتد عليها ولم ينكرها على صاحبها رغم غيابه عنها بل اجتهد في الحفاظ عليها إلى حين تسليمها، وهي دعوة للمتلقي للتحلي بأخلاق هذه الشخصية في الحكاية واتخاذها نبراسا وقدوة في الحياة، ومن هنا تصير الحكاية حجة سردية لاحتوائها مواعظ وحكماً قصد ابن الجوزي منها التأكيد على أنه وجب على جميع العباد طاعة الله ورسوله الكريم عن طريق تأدية الأمانات.

2. 1. 1. 4 ـ الحجاج في الحكايات التي تُصنَفُ تحت موضوع الصبر:

وظف ابن الجوزي في حكاياته الصبر من بين موضوعاته لأهميته البالغة ولحاجة الناس إليه، كونه وسيلة ناجعة من وسائل مواجهة المحن والمصائب التي يتعرض لها المرء، حيث أورد بعض الحكايات التي تتحدث عن الصبر والتي أصبحت في هذا السياق نصوصاً تواصلية تتحدد قيمتها من خلال ما تتضمنه من مواعظ وعبر استهدف الراوي ابن الجوزي الحكاية لأجلها، ومن هذا المنطلق تظهر وظيفة النص التواصلية كونه يحمل رسائل للمتلقي منبثقة في الحكاية من أحداثها وأفعال شخصياتها التي تظهر من تصرفاتهم مدى صبرهم على المحن والمصائب وتبرز الثواب الذي انجر عن هذا الصبر،

[1]. ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص257. 258. 259.

وتعدّ شخصيات الحكاية بمثابة الأمثلة التي تعني أحد أشكال الاستدلال في الحجاج، فالوعّاظ والخطباء: " من أجل إنتاج الإقناع يبرهنون بواسطة أمثلة أو قياسات إضمارية"[1].

يروي السارد في الحكاية رقم (5)[2] خبراً عن درجة الصبر التي تحلى بها الحكيم ليثير في المتلقي شعور الإعجاب بهذه الشخصية واتباعها في أفعالها، وهنا تظهر وظيفة النص الأخلاقية حيث يقوم بتثبيت قيمة الصبر في قلوب المتلقين والتعريف بدوره في مواجهة المحن التي يتعرض لها المرء، فهو عنصر مهم يقوم عليه الدين الحنيف، إذ له أهمية بالغة في التحكم في سلوك الفرد المسلم وفي تصرفاته وفي رضاه بمشيئة المولى عز وجل وبامتحاناته وابتلاءاته التي وجب على المسلم أن يقابلها بصدر رحب وقلب راض، ولأجل ما يحتويه هذا النص من قيم وعبر جعله ابن الجوزي وسيلة تواصلية يصل بوساطتها للمتلقي كي يساعده على الانفعال واتخاذ موقف، ومن هنا تتحدد طبيعة النص الوعظية حيث ذكر ابن الجوزي في الحكايات التي تتحدث عن الصبر نماذجاً تحلّت بهذا الواجب الديني وأخلصت في التحلي به، وذلك رغبة منه في تذكير الفرد المسلم بما أمرنا الله تعالى به في آيات عديدة وبما وصّانا به كذلك رسوله الكريم في أحاديث عديدة، كما تحوي أحداثها على مقاصد مهمة وتشتمل على عبر ووصايا مجسدة عبر أفعال الشخصيات وتصرفاتها، حيث ترشد هذه الأخيرة المتلقي إلى ما يجب أن يقوم به في حال حدث له ما حدث للشخصية الحكائية، أو ما لا يجب القيام به في حال معينة، فتصير تصرفاتها قدوة للمتلقي والتي تمدّه بمختلف المعارف التي يستقيها من تجارب الآخرين، وكأن الحكاية تنطق بمجموعة أوامر ونواهي ونصائح وإرشادات ومواعظ وحكم وجب عدم إهمالها.

[1]- محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، ص39.

[2]. ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص240. 241.

تتكون هذه الحكاية في ظاهرها، وكذا بقية الحكايات التي تتحدث عن الصبر، من مجموعة من الأشخاص الذين يتحركون ويفعلون في مسرح الواقع، إلا أنها في حقيقتها تحمل أغراضا وعظية حجاجية أي أنها تمثل حجة يتوجه بها إلى المتلقي ينصحه بها لاتخاذ بعض المواقف من قضية الصبر، وعلى العموم يمكننا استخراج بعض الحجج والرسائل من الحكايات التي تتحدث عن موضوع الصبر نجملها في النقاط التالية:

- الحكاية وسيلة تواصلية أراد من خلالها ابن الجوزي إيصال أفكاره الوعظية المتعلقة بموضوع الصبر.
- الحكاية عند ابن الجوزي لها طابع إمتاعي من حيث سرد أحداثها وتحركات شخصياتها، وطابع نفعي من حيث استنباط الموعظة من هذه الأحداث.
- الحكاية حجة أخلاقية موضوعها وجوب الصبر على المحن التي تواجه المرء ومقابلتها بقلب راض وشاكر.
- دعوة الحكايات في مجملها إلى وجوب إصلاح النفوس وتثبيتها على الخير والصواب وإرشادها إلى الطريق الصحيح.

2. 1. 1. 5 ـ الحجاج في الحكايات التي تصنف تحت موضوع الكرامات:

اعتمد ابن الجوزي على بعض قصص أصحاب الكرامات وهي قصص تحوي شخصيات لها مميزات خاصة عن البشر، وقد أراد الراوي من خلالها تبيين أوجه المن والنعمة التي نالها عباد الله المخلصين، حيث اصطفاهم الله تعالى من بين غيرهم ليمنحهم الأفضلية جراء ما قاموا به من عبادة وإخلاص له عز وجل، إذ يحصل لتلك الفئة من البشر بعض الأمور التي لا تحصل لغيرهم والتي تشتمل على عنصر الغرابة، وتعتبر هذه الأخيرة استراتيجية حجاجية قام بتوظيفها الراوي في مجموعة حكاياته حيث تحوي الكرامات في داخلها كنزا وعظياً وجب التنقيب فيها لاستخراجه، وهي وإن تكن خطوة

مبهمة تظهر عادة على أنها إيرادٌ لما ساد في ذلك العصر، إلا أنها تتجاوز كل هذا وتتعداه إلى كونها وسيلة وعظية حجاجية تتجسد عن طريق الكرامة التي تنافي الواقع تماماً، فهي عملية مدبرة من الراوي ابن الجوزي أراد من خلالها جمع المتناقضات بين خيالية الحكاية وواقعيتها، خياليتها من حيث إيراد الكرامات في تصرفات وأفعال شخصياتها، وواقعيتها من حيث احتواء الكرامات على أفكار وعظية دعا ابن الجوزي المتلقي لتجسيدها على أرض الواقع والحقيقة عن طريق الاحتذاء بالشخصيات وبأفعالها الحسنة.

تتراوح تصرّفات الشخصيات في الحكايات بين تصرفات عادية وتصرفات خارقة، إلا أنهما تشتركان في احتوائهما أفكاراً وعظية جديرة بالعناية، تتضح هذه الأفكار بسهولة في الحكايات العادية التي تترجم التصرفات البسيطة للأبطال أما بالنسبة للحكايات التي تحوي تصرفات خارقة فهي تتجلى بالنظر إليها من وجهها العميق الذي لا يُرَى للعيان، إذ تضم أحداثها مبالغةً وتضخيماً ملاحظين في أحداثها، ومن بين الحكايات التي تخدم هذا الغرض الحكايات رقم: 17، 22، 41، 55، حيث تحتوي على كرامات أو تصرفات خارقة تصدر عن بعض الشخصيات، أول هذه الشخصيات الفتى العابد الذي كان في السفينة مع رابعة العدوية والذي ورد في الحكاية رقم (17)[1]، حيث يشير الراوي في سرده إلى توقف الفتى عن العبادة وإيمائه للريح أن تسكن فسكنت حيث استجاب الله تعالى لدعاء الفتى مثلما قد يستجيب تعالى لغيره ممن أخلص له العبادة ، إلا أننا لا نستطيع القول إنه منحه القدرة على التحكم في الظاهرة الطبيعية المتمثلة في الريح لأنه تعالى هو الوحيد القادر على التحكم في ظواهر خلقه، على النقيض ما جاءت به هذه الحكاية في إظهارها الفتى على أنه الرجل الخارق الذي لا يرد له طلب، وبإيراد ابن الجوزي لهذه الحكاية فهو مدرك لما جاءت به، حيث تشير هذه الكرامة أو هذا التصرف من قبل الفتى

[1]- ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص244، 245، 246، 247.

إلى مجازاة الله تعالى وحسن ثوابه لعباده على عبادتهم له تعالى وإصلاحهم قلوبهم وتطهيرها لوجهه وحده لا شريك له، حيث يمنحهم كل ما طابت به أنفسهم من رزق دنيوي وأُخرَوي، ومن هنا يمكننا القول إن هذه الكرامة في خياليتها وغرائبيتها، تحوي فكرة وعظية مفادها وجوب طلب الخير بكل أوجهه من الله تعالى عن طريق الدعاء لأنه بحد ذاته عبادة، وعلى المرء التقرب من الله عز وجل لتقوية الحبل الرابط بينه وبين خالقه لنيل النعم والفضائل والأرزاق دون حسبان، وهذا اقتداءً بفتى السفينة الذي لم يرد الله له طلبه نتيجة مجهوده في عبادة الله وسعيه لمرضاته، ومن هنا ندير الكلام حول ما يقال عن كرامات أصحاب الكرامات على أنها إضافات تعمّدها السارد الأول للحكاية ليضفي عليها الغرائبية التي تساعدها على الانتشار والشيوع بين أوساط العامة، والتي تحبذ كثيراً هذا النوع من الحكايات، وبأنها تتناسب وبساطة الحياة أنذاك وبساطة المجالس التي كانوا ينظمونها، حيث من الأحسن ترك هذا الكلام خلف ظهورنا لأنه لا يسمن ولا يغني من جوع والكف عن إضافة المزيد من التعليقات حول الكرامات والبدء بتحويل السلبيات التي تحوم حولها إلى طاقات إيجابية، حيث نولّد من كل كرامة فكرة وعظية نضمها إلى الأفكار الأخرى المتضمنة في قاموسنا الوعظي، ونتخذ أصحاب الكرامات وكذا بقية شخصيات الحكايات شواهداً على كلامنا مثلما قام به ابن الجوزي في مشروعه.

تحمل باقي الحكايات ذكراً لمزيد من الأفكار الوعظية الهامة، منها ما جاء في الحكاية رقم (22)[1] حول القناعة التي تعني الرضا بما كتب الله تعالى للعبد، إلا أنها صيغت في الحكاية بوجهها العجائبي المتمثل في نظرة الفقير إلى الحجر وتحويله ذهباً، وهي كناية عن القناعة والرضا بالرزق اليسير، حيث تعكس هذه الكرامة زهد الرجل العابد في الدنيا وعدم قبوله بالصدقات التي توجه إليه مهما كانت مغرية، ولا يتوافر هذا في العبد إلا إذا كان قلبه مستغنيا عن الدنيا وعن كل ملذاتها، وموجهاً قلبه وعقله نحو الآخرة

[1]- ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص249. 250.

وما فيها من نعيم مقيم، وهذا من صفات المؤمن الحق الذي يتوكل على الله في جميع أموره ولا يطمع بما في يد الغير ما دام قادرا على كسب عيشه، ومن هنا تتجسد القناعة في كونها فكرة وعظية أوردها ابن الجوزي في مجموعة حكاياته، وقد ألبسها ثوب الكرامة من خلال تصرف العابد في الحكاية الذي يعدّ شاهداً يستدل به ليعلّم المتلقي من خلاله طريقة التخلي عن الدنيا للآخرة ودفعه للتخلي فعلاً عن الدنيا، وهو المنطق الذي يتحكم في سير كل الحكايات كونها وسيلة تواصلية تحقق أثراً وعظياً هاماً.

كما تبين الحكاية رقم (41)[1] طلب أحد العباد من الله تعالى أن يمنحه رزقاً يعيل به نفسه وعياله، إلا أن هذا الرزق قد اتخذ في الحكاية صورة عجائبية تتمثل في نزول لؤلؤتين ليستا من متاع الدنيا كما عبّر عن ذلك السارد، وتدعو هذه الحكاية هي الأخرى إلى إدراك قيمة الدعاء ونعمة الله تعالى على البشر في استجابته لتضرعاتهم ونداءاتهم، ولعلّ اللؤلؤتين كناية على فرحة المحتاج بهذا الرزق لطول دعائه وطلبه وإلحاحه خاصة وأنه لم يجد ما يعيل به نفسه وعياله، فكان الرزق بمثابة اللؤلؤ بالنسبة إليه، وتدعو هذه الحكاية المتلقي إلى الاقتناع بالأثر الفعلي للدعاء وبضرورة التمسك به في مقابل عدم التخلي عنه وعن طلب الخير من الله تعالى مهما كانت الظروف، حيث يحدث للإنسان أن يوسوس له الشيطان بترك الدعاء زعماً أن الله تعالى لا يستجيب له، ويزامنه تذكر الدعاء الذي لم يستجب الله له عن طريق الحدوث الواقعي له، في حين هناك طرق أخرى للاستجابة تكون بإبعاد الأذى وبتأجيل استجابته للآخرة ، إلا أن الشيطان الرجيم وأعوانه يوسوسون لبني آدم في نقاط ضعفه، فعلى المرء إدراك هذا الأمر واتخاذ الموقف من مسألة الدعاء ليثبت عليها المؤمن، وهذا ركن مهم من أركان الحجاج حيث يقوم على تغيير النظرة لأشياء معينة وإقناع المتلقي بأشياء أخرى، وهو ما يقوم به ابن الجوزي في هذه الحكايات في ربطه الوعظ بالحجاج.

[1]- ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص257. 258. 259.

أما فيما يخص آخر الحكايات التي تحتوي على كرامة فهي التي تحمل رقم (55)[1]، حيث تحكي عن العابد الذي سأل الله أن يعطيه اسمه الأعظم، فحدث أن تفل في أذن أحد المرضى فبرأ، وحقيقة الأمر أن المعالج يستعمل بعض الطرق العلاجية لتحسين حال مريضه ولا أظن التفل من بين هذه الطرق، إلا أن ما يهمّنا في الحكاية هو العبرة والعظة التي يمكن استخلاصها منها، حيث تشترك هذه الحكاية مع سابقاتها من حيث التطرق لقيمة الدعاء وفضله على بني البشر.

كل هذه الكرامات التي تم ذكرها في الحكايات وظفها ابن الجوزي ليؤكد فكرة نعم الله تعالى وفضائله على عباده الذين أخلصوا النية والعبادة له، وبربطها بالجانب الحجاجي يمكننا أن نقول فيها إنها خطوة من المؤلف يدعّم بها رأيه المتمثل في أن الله يجزي عباده عن أفعالهم وعن تفريطهم في دنياهم لأجل دينهم ولأجل الله تعالى، وأن صاحب الكرامة في الحكاية لا يعدو أن يكون مثالاً وشاهداً على فكرة ابن الجوزي الوعظية، أي استغل الأشخاص الذين يتحركون في الحكاية ويفعلون لتمثيل فكرته الوعظية المضمنة داخل الكرامة والتي أصبحت عند ابن الجوزي وسيلة من وسائل الحجاج.

يدعونا التأمل العميق في الكرامة إلى اكتشاف معناها العميق وعدم التركيز على المعنى السطحي لأنه يدخلنا في متاهات لا نهاية لها، والأصح أن نركز على جانبها النفعي من حيث احتواؤها على مواعظ وعبر تثير الاهتمام، وعموماً تعتبر حكايات ابن الجوزي دعوةً للمتلقي ليحذو حذو الشخصيات في أفعالها وبذاك ينال ما نالته من فضائل ونعم، حيث إن داخل الحكاية صوت نابع من أفعال الشخصيات وتصرفاتها يوجه القارئ للاقتداء بها ويرشده إلى اتباعها كما يعرفه بثواب هذا الاتباع عن طريق ما نالته الشخصيات في الحكاية من منن ونعم، ومن هنا يظهر الوجه الحجاجي في الحكاية من حيث اتخاذ هذه الحكاية شاهداً سردياً يستدل به على أن الله يمنح نعمه لمن يخلص له

[1]. ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص264. 265.

العبادة، مثلما حصل لأصحاب الكرامات وغيرهم ممن قوى صلته بربه واتقى وجهه الكريم، إذ يعتبر هؤلاء حجةً على كلام السارد وهي مضمنة في القالب السردي المتمثل في الحكاية، ومنه يمكننا القول إن حكايات ابن الجوزي التي ضمنها كتابه ملتقط الحكايات تنتمي إلى النوع الأدبي الكلاسيكي القديم الذي يضم أغراضاً خطابية تهيمن فيها الوظيفة الحجاجية فهو يشكّل: " نمطاً خطابياً ينبغي التنقيب عن مكوناته البنيوية"[1]، ولعلّ ذلك ما حاولنا استخلاصه.

2. 1. 2 ـ علاقة الخاتمة الوعظية بالحجاج:

تنتهي بعض الحكايات بخاتمة وعظية تلخّص ما جاءت به الحكاية، إذ تقوم بتبرير الثواب الذي منحه الله تعالى للصالحين من عباده كما جاء في الحكاية رقم17: " نحن عبيد تركنا له ما نريد فترك ما يريد لما نريد "[2]، وتعني هذه العبارة تخليهم عما يحبونه لأجل مرضاة الله تعالى وبالمقابل منحهم الله الأفضلية والتميز، كما تظهر الخاتمة على شكل نصيحة موجهة من بعض شخصيات الحكاية لشخصيات أخرى مثلما جاء في الحكاية رقم21: " أطيعوا الله يطعكم كل شيء "[3]، كما تضمنت الحكاية رقم16 قولا شبيها بالحكمة إلا أنه لم يأت في آخر الحكاية بل في وسطها، حيث كان كالتالي: " من أخلص له في الخدمة أورثه طرائف الحكمة "[4] إذ تمثل كل هذه العبارات أوجه النعم والمن التي نالها عباد الله، ولها علاقة بالحجاج في كونها تلخّص للقارئ التوجه الحجاجي للنص من خلال اختصار واجبات المرء تجاه ربه إذ تدور كلها حول التخلي عما يرغبه العبد في حال عدم طاعة الله وإرضائه، وإخلاص في خدمته وعبادته، وهو ما يظهر من خلال العبارات الثلاث المذكورة.

---

[1]- عبد الفتاح كيليطو: الادب والغرابة دراسات بنيوية في الادب العربي، ص21.

[2]. ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص247.

[3]. المصدر نفسه، ص249.

[4]. المصدر نفسه، ص244. 245.

2. 2 ـ الحجاج بالتصوير:

استغلّ ابن الجوزي تقنية التصوير أو الصورة واتخذها وسيلة حجاجية في الحكايات، وبالأخص حكاية الكرامات أو الحكايات التي تضم بعض التصرفات غير العادية أو الخارقة التي تنسب لبعض الشخصيات، إذ يزيد تأثير الكرامة على المتلقي لحسن تصويرها، ويظهر هذا التصوير من خلال لغة السرد عن طريق ما ينقله لنا الراوي من كلام صاحب الكرامة وحركاته وإيماءاته التي تترجم حجم القوة لديه، مثاله ما ورد في الحكاية رقم17 عن فتى السفينة حيث يقول الراوي: " فرفع رأسه وأومأ إلى الريح: اسكن، فسكنت "[1]، حيث تسهم صورة الفتى وهو يرفع رأسه ويومئ إلى الريح في تقوية الأثر الذي يحدثه الدعاء كون رفاقه في المركب قد طلبوا منه أن يدعو الله ليكشف ما بهم من ضر، فكانت قوة الاستجابة أن تسبب في إيقاف الريح التي كادت أن تهلك المركب، وهنا تتّحد الكرامة مع فكرة الوعظ في روح القالب السردي فيسهم ذلك في إحداث الأثر الكبير على المتلقي بتلقيه للصورة وبتفكيره في مدى استجابة الله تعالى لطلب عبده، وهنا تزدوج المتعة مع المنفعة، متعة الخيال ومنفعة العظة والعبرة من الحكاية لأداء الغرض الحجاجي، حيث يدعو هذا الأثر المتلقي إلى الاقتناع بفكرة الدعاء بوصفه وسيلة من وسائل مواجهة المحن والشدائد التي تواجه الفرد، فتدفعه بدورها إلى تغيير فكرته السابقة عن سلبية الدعاء وبالمقابل تدعوه لاستحسانه والقيام به كذلك، وهي غاية الحجاج حيث: " يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها، أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجع الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب إنجازه أو الإمساك عنه، أو هو ما وُفقَ على الأقل في جعل السامعين مهيئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة "[2].

---

[1]- ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص247.

[2]- محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، ص107، 108

تدعونا هذه الحكاية بمجريات أحداثها وتدفعنا إلى الاقتناع الخالص بأثر الدعاء وبحقيقة وجوده، وبقبول أطروحة استجابة الله تعالى له شرط حضور الإيمان، كما تدفعنا للقيام بالفعل وبممارسته، وهذا من طرق إظهار الأثر الذي خلّفته الحكاية على نفس متلقيها، والتي تمثل الغاية التي من أجلها جاء ابن الجوزي بالحكايات.

2. 3 ـ الحجاج بالأمثلة:

يعتبر التمثيل ANALOGIE[1] أو الأمثلة استراتيجية حجاجية قام عليها مشروع ابن الجوزي الوعظي الحجاجي، وقد ارتبطت فكرة الوعظ ارتباطاً وثيقا بعنصر السرد حيث لا تتجسّد إلا به، وهذا بواسطة تمثيلها عن طريق شخصيات الحكاية وما تقوم به من أفعال وتصرفات تستعمل لغرض إثبات بعض القضايا وتأكيدها أو نفي أخرى، حيث إن: " كل الخطباء ينتجون الاعتقاد باستخدام الأمثلة أو الضمائر ولا شيء غيرها كحجج "[2]، فشخصية: الصابر، والراضي، والقنوع، والمتوكل على الله، والمخلص له، والمتصدق، والصادق، والمتضرع، والتائب،...وغيرها من الشخصيات تمثل كلها مقاصداً أخلاقية سعى ابن الجوزي لإظهارها ليس بوصفها أفكاراً وعظية مجردة إنما عن طريق تمثيلها بالأمثلة السردية أي بواسطة أشخاص جسدوا هذه الأفكار، فيصير المثال نتيجة لهذا: " وسيلة تعمل على تشبيه المعاني الذهنية المجردة بالأشياء الحسية الملموسة، ومن ثم وضوحها يؤدي إلى تقريب الأفكار من العقل وجعلها مفهومة كما يؤدي إلى إدراك المعنى وتكوين صورة له في المخيلة، ويجعل التأثر بتلك الصورة أشد من الأفكار المجردة ، بالإضافة إلى ما في التصوير والتشخيص الحي من الإثارة والمتعة "[3]، وهذا ما يعني أن التمثيل قد جمع بين المتعة والمنفعة، إذ بحضورهما واتحادهما يتضاعف الأثر على

[1]. محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، ص132.

[2]. المرجع نفسه، ص40.

[3]. عقيل سعيد ملازاده: الحوار قيمة حضارية، دراسة تأصيلية لمنهجية الحوار في الإسلام ، دار النفائس للنشر والتوزيع، ط1 الأردن، 2010، ص172. 173.

المتلقي ويذعن بما تلقاه من أفكار وعظية، كما صارت للتمثيل: " قوة دامغة في إنتاج الإقناع اللين السلس "[1]، وهذا كونه يستثير المشاعر أكثر من استثارة العقل إذ تترك شخصيات الحكاية وما يدور حولها من أحداث، أثراً على نفس المتلقي فيدفعه هذا إلى الإعجاب بتصرفاتها وبما نالته من أجر وثواب، وكذا إلى اتباعها في تصرفاتها، حيث: " ينتج إقناعاً أكثر ليونة (...) إنه قوة ساطعة (...) مداعبة للذة المترابطة بكل مقارنة، إنه الدليل في كامل قوته الخالصة "[2]

كما تحدّث القرآن الكريم عن الأمثال في مواقع عديدة وآيات عديدة منها قوله تعالى: " ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون "[3]، وكذا قوله تعالى: " وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون "[4]، وهو ما يبين الأثر الكبير الذي تخلّفه الحكاية المعتمدة على المثل في النفوس وبالأخص الحكاية الدينية التي تعتبر خطاباً بالدرجة الأولى، وبما أنها خطاب فهي تقتضي إقناعاً وتأثيراً في نفوس المتلقين عن طريق إدراك ما تحمله من مواعظ وحكم على المرء الأخذ بها.

2. 4 ـ الحجاج بالقياس المضمر:

تضم معظم الحكايات التي أوردها ابن الجوزي في كتابه قياسا إضماريا وهو وسيلة منطقية من وسائل الإقناع، ومن مميزاته أنه قياس تختفي فيه المقدمة الكبرى لتظهر الصغرى والنتيجة، إذ: " مادام الحجاج خلقاً لعلاقة بين خطابين لغويين فلا بد إذن من وجود تلازم بين القول والحجة، وهو تلازم قد يصرح به وقد يضمر وإضماره في الخطابات الإبداعية أبلغ تأثيرا، وذلك لكي يكون اكتشاف المتلقي له مصدر متعة واندماج

[1]. محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، ص40.
[2]. المرجع نفسه، ص151.
[3]. سورة إبراهيم، الآية 25.
[4]. سورة العنكبوت، الآية43.

"[1]، حيث يتخفّى هذا القياس في تضاعيف السرد أي وراء الشخصيات وما تقوم به من أفعال، فالبنية السردية للحكاية إذن هي المسؤولة عن ستر هذا القياس، وما نقوم به في هذا الجزء من الدراسة هو الكشف عن الطريقة التي قام بها السرد بإخفاء هذا القياس وكيف أنه خدم الحجاج في ذلك.

للقياس المضمر علاقة باعتبار شخصيات الحكاية قدوة للمتلقي، وذلك عن طريق احتمال اشتراك هذه الشخصية مع مستقبل الحكاية في المقام نفسه أو المشابه له، نأخذ مثالا من الحكاية رقم16 ، يخاطب أحد المجانين < أبو جعفر المغربي > قائلا: " أولا تسألني عن القوم كيف وصلوا واتصلوا؟ قلت بلى قال: طهروا له الأخلاق، ورضوا بيسير الأرزاق، وهاموا في محبته في الآفاق..."[2]، إذ يتضح من خلال هذا المثال أن القائل في سبيل حديثه عن فئة من الخلق سبقوا مرحلة قائل الحديث وهو يتحدث عن كيفية اتصالهم بالخالق ووصولهم إليه وهو راض عنهم، حيث يضعهم في موضع الاعتبار بأفعالهم والاقتداء بهم، ومن هنا يتجسد القياس المضمر في اختفاء المقدمة الكبرى وبقاء الصغرى والنتيجة، إذ يمكن عرضه على النحو التالي:

- المقدمة الكبــرى(مضمرة): كل من يطهّر له الأخلاق ويرضى بيسير الأرزاق ويهوم في محبته تعالى في الآفاق يصل إلى مرضاته
- المقدمة الصغرى(مذكورة): طهّر القوم الأخلاق ورضوا بيسير الأرزاق وهاموا في محبة الله تعالى في الآفاق

[1]- محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، ص194.

[2]. ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص244. 245.

- النتيـــــــــــــجة(مذكورة): وصل القوم إلى رضا الله واتصلوا لأنهم طهروا الأخلاق ورضوا بيسير الأرزاق وهاموا في الآفاق[1]

يتدخل المتلقي في هذا القياس المضمر ويرتبط به لتطابق قول المجنون على سائر العباد، وكذا لتطابق أطروحة المقدمة الكبرى على كل متلق للحكاية، حيث يحدث لهذا الأخير أن يحصل على مرضاة الله إذا ما طهّر له الأخلاق ورضي بيسير الأرزاق وهام في محبة الله تعالى في الآفاق، ومن وجه آخر كذلك يحدث أن يحصل للمتلقي موقف مطابق لشخصيات الحكاية من محن وابتلاءات ومصائب أو ما شابهها، فيتعامل معها على طريقة الشخصية بحكمة وترو شديدين عن طريق الصبر عليها ودعاء الله تعالى الحل والفرج، وأن الحل الذي اتخذه الحكيم هو الحل الأمثل الذي وجب على كل متلق للحكاية أن يتخذه، وبهذه الطريقة تتطابق الأقيسة في كل الحكايات باعتبارها تلقى على الجمهور الذي يدمج وضعه مع وضع الشخصية ليستفيد من خبراتها ولينال الثواب نفسه الذي نالته الشخصية في الحكاية، وبما أن الشخص في الحكاية صبر على المصيبة بحكم أنه عبد لله رزقه نعمة الصبر فعلى جميع البشر الصبر على المصائب، وبهذه الطريقة يختفي القياس في تضاعيف السرد.

يرتبط القياس المضمر بالحجاج في كون طبيعة الحكايات التواصلية يدمج متلقي الخطاب في الحكاية لمخاطبته من خلال أحداث الشخصيات وإقناعه بالفكرة التي جاءت بها الحكاية، وعن طريق هذا تحوي الحكاية قياساً مضمراً وبالتحديد أضمرت مقدمته الكبرى التي تشرك المتلقي فيها، نأخذ على سبيل المثال القياس المضمر الخاص بالحكاية رقم (38)[2]، والذي يظهر على النحو التالي:

[1]- لم نظهر النتيجة مطابقة للصيغة التي ذكرت بها في الحكاية لأنها وردت ضمن الأسلوب الحواري أو الاستفهامي، إنما تدور فكرتها حول الأمر نفسه لذلك تقبلنا ذكرها على الطريقة السابقة، ولتوضيح أكثر يمكن العودة إلى الحكاية.

[2]- ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص255. 256.

- المقدمة الكبــرى(مضمرة): كل من أصيب بمصائب يصبر عليها
- المقدمة الصغرى(مذكورة): الرجل الذي في مكة قد أصيب بمصائب كثيرة
- النتيجـــــــــــة(مذكورة): الرجل الذي في مكة يصبر على مصائبه[1]

تظهر من خلال أطروحة المقدمة الكبرى المضمرة " كل من أصيب بمصائب يصبر عليها " مكانة المتلقي من خلالها، حيث تتعدى هذه العبارة زمانا معينا إلى أزمنة عدة، إذ تشتمل الماضي والحاضر والمستقبل ولأن قائلها يبدو وكأنه قد قام بإحصاء كل من أصابتهم المصائب ليستنتج في الأخير أنهم جميعا قد صبروا عليها، إلا أنها في الواقع رسالة مقفلة، على المتلقي فكها عن طريق إدراكه أنها موجهة إليه ناصحة إياه بالتحلي بالصبر اقتداءً بكل الذين صبروا على مصائبهم، ومنهم الأنموذج الذي نجده في الحكاية والذي عانى الكثير في مشواره، حيث تعرضت عائلته للموت واحدا بعد واحد وأمام ناظريه، كما قاموا بقطع يده ورجله، إذ من خلال هذه المحن تهون كل المصائب الأخرى، وهي خطوة حسنة لإقناع المتلقي بقيمة الصبر في مواجهة المصائب مهما كان حجمها والتطلع بعين صابرة للحظة الفرج ولغد أفضل وأحسن، ومن هنا تشتمل هذه العبارة على نصيحة لكل من وصلته الحكاية عبر السماع أو القراءة، وهي نصيحة مجسدة في قالب حكائي هادف.

من هنا يظهر الوجه الحجاجي للقضية في كيفية التأثير بوساطة القياس المضمر الذي يتخفى في تضاعيف السرد فيؤثر في المتلقي والذي يدعوه هذا التأثر إلى القيام بخطوة نحو الأمام وتغيير معتقده السابق عن طريق الاقتناع بالصبر وسيلة من وسائل مواجهة المحن والتي وجب الأخذ بها في مقامها المحدد، وهذه غاية كل حجاج.

[1]. لم يذكر في الحكاية أن صاحب المصيبة قد " صبر عليها " باللفظ الفصيح إنما يظهر من خلال تتبع أحداث الحكاية أنه رضي بقضاء الله وقدره ووكل أمره وكل شؤونه لله تعالى، وهي معاني تشتمل عليها كلمة " الصبر "، حيث يمكن العودة إلى الحكاية لإدراك ذلك.

2. 5 ـ الحجاج بالشعر:

ذكرنا في جزء سابق من البحث فيما يخصّ الحجاج أن الحجج تنقسم إلى أقسام أعلاها مرتبةً: الحجة البرهانية، ثم الحجة الجدلية، فالحجة الخطابية، وأدناها الحجة الشعرية، وقد حصل أن حضرت هذه الأخيرة في الحكايات باعتبار بعض الأبيات الشعرية وسيلة من بين وسائل الإقناع، وهي استراتيجية تخاطب العاطفة وتتبني عليها.

من الحكايات التي اختارها ابن الجوزي ما تحتوي على مجموعة من الأبيات الشعرية، حيث أُقْحِمَتْ اللغة الشعرية التي تتعلق بالعاطفة والمشاعر مع لغة النثر التي تخاطب العقل، ويكمن الفرق بين اللغتين في أن النثر: يتعلق أمره بتقعيد تطور الخطاب من فكرة إلى فكرة، أما في الشعر فيتعلق الأمر بتقعيد تطور الأثر من صورة إلى صورة "[1]، حيث توجه الأفكار التي تستنبط عند قراءة النثر إلى العقل أو الذهن بينما تترك الصور الشعرية أثرها على المخيلة العاطفية، وقد ساعدت التقنيتان على بناء الحكاية وتكوينها، فيما استغل ابن الجوزي هذا الموقف من الحكايات لأداء أغراضه الحجاجية، وبالنسبة للحكايات فمنها ما تحتوي على أبيات شعرية ومنها ما لا تحتوي على ذلك، حيث يظهر تنوع في مادتها بجمعها بين لغة الشعر ولغة النثر، إذ يؤثر هذا التنوع في المتلقي فتتعدد أساليب الإقناع لديه وتتباين لتحتوي ذهنه وقلبه، وبالتالي توجهه للغرض الذي من أجله وجدت الحكايات وهو الوعظ الديني.

وردت الأبيات الشعرية في خمس حكايات من مجموع حكايات الكتاب، وكان ذلك في الحكايات رقم: (15، 16، 33، 53، 56)[2]، وقد نسبت هذه الأبيات في معظم الحكايات إلى من سموا بالمجانين والعباد الأتقياء وهي تترجم حبهم وإخلاصهم، حيث يظهر منها درجة تعلقهم بالله تعالى وبالآخرة وتركهم للدنيا وما تحويه من ملذات

[1]. ينظر: محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، ص33.

[2]- ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص244، 244، 247، 253، 262، 263، 265، 266.

وملهيات، سوى ما جاء في الحكاية رقم (33)[1] حيث وردت فيها أبيات شعرية أتى بها < منصور بن عمار >[2] نسبت لأحد الشعراء ليثبت بها حقيقة الموت وليؤكد وجوده وبأن لا أحد باق مهما بلغت قوته وجبروته في الدنيا، وعلى العموم تشترك كل هذه الحكايات في توصيل صورة عباد الله الذين أخلصوا له العبادة وهم في حالة وجد وشوق لمقابلة خالقهم وللعيش في نعيم جناته، حيث دفعهم هذا الأمر إلى نظم أبيات من الشعر ارتجالاً وإلقائها على بعض الشخصيات المشاركة في بناء الحكاية، ليظهروا مشاعرهم وليجسّدوا بواسطة اللغة شغفهم وحبهم لله وخوفهم منه وطلبهم مرضاته، وكذا تعرضهم في شعرهم لموضوعات دينية يقوى بها الإيمان ويعزز.

تحمل الأبيات ا لشعرية بما فيها من معاني رسالة للمتلقي تعرفه فيها على لذة الصلة بالله والقرب منه وتدعوه إلى عدم التفريط في جنب الله، حيث جاءت هذه الأبيات لتثير العواطف والانفعالات في نفس المتلقي سواء متلقي الأبيات الحقيقي أي المستمع لها على المباشر أو متلقي الحكاية في نمطها التواصلي، حيث يثير الشعر المشاعر أكثر مما يثيرها النثر إذ يظهر تأثيره واضحاً على النفوس وهذا لرغبة النفس البشرية في الاستماع والاستجابة لنداء القلب الذي يكون عادة أقوى من نداء العقل، فالفرد ضعيف أمام المشاعر وهي فرصة سنحت لابن الجوزي في تحقيق الغرض الذي جاء به.

يرد الشعر في الحكايات ويتداخل معها بوصفه جزء من المتخيل السردي فهو يساعد على نموها وإثرائها، حيث من بين وظائفه إقناع المتلقي بصدق القضايا المطروحة في الحكايات كالموت والجزاء وحقيقة نعم الله الواسعة والطاعة، وكذا توصيل صورة العابدين وأثر الطاعة والعبودية على تصرفاتهم وأقوالهم وأفعالهم، حيث يؤثر الشعر على قلوب

[1]. ابن الجوزي: ملتقط الحكايات ، ص253.

[2]. هو أبو السيري منصور بن عمار بن كثير السلمي الخراساني، أحد علماء أهل السنّة والجماعة ومن أعلام التصوّف السنيّ في القرن الثالث الهجري من أهل مرو من قرية يقال لها " دندانقان "، قال الذهبي في وصفه بأنه: " الواعظ البليغ الصالح الرباني عديم النظير في الموعظة والتذكير "، وعظ في العراق والشام ومصر وانتشر صيته وتزاحم عليه الخلق، توفي في بغداد سنة 225هـ. Www. Wikipédia, Or g

العامة لأنه مَثَّل كل حياتهم وعالج كل مشاغلهم، ومن هنا كان الأجدر بأن يوجههم للعمل الصالح ويحفزهم على الإتيان به لأن له: مكانة ودورا بارزا يفوق مكانة السرد ودوره، فضلا عن إمكانية الإفادة منه في ترويج القصة ونشرها من خلال ارتباطها بالشعر المحفوظ أو الذي يسهل حفظه "[1]، وزيادة على هذا فقد دعت موضوعات الحكايات لاستحضار الشعر كونها تتحدث عن قضايا تستثير العاطفة كالتوبة والموت والمحن والابتلاءات التي تصيب المرء، وهي أحق بالتعبير عنها باللغة الشعرية، لأن لغة النثر لا تكفيها لإظهار حقيقتها بل تلزمها لغة الشعر التي تتسع لكل جوانب العاطفة والوجدان.

احتج ابن الجوزي بالشعر من خلال اختياره لبعض الحكايات التي تحتوي على أبيات شعرية، حيث أراد من خلالها إثارة العواطف والانفعالات للتأثير في المتلقي ولتثبيته للتعلق بالموقف الذي اتخذه من خلال أحداث الحكاية، إذ تتحد الأحداث والصور لتحيط بذهن المتلقي وبعواطفه فتدعوه إلى اتخاذ موقف من الحكايات عن طريق قبوله بأفكارها وبما جاءت به من مواعظ وحكم مستقاة من خلال المسار السردي للحكاية، وكذا لاتخاذ شخصياتها قدوة يسير المتلقي على نهجها وبالتالي الاقتداء بأفعالها.

2. 6 ـ الحجاج بالتكرير:

استعمل ابن الجوزي من الوسائل اللغوية التي لها صلة بالإقناع التكرير، وفي الحكايات نجد التكرار يسهم في إظهار المعنى العام أو الغرض العام الذي تدور حوله كل الحكايات وهو الوعظ الديني، الذي بدوره يتفرع إلى وحدات صغرى تتضمنها كل حكاية على حدى، ويتجسد التكرار في أن هذه الوحدات الصغرى التي تتمثل في الموضوعات الثانوية للوعظ الديني يتكرر ذكرها في أكثر من حكاية، وهو ما يبين أهميتها وتركيز ابن الجوزي عليها بالتحديد كونها من القضايا الدينية المهمة التي ينبني عليها الإيمان، ويتمثل

[1]- أماني سليمان داود: الامثال العربية القديمة دراسة أسلوبية سردية حضارية، ص259.

دور التكرار هنا في تقوية المعاني الإيمانية التي تتضمنها الحكايات وإبراز أوجهها الدينية والتعبدية وإعلاء ذكرها كي يتسنى للمتلقي الاعتبار بها، وقد فصّلنا في هذه الموضوعات الثانوية للوعظ الديني في جزء سابق من العمل، حيث عرّفنا بها كما ذكرنا الحكايات التي تكررت فيها هذه الموضوعات، حيث إن من أهمها، موضوع: تأدية الأمانة، طرائق مواجهة المحن، شدة التعلق بالله وبالعمل الصالح، التخلي عن الدنيا للآخرة، ثواب أولياء الله والتوبة.

احتجّ ابن الجوزي بالتكرار وعدّه وسيلة حجاجية من خلال إلحاحه في الحكايات وتركيزه على إيراد موضوعات تم تكرارها في أكثر من حكاية، حيث يؤدي هذا التكرار إلى إقناع المتلقي بصدق هذه القضايا، كما تدعوه للأخذ بها عن طريق صياغة هذه الأفكار الوعظية صياغة سردية من خلال أشخاص تحيط بهم بيئة ومكان معين، حيث يجسدون العمل الصالح ويتحرون الحلال في جل تصرفاتهم، وينجرّ عن هذا استيعاب المتلقي لهذه الأفكار فتتعزز في ذهنه، وتدفعه للاقتناع بها وقبول حقيقتها عن طريق مختلف الأدلة التي أضمرها السارد في الحكاية، والتي تضمنتها الأحداث والشخصيات، حيث يشترك متلقي الحكاية مع شخصياتها في كونهم عباد الله، وقد وجب على كل عباد الله إخلاص الطاعة والعبودية له، وقد عرض لنا ابن الجوزي من خلال الحكايات عدّة أوجه للعبادة احتوت في مضمونها رسالة لعباد الله الذين أهملوا هذا الواجب الديني واتبعوا الدنيا بما تحويه من ملذات، ومن بين متلقي الحكاية من اتصفوا بهذه الأوصاف، وعن طريق هذا الأمر اعتبرت الحكايات وسيلة تواصلية بعث بها ابن الجوزي لجمهوره القريب أو البعيد يوجهه من خلالها إلى اتباع النهج الصحيح والسير على منوال السابقين من المؤمنين، حيث سعى إلى أن يحصل لدى المتلقي اقتناع تام بهذه القضايا التعبدية، حيث دفعته هذه الرغبة إلى تكرار إيراد الموضوع نفسه في أكثر من حكاية كما دعته إلى الإكثار من إيراد النماذج السردية لأن الإكثار من الشواهد يساعد على الوثوق بالنتائج والخلاصات، وكذا

باختلاف أوضاع المتلقين حسب نسب الاستيعاب لديهم، وهذا: " ليفهم من يبعد فهمه ويعلم من قصر علمه "[1]، ومن ثم تؤثر هذه التقنية الحجاجية على المتلقي فتدعوه للإذعان بصدق القضايا المطروحة عليه.

3 ـ العلاقات الحجاجية:

تعلّق الحجاج في الحكايات التي نحن بصدد دراستها بالسرد بالدرجة الأولى، وقد ظهرت بعض العلاقات التي تربط بين هذه الحكايات وبين المقصد الذي أتت من أجله أي المقصد الوعظي الحجاجي، من هذه العلاقات نجد العلاقة السببية وعلاقة الاقتضاء اللتين ترتبطان بالمتلقي من حيث درجة إقناعه، حيث تبرز العلاقتان في ثنايا الحكايات وبقوة ما يثبت غزارة المادة الحجاجية وكثافتها فيها، ومن جهة أخرى تؤكدان ملاءمة المدونة للغرض الحجاجي الوعظي الذي رسمه لها ابن الجوزي، وتتمثّل هاتان العلاقتان فيما يلي:

3ـ 1 ـ العلاقة السببية:

تعني هذه العلاقة " بجعل موقف معين سبباً مباشراً لموقف لاحق "[2]، وهذا يتلاءم مع موضوعات الحكايات وكذا مع الغرض الوعظي الذي نادت به، ذلك أن قيام الشخصيات بالصالحات من الأعمال سبب لنيلها رضا الله تعالى، والأمر نفسه بالنسبة للمتلقي، حيث عن طريق اتباعه تلك الأعمال وتحريه الحلال ينل رضا الله تعالى، حيث تكون أفعال الخير هذه سبباً في رضا الله تعالى على الفاعل، ومن هنا تتحدد العلاقة السببية التي تربط بين الشخصيات وخالقها، وكذا بين الحكاية و المتلقي أي الصدى الذي

[1]- مصطفى البشير قط: مفهوم النثر الفني وأجناسه في النقد العربي القديم، ص135. 136.

[2]. ينظر: سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن، 2008، ص327.

تتركه الحكاية على نفوس المتلقين التي تظهر عن طريق تواصلية الحكاية وانفتاحها على الآخر.

ترتبط العلاقة السببية بطبيعة الحكايات حيث أورد ابن الجوزي في كتابه من الحكايات ما يلائم غرضه الوعظي الحجاجي، وتوفر العلاقة الحجاجية في الحكايات لهو الدليل على ملاءمة الحكايات للغرض الذي رسمه لها راويها، إذ تتمحور العلاقة السببية حول اعتبار الحكاية بكل ما تحويه من شخصيات وأحداث حجةً للمتلقي، إذ تضع بين يديه حالته إذا ما هو اتبعها في أفعالها لأن العمل الصالح يوجب الجنة أو هو سبب لولوجها، ومن هنا تتجلى السببية التي تتحكم في توليد النتائج التابعة حتماً للأسباب الخاصة بها، حيث نجد من بين ثنائيات السبب والنتيجة في الحكايات ما يظهره الجدول التالي:

السبب	النتيجة
ـ الدعاء	ـ الاستجابة
ـ الصلاة	ـ فتح أبواب الرزق
ـ الصيام، الحفاظ على الأمانة	ـ نيل الثواب
ـ التوبة	ـ رضا الله
ـ التصدّق	ـ إطفاء الخطيئة
ـ الصبر على المصائب	ـ القرب من الله ونيل رضاه
ـ حب الله	ـ نيل مغفرته

ترتبط كل هذه النتائج بالأسباب التي ذكرناها، حيث إن الاستجابة للدعاء نتيجة متوقعة لإخلاص النية لله تعالى والتضرع له، كما أن الصلاة سبب من بين أسباب فتح أبواب الرزق والبركة، إلى غيرها من العناصر، وعلى العموم ففي العلاقة السببية تحضر النتيجة لحضور السبب وتغيب لغيابه.

3. 2 ـ علاقة الاقتضاء:

ما يعرف عن هذه العلاقة أنها: " تجعل الحجة تقتضي النتيجة اقتضاءً والعكس صحيح، بحيث تغدو العلاقة ضرباً من التلازم بين الحجة والنتيجة "[1]، ويكمن الفرق بين هذه العلاقة و العلاقة السببية، أن الأخيرة لا يستلزم فيها حضور النتيجة بحضور السبب إذ يحدث أن يوجد السبب ولا توجد النتيجة، بينما علاقة الاقتضاء علاقة إلزامية حيث توجد النتيجة حتماً بوجود السبب، وكي يتضح الأمر أكثر نأخذ ثنائية من ثنائيات العلاقة السببية ونطرحها مثالاً لهذه العلاقة ليظهر الفرق بين العلاقتين.

جاء في ثنائية السبب والنتيجة: أن التصدّق سبب من أسباب إطفاء الخطيئة، إلا أنها ليست علاقة إلزامية فقد يحدث أن تحضر خصلة التصدّق في الفرد بينما لا تطفئ خطيئته، وذلك كون نية التصدق لم تكن لوجه الله بل لغيره، إذ من خصال بعضهم الافتخار بما ليس لهم من رزق بل لله تعالى، وهذا من صفات غير المؤمن إذ يعتقد أنه المسؤول الأول والأخير عن الكسب الذي تحصل عليه، وبالتالي يفتخر بما قدمه للغير كي يذكر على ألسنتهم بما قام به من فعل، فيعلو شأنه أمامهم ويباهى بما ناله من صفات منحها له الغير جراء فعلته، حيث يمنع عدم ابتغائه وجه الله في تصرفاته حضور النتيجة فيؤدي إلى غيابها، لأن الحجة أو السبب الذي يتمثل في التصدق قد انتقصت منه إحدى شروطه وهي نية ابتغاء وجه الله، وبذلك يكون حضور السبب أو الحجة كعدمها،

[1]- سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه، ص335.

على عكس علاقة الاقتضاء التي توجب فيها حضور الحجة أو السبب وجود النتيجة إذ تربطهما علاقة حتمية بعدم استغناء أحد طرفيها عن الآخر.

نذكر على سبيل المثال وضع الرجل في الحكاية رقم (38)[1] والذي أصيب بمصائب بلغت منه الجهد، إذ نتبين من خلال تصرفاته أنه ابتغى وجه الله تعالى فلا مصلحة له مع أي كان فيما قام به من فعل تمثل في رضاه بقضاء الله وقدره سوى تحقيق مرضاة الله تعالى، وفي هذه الحالة تقتضي الحجة التي تتمثل في الصبر نتيجة حتمية وإلزامية هي نيل الثواب والأجر من الله تعالى، لأنه وحده تعالى القادر على إدراك حجم المعاناة التي لقيها جراء فراق الأحبة والأهل وحتى حرمانه من نعم الجسد التي سلبت منه ظلماً وجورا، كما تقتضي النتيجة التي تتمثل في كسب الحسنات حضوراً إلزامياً لأحد الخصال الإيمانية القيمة التي يقابلها حتما الثواب العظيم مثل الصبر لأنه أصعب وأهم سلوك ديني يمكن للمرء أن يتحلى به.

أمّا فيما يخص ارتباط علاقة الاقتضاء بغرض الحكايات الحجاجي وبالمتلقي فهي شبيهة كذلك بارتباط العلاقة السببية بالمتلقي، إذ حسب تعامل الشخصيات مع الأحداث وبالأخص إلزامية هذه الأحداث مع بعضها يتعامل المتلقي مع الحالات التي يصادفها والتي تحدث أن تكون شبيهة بما جرى لشخصيات الحكاية، وعن طريق تعامله هذا ينال بالضرورة والإلزام ما نالته الشخصية، لأن حضور الحجة نفسها يقتضي بالضرورة حضور النتيجة عينها.

وعلى هذا الأساس تظهر الطبيعة الوعظية والحجاجية للحكايات، حيث استعمل ابن الجوزي هذه الأخيرة حجة يستدل بها على أفكاره الوعظية، كما يضمن للمتلقي من خلال

[1]- ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص255. 256.

هذه العلاقة الأجر والثواب من الله تعالى شرط أن يقنعه إقناعاً تاماً باتباع الشخصية في أفعالها الحسنة، وهذا كون طبيعة العلاقة تقتضي ضمان النتيجة بحضور الحجة.

4 . السلالم الحجاجية:

" تطرح هذه النظرية تصوراً لعمل المحاججة من حيث هو تلازم بين قول الحجة ونتيجتها، لكن قول الحجة والنتيجة في تلازمها تعكس تعدداً للحجة في مقابل النتيجة الواحدة "[1] ، هذا ما يظهر من خلال جل الحكايات حيث يظهر اتحادها من أجل تأدية الغرض العام وهو الوصول بالمتلقي درجة بعد درجة إلى إقناعه والتأثير فيه وكذا تذكيره بسبل الخير والصلاح، فلقد اعتبرت موضوعات الحكايات بمثابة السلاسل التي يصعد من خلالها المتلقي ليتحقق لديه اقتناع تام بالأفكار الوعظية التي عرضها ابن الجوزي من خلال تلك الموضوعات، فعلى سبيل المثال يحثّ ابن الجوزي القارئ من خلال موضوع الصبر والدعاء والصدقة والصلاة والقيام على التحلي بهذه الصفات الإيمانية لتحقيق النتيجة النهائية وهي مرضاة الله، من هنا تتعدد الحجة باعتبار أن تلك المبادئ حجج واستدلالات يؤكد من خلالها على السبب الذي نال منه عباد الله مرضاة الله ومنه اتخاذ تلك الحجج بعين الاعتبار لنيل النتيجة ذاتها، وعلى هذا الأساس تظهر السلالم الحجاجية كونها تتتبع المتلقي من أولى موضوعات الحكايات حتى نهايتها باعتبارها حججاً وملاحظة النتائج التي وصلت إليها الشخصيات وقد يستفاد من هذه السلاسل التي تكونت من خلال الموضوعات أو المبادئ التي نادت بها الحكايات في اعتبارها قدوة للمتلقي ودعوة له للتحلي بصفات الشخصيات واتباعها في أفعالها لنيل ما نالته من أجر وثواب، تظهر هذه السلالم من خلال الجدول التالي:

[1]- نعمان بوقرة: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، جدارا للكتاب العالمي، الأردن، 2009، ص119.

الحجج	النتيجة
طاعة الله، قضاء الدَين، الصبر على الشدائد، تقوى الله، التصدّق، الصيام، القناعة بما رزق الله، قول الصدق، قيام الليل، ذكر الله، إشاعة العدل، تأدية الأمانات، الدعاء، الاستغفار والتوبة إلى الله، الرضا بما كتب الله، الانعزال عن الخلق، الثقة بالله، التخلي عن ملذات الدنيا، انتظار الموت.	نيل مرضاة الله

تعتبر كل هذه الصفات الإيمانية بمثابة الحجج التي تتوزع على الحكايات التي أتى بها ابن الجوزي، بحيث تتضمن كل حكاية حجة أو أكثر تكون سبباً في نيل الخلق رضا الله ومحبته عز وجل، إذ تنتظم لتكوّن سلّماً حجاجياً يحتوي مجموعة من الحجج التي يطرحها ابن الجوزي ويوجهها للمتلقي، داعياً إياه أن يتصف بتلك الصفات لتكون حججاً لنيله الأجر والثواب، الذي يعتبر النتيجة المرجوة.

فطاعة الله سبب لتحصّل العبد على نتيجة مرضاة الله، كما أن قضاء الدَيْنِ ينجر عنه الحفاظ على ممتلكات الغير وبالتالي عدم إيذاء صاحبها عن طريق تأخير الدفع، وهذا ما يحقق رضا الله عن تصرف العبد وإثابته بالخير، وهي نتيجة تتحقق بحضور الفعل الذي يتمثل في قضاء الدَيْن.

تشتمل الحكايات على مجموعة من الحجج التي تنجر عنها في كل مرّة النتيجة نفسها وهي مرضاة الله، وهذا عن طريق العلاقة السببية التي تربط فعلاً معيناً بنتيجة معينة، ويحصل أن تتجلى هذه النتيجة عن طريق حضور المنامات والتي تزوّد الشخصيات وكذا القارئ بمعلومات عن الشخصية التي وافاها الموت وهذا قصد تبيان

ثواب هذه الشخصية لما قامت به من أفعال الخير، فبالنسبة للحكايات يعتبر المنام أو الحلم الذي يراه أحدهم عن شخص ميّت هو الوسيلة الوحيدة لمعرفة جزاء هذا الشخص ونتيجة أفعاله في الدنيا، فقد اعتبرت أولى الحكايات التي حضرت فيها تقنية المنامات بمثابة المقدمة العامة التي تضع صوب أعيننا أحوال الموتى ودرجاتهم بحسب أفعالهم في الدنيا، كالنتيجة التي تحضر بحضور الحجة، هذا ما يظهر في الحكاية رقم9، فقد جاء فيها فيما يخصّ الموتى: " فمنهم النائم على القباطي، ومنهم النائم على التراب، ومنهم النائم على السندس والإستبرق، ومنهم النائم على الحرير والديباج، ومنهم النائم على الريحان، ومنهم كهيئة المتبسم في نومه، ومنهم من قد أشرق لونه، ومنهم حائل اللون، ... فنادى منادي من تلك القبور: يا حجاج هذه منازل الأعمال "[1]، أما ما ورد عن منزلة شخصية بعينها فهو ما جاء عن الفتى الشقي الذي تاب إلى ربه على يد الواعظ " أبو عامر " حيث يحضر خبره في الحكاية رقم20 التي جاء فيها " ... ثم مات رحمة الله عليه، فقالت أمه: رأيته في المنام ليلة الجمعة كأنه القمر، فقلت يا ولدي: ما فعل الله بك؟ قال: خيراً، قالت: فما فعل أبو عامر؟ قال: هيهات، أين نحن من أبي عامر "[2]، وكذا ما يحضر في الحكاية رقم28، حيث ورد فيها خبر الفتى الذي اشتغل عن العبادة بسبب جارية اشتراها إلا أنه تدارك الأمر بتوبته إلى الله على يد أخيه الذي وعظه، حيث جاء في كلامه: " فلما أن مات رأيته في المنام بعد ثلاث، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: قدمنا على رب كريم، وأباحني الجنة، وعوضني جارية حوراء تسقيني طوراً وتهنيني "[3].

تعتبر أفعال الخير والصلاح التي ذكرت في الحكايات بمثابة الحجج التي تنال من خلالها الشخصيات المنازل الرفيعة في الآخرة، بحيث يصعد العبد السلالم ليصل إلى النتيجة الملائمة مع تصرفات الشخصية وأفعالها.

[1]- ابن الجوزي: ملتقط الحكايات، ص242.

[2]. المصدر نفسه، ص248. 249.

[3]. المصدر نفسه، ص251. 252.

5 ـ علاقة الحجاج بترتيب الحكايات:

عرض ابن الجوزي في مشروعه الوعظي الحجاجي مجموعة حكايات قصد بها إقناع الآخر بصدق أفكاره الوعظية والتأثير في موقفه تجاهها، وقد خصّص لهذا المشروع خطة ومنهاجاً حيث ابتدأ مجموعة حكاياته بحكاية مخصوصة وهي تبنى على التناوب الحواري بين شخصيتين هما السائل والواعظ، وقد قام ابن الجوزي بإيرادها في مستهل الكتاب لما تحتويه من خصال إيمانية وقيم شاملة والتي: " يعتمد عليها في تغيير مواقع السامعين وفي دفعهم إلى الفعل المطلوب "[1]، وقد اعتبرت مقدمة عامة تلم بكل عناصر الحكايات وتضفي إلى نتيجة موحدة للمسار الحكائي، كما تضم نظرة شاملة للحياة من حيث نظرة العبد لخالقه وعلى وجوب إخلاص النية في كل الأفعال، إذ تظهر الحكاية كيف أن العبد مراقب من قبل خالقه الذي يرى كل أفعاله وما يقوم به من خير وشر، أما فيما يخص الحكايات التي تلت الحكاية الأولى فقد طبّقت شخصياتها الخصال التي ذكرت في الحكاية الأولى وهذا يظهر من خلال سرد الأحداث المتعلقة بتلك الشخصيات، كما أن الحكايات الفرعية قد فصّلت في هذه الخصال وأطنبت من خلال تكرار بعضها في أكثر من حكاية وهذا لغاية التأثير والإقناع.

اتسمت الحكاية الأولى بأفكارها المنطقية وبقياسها المتزن الذي ضبط عناصر الحوار بإحكام، كي يتناسب مع الدلالة العامة التي نادت بها البنية العامة للحكايات، إذ: " لابد من أن تكون البداية محكمة مثيرة للاهتمام متريثة، فالاستهلال يتضمن عنصرين هما عنصرا الاستهواء والاستمالة للمخاطبين، ثم تجزئة الموضوع إلى الوحدات الكبرى التي يتناولها بالتفصيل "[2] في الحكايات التالية والتي تعتبر حكايات موضحة لما جاءت به الحكاية الأولى ومساعدة لإظهار مبادئها: " فبعد أن يحدد الجدلي جهة القصد المناسبة

[1]- محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، ص112.

[2]- محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، ص152.

بالاستناد إلى شبكة المواضع في كليتها (...) يستعرض المواضع المختلفة الصالحة في بناء الاستدلال في الجهة التي رآها مناسبة "[1]، حيث وضع ابن الجوزي بين عينيه موضوعه العام وهو الوعظ الديني وحينها بدأ في رحلته الخاصة بالبحث عن بعض الحكايات التي تحمل موضوعات متعددة تصب كلها في الوعظ لما تحمله تلك الحكايات من مبادئ وقيم وخصال وصفات أخلاقية اتسمت بها شخصياتها، دون الخروج عن الموضوع العام الذي رسمه لمشواره، بحيث تضفي كل الحكايات التي اختارها إلى نتيجة موحدة تنادي لغاية مشتركة وهدف واحد هو التأثير بالحكايات في المتلقي لتغيير وجهات نظره والتأثير في سلوكه التأثير الحسن.

خاتمة الفصل:

حاولنا في هذا الفصل الربط بين العناصر السردية التي قمنا بذكرها في الفصل الأوّل وبين الحجاج الذي يعتبر تقنية إقناعية مضمنة في الحكايات والتي تسعى لتأكيد معاني الوعظ الديني وترسيخها في ذهن المتلقي، إلا أن الحجاج في الحكايات قد تكوّن عن طريق مجموعة من العناصر التي اشتركت لخلق الصورة الكلية له، من هذه العناصر التي اعتبرت كبنى حجاجية صغرى كوّنت البنية العامة للحجاج نجد السرد الذي يحتلّ المرتبة الأولى من حيث أهميته في إيصال أثر الموعظة وكذا المعاني الإيمانية وبالتالي إقناع المتلقي بالتحلي بها، كما تحضر تقنية التصوير عنصراً من عناصر تكوين الحجاج، وتنضاف إليها استراتيجية التمثيل وكذا القياس والتكرير، وقد اعتبر الشعر كذلك ركيزة من ركائز تكوين الحجاج الخاص بالحكايات، وذلك لما له من الأثر الكبير في ترسيخ بعض الأفكار والمعاني عن طريق مخاطبة العواطف والأحاسيس واستثارتها، كما وَسَمَتْ الحجاج بعض العلاقات التي اعتبرت أوجهاً للإستدلال وسبيلاً للإقناع، وكذا توافر السلالم الحجاجية، كلها عناصر مترابطة وبقوة في حكايات ابن الجوزي، بحيث يتجلى

[1]. المرجع نفسه، ص45.

الحجاج من خلال هذه البنيات المتنوعة التي تعتبر بمثابة التمظهرات الحجاجية التي استوطنت ساحة حكايات ابن الجوزي، والتي رسمت لوحة متكاملة من خلال صورها المذكورة والتي تمثّل نظاماً متلاحماً يسهم في إيصال رسالة النص.

خاتمة:

لعلّ أوّل نتيجة يمكن أن تتبدّى لنا بوضوح بعد التدرّج في هذا البحث، ثراء الحكايات التي التقطها ابن الجوزي وأودعها كتابه < ملتقط الحكايات > بمادة سردية حجاجيّة تجسّدت بامتزاج مكوّنات السرد مع مكوّنات الحجاج في جنس الحكاية، الذي اختاره ابن الجوزي من بين الأساليب المتعددة ليوصل به رسالته الوعظية، وهذا لإدراكه قوّة الأثر الذي يخلّفه هذا الجنس الأدبي العريق على نفوس العرب وغيرهم، إذ لا تتوقف الحكاية الوعظية عن منح المطّلع عليها في كل قراءة، المزيد من الكنوز الوعظية والقراءات الدينية الجديدة التي تطرب النفوس وتهز المشاعر الإيمانية، التي تؤثر في القارئ فتساعده على التحوّل الإيجابي.

وقد امتزج الوعظ الديني بالمادة السردية للحكايات عن طريق ترجمة بعض العناصر السردية ـ من موضوعات وشخصيات وأحداث وزمان ومكان وراوي ـ هذا الغرض الوعظي، كما ضمّت هذه الأركان في طياتها عناصر حجاجية أو أوجهاً إقناعية تأثيرية كوّنت الصورة الشاملة للحجاج في الحكايات.

كما أفادت هذه الدراسة وبوجه التفصيل، في الإشارة إلى عنصر الفواتح النصية التي تقلّ المراجع التي تقوم بالبحث فيها، وخاصة الفواتح النصية في الأجناس النثرية العريقة وبالتحديد الحكايات القديمة التي من صنف حكاياتنا، إذ لهذه الصيغ الاستهلالية علاقة بالغرض العام الذي قامت عليه الحكايات وهو الوعظ الديني، وهو ما أكسبها أهمية في الحكاية وفي إظهار غرضها من أولى عتباتها.

وقد قمنا في طريقة تناول الحكايات بتحليلها تحليلاً مبسّطاً وفي متناول الدارس المتخصص في الأدب العربي، إذ تعينه على التعرف على ثمرة من ثمرات النثر العربي القديم، وهي الحكاية الوعظية الهادفة، التي كانت ولازالت تحتل مكاناً في مجالس العرب

المتنوعة، وكذا خطبهم ومعارضهم الحافلة، كما يمنح هذا الموضوع الدارس فكرة وتناولاً مبسّطين يتلاءمان مع صفة المدرسية التي وجب على البحوث الأكاديمية الاتصاف بها، بغرض إفادة الطالب وتذليل طرق صياغة المادة العلمية المطروحة.

تمثّل هذه الدراسة وجه الإفادة من حيث بحثها في مؤَلف ديني بحثاً أدبياً، حيث تزدوج الاستفادة من البحث من حيث جانبه الديني بأخذ مواعظ الحكايات وحكمها بعين الاعتبار، وكذا من حيث جانبه الأدبي باعتبار ضمّ الدراسة لمجالين مجال خاص بطريقة إخراج الحكاية ويمثّل السرد، ومجال خاص بتأثير هذه الحكاية على المخاطَب من خلال قضية الحجاج الذي يهتم بأبعاد متلقي الرسالة، إذ تمنح هذه الازدواجية للحكايات صدى أقوى عند القارئين، فتمنحهم عنصري الإمتاع والاستفادة، وذلك من خلال مؤَلف من مؤَلفات ابن الجوزي الدينية التي أمطنا عنها اللثام بكشفنا عنها وعن قيمتها المعتبرة.

يقوم البحث على الخوض في الحجاج الذي يتوجّه إلى المتلقي مذكّراً أو منبّها أو مقنعاً إياه ببعض القضايا، حيث يستفيد المتلقي كما يستفيد الباحث على حدّ سواء من دراسة مثل هذا الموضوع من الأفكار التي تدور حول هذه التقنية الإقناعية من أجل معرفة طبيعتها، كما أنه يستفيد مما تمدّه هذه التقنية من خلال تطبيقها على الحكايات الوعظية من خلال تغيير وجهات نظره، وتذكيره ببعض الأخلاقيات والصفات التي وجب عليه الاتصاف بها لتحسين سلوكياته.

كما يعرفنا البحث على وسيلة تواصلية جديدة هي الحكاية التي مثّلت في هذا المقام خطاباً وعظياً بالدرجة الأولى، فهو خطابٌ موجه إلى متلق فطن يدرك الرسالة التي تحملها الحكايات في طياتها، كما يدرك قيمة هذه الرسالة في وجوب تغييرها سلوك الأفراد ومعتقداتهم.

لعلّ أهم عنصر وصلتنا من خلاله فكرة الاحتجاج للوعظ هي موضوعات الحكايات التي وصلتنا عن طريق أحداث الشخصيات، إذ تزخر بمادة وعظية في غاية الأهمية وذلك باتخاذ شخصيات الحكاية قدوة للمتلقي يتّبعها في أفعالها، وقد تجسّد ههنا الحجاج بواسطة اعتبار تلك الشخصيات شواهدًا وأمثلة على حقيقة الأجر الذي يمنحه الله تعالى لعباده إذا ما أخلصوا له العبادة، أي يستدل من خلالها على الأعمال الصالحات التي قامت بها من أجل ضمان الأجر والثواب الذي ينجر عن هذه الأعمال، كما تذكّر الحكايات المتلقي ببعض صفات المتقين التي وجب عليه الاتصاف بها لنيل مرضاة الله، وهي صفات تذكّر القارئ بحلاوة الإيمان الذي يزيد بتذكّر الطاعات، إذ يحتج عن طريق الثواب الذي نالته الشخصيات ليؤكد صحة مجازاة الله تعالى عباده الصالحين على عبادتهم وتخليهم عن الدنيا لوجهه الكريم، وتظهر صور هذه المجازاة عن طريق تقنية المنامات التي برزت في الحكايات والتي تعرفنا بما آلت إليه الشخصية الحكائية بعد الموت حين لزومها أفعال الخير والطاعة في الحياة الدنيا، وبذا يضمن للمتلقي النتيجة نفسها لقيامه بالفعل نفسه.

وقد ساعد المكان الذي ضمّ أحداث الشخصيات، على إيصال الأفكار الوعظية التي تحتويها الحكايات، إذ برزت الشخصيات في أماكن العزلة والتفرد والوحدة والسكون، ما يترجم تعبدهم ومناجاتهم للخالق، وهذا لمدى بعد هذه الأماكن عن مواقع الصخب والحركة التي ينجرّ عنها فعل المنكرات والنظر في الخلق واتباع عيوبهم، إذ سلك هؤلاء الطريق الذي يرضي الله عن طريق الهروب إليه ومناجاته في أماكن خاصة بهم بعيداً عن الأعين، لدفع الرياء عن النفس وتزكيتها للخالق عز وجل، وهو خطاب يقصد به ابن الجوزي دعوة متلقي الحكاية للاستفادة من أفعال الشخصيات والنظر في أماكن تواجدها ليظهر الفرق واضحاً بين الأماكن العادية وأماكن العزلة، وبالتالي الإعجاب بهذه الأخيرة والنفور من الأولى لما تسببه من مضار للفرد وللمجتمع على السواء.

كل هذه عناصر سردية عززت فكرة الحجاج، وفي الوقت نفسه بنت لفكرة الوعظ الديني، ومن شأن هذا الرابط والعلاقة التي تجمع بين هذه الأطراف أن تحسم في الصياغة التي اخترنا أن يمتاز بها عنوان البحث أو الدراسة، حيث انتابتنا لأول وهلة عشناها مع هذا الموضوع بعض الأفكار التي حاولنا في طيات هذا البحث إثبات حقيقتها ومصداقيتها.

كما تمتاز هذه المادة الحجاجية التي في الحكايات بالبساطة والصعوبة وكذا الأهمية في الوقت نفسه، إذ لا تبرز تلقائياً فيها بل على الباحث التنقيب عنها لاكتشافها، وذلك كون خطاب الحكايات يستودع في طياته مادة حجاجية غير قصدية لأنها لم تسرد لغرض الحجاج بل لنقل أخبار السابقين من الرجال، في حين استغلّ ابن الجوزي هذه الأخبار التي في الحكايات وأودعها كتابه لغرضه الخاص، أما نحن ومن خلال اطّلاعنا على هذه الحكايات وقراءاتنا عن الحجاج اتضح وجود مادة منه فيها، قد ارتأينا أنها تصلح للدراسة والبحث، وذلك بالجمع بين الوعظ الذي يصاغ عن طريق رسالة محددة، وبين الحجاج الذي يمثّل تقنية إقناعية تبحث في طرق تأثير هذه الرسالة على المتلقي.

يسعى قارئ الحكاية لإسقاط الماضي الذي تمتاز به أحداث الحكايات على الحاضر المعاش، فهي دراسة تحاول تفكيك الحاضر عن طريق اللجوء إلى الماضي لأن مادتها تتمثّل في حكايات تحمل مبادئ صالحة لكل زمان ومكان، كما أنها حكايات يرويها لنا ابن الجوزي وهو مدرك لذوق الرجل العربي وقدرته على قراءة النصوص والتنقيب عن قيمتها، وعدم اقتصار نظرته إلى الحكايات على أنها مجرد أحداث ماضية يرويها لنا المؤلف، إذ يعتبر المتلقي المسؤول الوحيد عن نجاح الحكاية بإخراجه للكنز الذي تضمه في داخلها، إضافة إلى هذا فإن معنى النص السردي المدروس لا نهائي فهو يحتمل تآويل عدّة يمكن للقارئ البحث فيها لأن النص العربي القديم في حد ذاته نص

مفتوح على أكثر من قراءة وهو يتصف بعدم الثبات، وهذا يوجب علينا التنقيب عن الكنوز التي تخبؤها لنا النصوص القديمة في تضاعيفها.

وهكذا أدرك العمل نهايته باعتباره خطاباً تواصلياً تجسّد عن طريق جنس الحكاية، فهو محاولة لربط مساعي النص بالقارئ الذي من شأنه الإعلاء من هذا الخطاب وتحقيق أثره، عن طريق تجسيد الغرض الذي جاء من أجله، فالمتلقي هو الذي يعترف بحقيقة المبادئ التي أتى بها الخطاب وهو المسؤول عن تحويل النص المقروء من كلمات كتبت في سطور إلى حقيقة تعاش ولحظات تحيى، كما أنه المسؤول عن تفسير النص وتحديد معناه عن طريق فهم مقاصده والعمل بها، وهذا كي تنجح الحكاية ويرى للخطاب رواجا.

وننهي قولنا في هذا الشأن المعرفي معتقدين الاعتقاد كله في نسبية نتائجه وتأويلاته، إذ بنينا البحث بالأساس على قراءة خاصة قمنا فيها بالربط والدمج بين الحجاج الذي هو استراتيجية إقناعية وبين السرد بمعناه العام الذي يعني بالمادة الحكائية من حيث شكلها ومضمونها، أي الخطاب وما يتضمنه من أفكار ومعان، ونتج عن هذا الدمج أن قمنا بتحليل قالب سردي تمثل في الحكاية، تحليلاً حجاجياً بالنظر إلى توجهاته الحجاجية، التي تظهر علناً وكذا التي قمنا بالتنقيب عنها لإظهارها، وقد تولّد عن هذا البحث كله ثمرة جديدة من ثمرات البحث العلمي التي تستفيد من حقلين دراسيين.

قائمة المصادر:

1. القرآن الكريم.
2. ابن الجوزي: عجائب علوم القرآن، تحقيق: عبد الفتاح عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د. ت).
3. ابن الجوزي: مجموعة رسائل ابن الجوزي في الخطب والمواعظ والحكايات والفوائد العامة (ملتقط الحكايات)، تحقيق وتعليق: هلال ناجي ووليد بن أحمد الحسين، سلسلة إصدارات الحكمة، بريطانيا، 2000.

قائمة المراجع بالعربية:

1. إبراهيم صحراوي: السرد العربي القديم الأنواع والوظائف والبنيات، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2008.
2. أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي: ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، ط1، لبنان، 2000.
3. أحمد العايد وآخرون: المعجم العربي الأساسي لاروس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، (د.ب)، (د.ت).
4. أحمد العدواني: بداية النص الروائي مقاربة لآليات تشكل الدلالة، النادي الأدبي بالرياض و المركز الثقافي العربي، ط1، لبنان، 2011.
5. أحمد حمد النعيمي، إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، 2004.
6. ادريس كريم محمد: الوحدات السردية في حكايات كليلة ودمنة دراسة بنيوية، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2010.

7. أماني سليمان داود: الأمثال العربية القديمة دراسة أسلوبية سردية حضارية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، لبنان، 2009.
8. آمنة بلعلى: الحركية التواصلية في الخطاب الصوفي من القرن الثالث إلى القرن السابع الهجريين، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001.
9. حافظ اسماعيلي علوي: الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ج4، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2010.
10. حميد لحمداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط3، لبنان، 2000.
11. سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن، 2008.
12. سعيد الغانمي: الكنز والتأويل قراءات في الحكاية العربية، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، لبنان، (د. ت).
13. سعيد يقطين: الكلام والخبر مقدمة للسرد العربي، المركز الثقافي العربي، ط1، المغرب، 1997.
14. سعيد يقطين، السرد العربي مفاهيم وتجليات، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2006.
15. الشريف حبيلة: مكونات الخطاب السردي مفاهيم نظرية، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن، 2011.
16. شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني، دار المعارف، ط12، (د. ب)، (د.ت).
17. صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، مؤسسة مختار للنشر وتوزيع الكتاب، مصر، 1996.

18. عبد الحميد بورايو: القصص والتاريخ التمثيل الرمزي لحقب من التاريخ الاجتماعي الجزائري، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وفي علم الإنسان والتاريخ، الجزائر، 2005.
19. عبد الرحيم الكردي: البنية السردية للقصة القصيرة، مكتبة الآداب، ط3، مصر، 2005.
20. عبد العاطي محمد شلبي وآخرون: الخطابة الإسلامية أصولها تعريفها عناصرها، مع نماذج من خطب الرسول ﷺ والخلفاء، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 2006.
21. عبد الفتاح كيليطو: الأدب والغرابة دراسات بنيوية في الأدب العربي، دار توبقال للنشر، ط2، المغرب، 2006.
22. عبد الله ابراهيم: المتخيل السردي مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة، المركز الثقافي العربي، ط1، لبنان، 1990.
23. عبد الله ابراهيم: موسوعة السرد العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، لبنان، (د. ت).
24. عز الدين المناصرة: الأجناس الأدبية في ضوء الشعريات المقارنة، دار الراية، ط1، الأردن، 2010.
25. عقيل سعيد ملازاده: الحوار قيمة حضارية دراسة تأصيلية لمنهجية الحوار في الإسلام، دار النفائس للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2010.
26. علي بن تميم: السرد والظاهرة الدرامية دراسة في التجليات الدرامية للسرد العربي القديم، المركز الثقافي العربي، ط!، المغرب، 2003.
27. عمر عبد الواحد: بنية الخبر دراسة في طوق الحمامة لابن حزم، دار الهدى للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004.
28. عمر عيلان: في مناهج تحليل الخطاب السردي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، سوريا، 2008.

29. قيس كاظم الجنابي: التصوّف الإسلامي في اتجاهاته الأدبية، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة، 2007.
30. مجد الدين محمّد بن يعقوب الفيروزآبادي: القاموس المحيط، دار الكتاب الحديث، ط1، لبنان، 2004.
31. مجدي وهبه: معجم مصطلحات الأدب: مكتبة لبنان، 1994.
32. محمد بوعزة: الدليل إلى تحليل النص السردي تقنيات ومناهج، دار الحرف للنشر والتوزيع، ط1، المغرب، 2007.
33. محمد حسين: العشرة الطيبة مع المرأة، دار المدائن، ط1، العراق، 1996.
34. محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، لبنان، 2008.
35. محمد سعيدي: الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998.
36. محمد يونس عبد العال: في النثر العربي قضايا وفنون ونصوص، دار نوبال للطباعة، ط1، مصر، 1996.
37. محمود طلحة: تداولية الخطاب السردي دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، إربد، 2012.
38. محمود عبد الرحيم صالح: فنون النثر في الأدب العباسي، دار جرير للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2011.
39. مصطفى البشير قط: مجالس الأدب في قصور الخلفاء العباسيين، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، 2009.
40. مصطفى البشير قط: مفهوم النثر الفني وأجناسه في النقد العربي القديم، دار اليازوري العلمية، الأردن، 2009.
41. مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، المكتبة العصرية، لبنان، 2005.

42. مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، ط4، لبنان، 1974.
43. نبيل حداد وآخرون: تداخل الأنواع الأدبية، مجلد1، جدارا للكتاب العالمي، ط1، الأردن، 2009.
44. نعمان بوقرة: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، جدارا للكتاب العالمي، الأردن، 2009.
45. نور الدين السدّ: الأسلوبية وتحليل الخطاب دراسة في النقد العربي الحديث، ج2، دار هومه، الجزائر، 2010.
46. هلال محمد العيسى: جامع روائع الحكم والنصائح والمواعظ والمثل في الأدب والتاريخ وما تمثل به العرب والعجم على ألسن الطير والحيوان، دار الكتاب الحديث، الجزائر، 2008.

قائمة المراجع المترجمة:

1. بول ريكور: الزمان والسرد الحبكة والسرد التاريخي، تر: سعيد الغانمي وفلاح رحيم، ج1، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، إفرنجي، 2006.

2. تزيفيطان تودوروف: مفاهيم سردية، تر: عبد الرحمان مزيان، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2005.

3. جيرار جينيت: خطاب الحكاية بحث في المنهج، تر: محمد معتصم، المجلس الأعلى للثقافة، ط2، (د. ب)، 1997.

4. جيرار جينيت: عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص، تر: عبد الحق بلعابد، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2008.

5ـ جيرار جينيت: عودة إلى خطاب الحكاية، تر: محمد معتصم، المركز الثقافي العربي، ط1، المغرب، 2000.

6ـ جيرالد برانس: قاموس السرديات، تر: السيد إمام، ميريت للنشر والمعلومات، ط1، القاهرة، 2003

المجلّات:

1. أحمد حيدوش: المكان بوصفه فاتحة نصية لفضاء الرواية، مجلة معارف مجلة علمية محكمة، العدد9، الجزائر، 2010.
2. لكحل سعدية: استراتيجية الحجاج في محاورة إبراهيم عليه السلام لأبيه في القرآن الكريم، مجلة الممارسات اللغوية، ع15، مخبر الممارسات اللغوية، الجزائر، 2012.

المقالات:

1ـ ناهضة ستار: بنية السرد في القصص الصوفي المكونات والوظائف والتقنيات .Syrianstory.com/comment32.4.htm

2ـ شخصيات دينية Www.wikipédia.org

3ـ شخصيات دينية Islamweb.net tube

4ـ فن الوعظ أهميته وضوابطه، منتديات ستار تايمز، Www.startimes.com

فهرست الموضوعات:

مقدمة:.....2

مدخل: المهاد النظري للبحث.....6

1. تحديد المفاهيم الأساسية للبحث.....7

1. 1. مفهوم المكوّن 7

1. 2. مفهوم السرد 8

1. 3. مفهوم الحجاج 9

1. 4. مفهوم الحكاية والخبر والعلاقة بينهما 13

2. تحديد مفاهيم لها علاقة بالبحث 17

2. 1. مفهوم الزمن السردي 17

2. 2. مفهوم المكان السردي 21

2. 3. مفهوم الوعظ الديني 23

2. 4. وصف المدونة 25

الفصل الأول: مكوّنات السرد في الحكايات (سردية الحكاية).....28

توطئة:.....29

1. الفاتحة النصية:.....31

1. 1. الكلام العربي السند والمتن.....31

1. 2. مفهوم الفاتحة النصية.....32

1. 3. أنواع الفاتحة النصية.....32

1. 4. أهمية الفاتحة النصية.....33

1. 5. الفاتحة النصية في الحكايات التي تبتدئ بصيغة " حُكيَ ".....34

1. 5. 1. علاقة الفاتحة النصية " حُكيَ " بمسألة صدق الراوي أو عدمه.....38

1. 6. الفاتحة النصية في الحكايات التي تبتدئ بصيغة " حَكَى ".....39

1. 7. الفاتحة النصية في الحكايات التي تبتدئ بصيغة " روى ".....40

1. 8. الفاتحة النصية في الحكايات التي تبتدئ بصيغة " قال " و " قيل " 41

1. 9. الفاتحة النصية في الحكايات التي تبتدئ بصيغة " عن " 44

1. 10. الفاتحة النصية في الحكايات التي تبتدئ بصيغة " رفع إلى ".....44

2. الراوي والموقع.....45

2. 1. تعريف الراوي أو السارد.....45

2. 2. الحكايات ذات الراوي الخارجي.....46

2. 3. الحكايات ذات الراوي الداخلي.....49

2. 4. علاقة الفواتح النصية بموقع الراوي.....52

3. كلام السارد وكلام الشخصيات.....53

3. 1. كلام السارد.....53

3. 2. كلام الشخصيات.....55

4. نمط السرد والرؤية السردية.....58

4. 1. نمط السرد.....58

4. 2. الرؤية السردية.....61

5. الزمن والمكان السرديان.....64

5. 1. الزمن السردي.....64

5. 1. 1. التسلسل الزمني.....65

5. 1. 2. المفارقات الزمنية.....69

5. 1. 2. 1. الاسترجاع.....69

5. 1. 3. المدّة.....74

5. 1. 3. 1. الحذف أو القطع.....75

5. 1. 3. 2. المشهد.....76

5. 1. 3. 3. الوقفة أو الاستراحة.....79

5. 1. 3. 4. الخلاصة أو المجمل.....81

5. 2. المكان السردي.....82

5. 2. 1. أماكن التقرب من الله.....83

5. 2. 1. 1. الأودية والجبال.....83

5. 2. 1. 2. البيت.....85

5. 2. 1. 3. المسجد.....87

5. 2. 1. 4. السجن.....88

5. 2. 1. 5. المقابر.....90

5. 2. 2. أماكن السفر وكسب الرزق.....91

5. 2. 2. 1. البحر.....91

5. 2. 2. 2. الطريق.....93

5. 2. 3. أماكن الحديث والسمر.....94

5. 2. 3. 1. المجلس.....95

خاتمة الفصل 96

الفصل الثاني: مكوّنات الحجاج في الحكايات (حجاجية الحكاية).....98

توطئة:.....99

1. موضوعات الحكايات.....101

1. 1. الموضوع الرئيسي: الوعظ الديني.....102

1. 2. الموضوعات الثانوية.....102

1. 2. 1. شدة التعلق بالله وبالعمل الصالح.....103

1. 2. 2. التخلي عن الدنيا للآخرة.....104

1. 2. 3. ثواب أولياء الله.....105

1. 2. 4. طرق مواجهة المحن.....107

1. 2. 5. التوبة.....108

1. 2. 6. تأدية الأمانة.....109

2. تجلّيات الحجاج في الحكايات.....109

2. 1. الحجاج بالسرد.....110

2. 1. 1. تحليل سردي حجاجي لمجموعة من الحكايات.....111

2. 1. 1. 1. الحجاج في الحكايات التي تصنف تحت موضوع التوبة.....112

2. 1. 1. 2. الحجاج في الحكايات التي تصنف تحت موضوع أثر الدعاء.....118

2. 1. 1. 3. الحجاج في الحكايات التي تصنف تحت موضوع تأدية الأمانة...122

2. 1. 1. 4. الحجاج في الحكايات التي تصنف تحت موضوع الصبر.....124

2. 1. 1. 5. الحجاج في الحكايات التي تصنف تحت موضوع الكرامات.....126

2. 1. 2. علاقة الخاتمة الوعظية بالحجاج.....131

2. 2. الحجاج بالتصوير.....132

2. 3. الحجاج بالأمثلة.....133

2. 4. الحجاج بالقياس المضمر.....135

2. 5. الحجاج بالشعر.....138

2. 6. الحجاج بالتكرير.....140

3. العلاقات الحجاجية.....142

3. 1. العلاقة السببية.....142

3. 2. علاقة الاقتضاء.....144

4. السلالم الحجاجية:.....146

5. علاقة الحجاج بترتيب الحكايات.....149

خاتمة الفصل 150

خاتمة عامة 152

قائمة المصادر والمراجع.....157

فهرست الموضوعات.....163